





الصقر

هيلين ماكدونالد



سلسلة الحيوانات


الصقر
هيلين ماكدونالد
ketab.me
Best Books

الطبعة الأولى 1430هـ 2009م

QL696.F34.M3312 2009
Mcdonald. Hellen
[Falcon]

الصقر / تأليف هيلين ماكدونالد : تحرير:أحمد خريس.- ط. 1.- أبوظبي : هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
192ص. ؛13.5×19 سم.
ترجمة كتاب : Falcon
تدمك : 978-9948-01-423-2
1. الصقور. أ. خريس، احمد. ب. العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة عن النصف الإنجليزي: Falcon

Falcon by Helen Macdonald was first published by Reaktion Books in the Animal series.
London. UK. 2006

كلمة
KALIMA
www.kalima.com

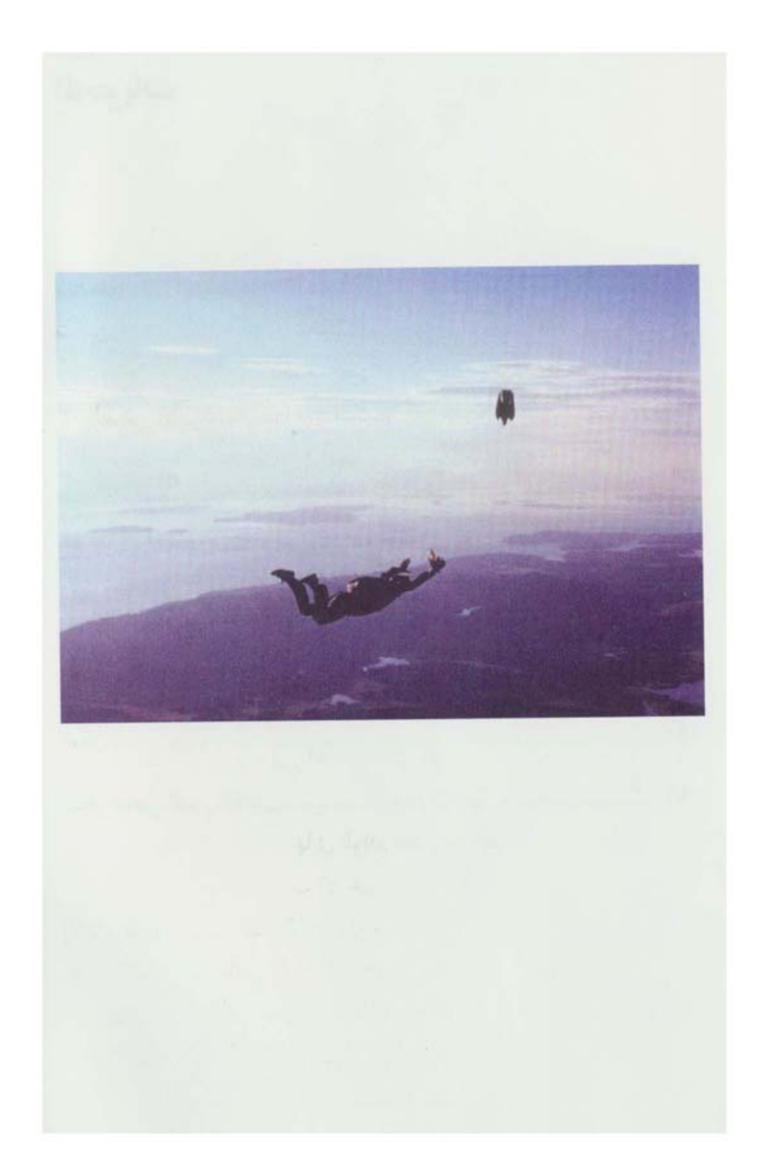
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ فاكس: 462 6314 2 971+



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.cultural.org.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات



مقدمة

تولى كين فرنكلين (Ken Franklin) في عام ١٩٩٨ تدريب أنثى صقر شاهين تدعى Frightful، لتتعقب أحد المظليين وهو يقفز من طائرة بسرعة منتظمة من ارتفاع ١٦,٠٠٠ قدم. ويظهر الفيلم الذي التقط خلال عدة قفزات، أنثى الصقر وقد ثنت رأسها بين منكبيها وضمت رجليها تحت ريشها متخذة وضعاً هوائياً يشبه سقوط قطرة المطر. كما نستطيع أن نرى التغيرات الطفيفة التي تحدث في شكل جسم أنثى الصقر وجناحيها وهي تهبط بسرعة تتجاوز ١٠٠ ميل في الساعة التي تجعل شكلها مهيباً ومماثلاً تماماً لوصف فرانكلين بأنها تبدو كما لو كانت جثة محنطة ملفوفة الأجنحة. وقد تلجأ أنثى الصقر من أجل زيادة سرعة هبوطها إلى تغيير شكل جسمها مرة أخرى، إذ تقوم بضم أحد الكتفين إلى الأمام للتغلب على مقاومة الهواء: وبسرعة تتجاوز ٢٠٠ ميل في الساعة، تقطع أنثى الصقر جو السماء هابطة إلى أسفل في ظل دهشة المصور.

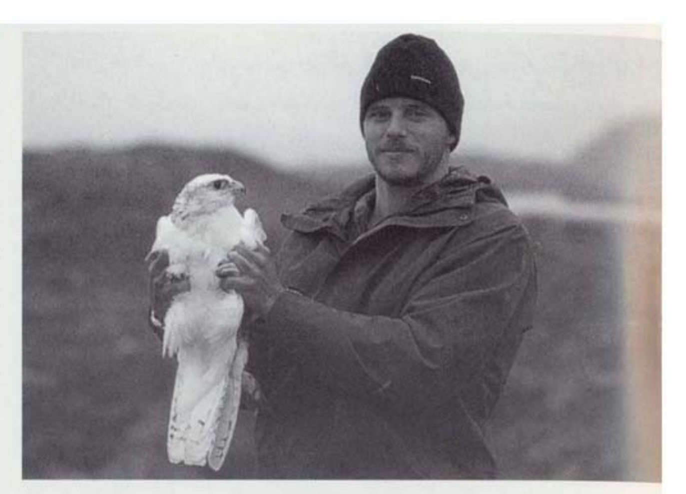
تعد الصقور أسرع الطيور التي وجدت على ظهر البسيطة. فهي مصدر ولع بالنسبة لنا كونها تبدو أسمى من غيرها من أنواع الطيور الأخرى. غير أن الصقر ليس معنياً بهذه الصفات لأنها في الواقع مجرد مفاهيم إنسانية خاصة بنا. وعلى الرغم من كون الصقور ليست إلا حيوانات، إلا إنه لا يمكننا النظر إلى الصقور إلا في ضوء وصف عالم الإنثروبولوجيا فرانز بوس (Franz Boas)، الذي وصف الصقر بأنه البصيرة والرؤية اللتين نستقيهما من ثقافتنا لنتمكن من عبرهما من رؤية العالم. فنظرتنا للصقر هي في الواقع نظرة لذواتنا وأنفسنا سواء أكان الصقر حقيقة أم خيالاً، وسواء رأيناه في لوحات على جدران المعارض أو في وصف الشعراء أو محلقاً كطائر صياد أو قابعاً خلف نوافذ مانهاتن أو كرمز

يوضع على الأعلام أو يقبع فوق أحد محطات الرادار القديمة، وكل ذلك لا يشكل خلافاً.

ليس هناك شك في أن الحيوانات تعكس المعاني والمفاهيم الإنسانية، إذ يرى النقاد المحدثون أن عالم الحيوانات محاكاة للعالم الإنساني وما فيه من قيم ومفاهيم. ومع ذلك فلا يجب أن تقتصر رؤيتنا للصقر على أنه مجرد رمز للقيم والمفاهيم الإنسانية كي لا نخرجه من تصنيفه الحقيقي كطير يعيش بشكل طبيعي. فهو يطير، ويتكاثر ويتنفس ويصيد.. إلخ. وليس لدى طيور الحمام ما للصقر من رموز مليئة بالقيم الإنسانية. وككائنات حية، فالصقور الحقيقية تكره وأحياناً تقاوم المعاني التي ألحقها الناس بها.

فصورة الصقر بمنكبيْه العريضين ونظرته الثاقبة وهو ينظر في صمت فوق أحد جذوع الأشجار اليابسة أو فوق نتوء صخري هي بلا شك صورة ساحرة، وعندما يحلق في الهواء ويأتي بهذه المناورات والحركات الرائعة في الهواء فإنه يكون قيد الناظرين. كتب عالم الطبيعيات / كيث و. ريتشموند W.Kenneth Richmond عن ذلك قائلاً «عند مقارنتنا بالصقور، فإننا نبدو مخلوقات أقل درجة، لأن الصقور تمتاز بالقوة والجرأة والجمال والدم الساخن الذي يجعل منها مخلوقات نبيلة». من الممكن أن تتحول هواية مشاهدة الصقور إلى إدمان. أما بالنسبة لتربية الصقور فالأمر أبعد من كونه مجرد نشاط يمارسه شخص أصابه عشق الصقور. يذكر لنا في هذا الصدد الكاتب / ستيف بوديو Steve Bodio حكاية عن رجل قام بعرض صقوره Jehovah Witnesses معلناً بكل فخر «هذا إلهي الذي أعبده». إن هذا الأحساس الديني يبلغ ذروته في رواية (The Peregrine) للكاتب / جي أيه باكر J. A. Parker ويعد هذا الكتاب عن التاريخ الطبيعي يوميات أحد الأفراد المهووسين بتعقب صقور الشاهين في الشتاء في إيست أنجيلا. ومن بين اليوميات التي تشكل جوهر علاقة الإنسان مع ربه اعترافات سانت أوجستين أو بحث جريل (Grail) إذ تشكل هذه اليوميات رحلة النفس إلى السمو وبحث الإنسان عن الله.

ومن خلال هذا الأسلوب المتسلسل والمنظم يتابع بيكر بحثه عن صقور



صقر أبيض وهو gyrfalcon وهو أكثر أنواع الصقور احتراماً. وقد أمسك به أحد الباحثين في ساحل جرين لاند كجزء من دراسة هجرة الصقور. ويبدو الباحث في الصورة وهو على وشك إطلاق أنثى الصقر هذه.

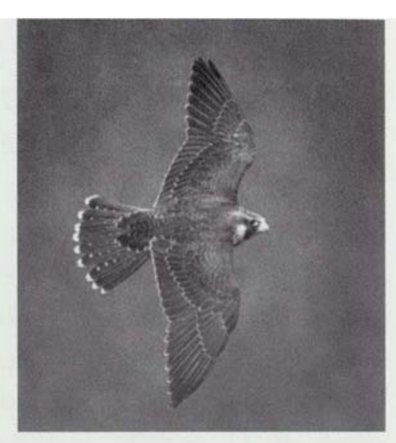
الشاهين يوماً بعد يوم. وقد عثر بيكر على آثار لصقر الشاهين في الأماكن التي وجد فيها ريشاً وبعض مهاراته القديمة. وفي رحلة بحثه عن الصقر كان بيكر يحاول استخدام كل ما يقربه من الصقر سواء كانت ملابس، أو طقوساً أو أفعالاً. وينتقل بيكر في طريق رحلته حاملاً بداخله قوة الصقر لكي يبث الحياة في الأرض الهامدة من خلال التوحد مع أسراب الطيور المحلقة في الهواء. وهو يدعي التواضع - فتصبح يومياته يوميات رجل خفي أصبح معتاداً بشكل كبير على الصقور التي يشاهدها في رحلته اليومية، لدرجة أنها أصبحت تثق فيه بعد أن صارت جميعاً جزءاً من المكان الذي يتحرك فيه. وأخيراً وفي نهاية الكتاب وبحلول الليل يحل عيد الغطاس. ويشعر بيكر بثقة مفرطة بأنه سوف يعثر على صقر الشاهين بالقرب من الساحل، حيث يسمع صدى نداء داخلي يدفعه ليلاً للخروج باحثاً في هذه المناطق. وهناك يعثر على الصقر، ويقترب منه في بطء إلى أن يقف في مواجهتة فيجده قابعاً في كومة من الحشائش ويتقبل الصقر وجود بيكر ويغمض عينيه مرة أخرى ليعود إلى سباته ولكن بعد أن يشعر بيكر بالرضا والسعادة.

لكن ما هذا الحيوان الذي يثير كل هذا الكم من المشاعر؟؟ لقد تطرقت في الفصل الأول إلى بعض الصفات البيولوجية والبيئية للصقور، وفي بقية الكتاب سوف أستعرض كيف أثار الصقر فضول وتطلعات الآخرين مما جعله أكثر من مجرد طائر.

1- التاريخ الطبيعي

هناك تشابه بين الأنواع المختلفة لعائلة الصقور (Falconidae) التي تصل إلى ستين نوعاً، لكن صلتها بباقي الطيور النهارية مثل الباز والنسر بعيدة. إذ يرى بعض الباحثين أنها أكثر قرباً من البومة كونها تتنوع بشكل كبير من حيث الشكل والعادات، بداية من الصقور التي تغير على المخلفات وتلك الشبيهة بالنسور إلى صقور الغابات الاستوائية، وهي تشترك جميعاً في بعض الصفات الخاصة مثل العقد العظمية في المنخر ونمط تكوين الريش الفريد الذي يميزها عن باقي الأنواع الأخرى. ويقع ضمن تصنيفات عائلة Falconidae الصقور الحقيقية لطبقة فالكو Falco. ومن المعتقد أن هذه الأنواع تطورت في مرحلة لاحقة، ربما منذ سبعة أو ثمانية مليون عام عندما تسببت التغيرات المناخية في إنبات ملايين الأفدنة من غابات السافانا. فحدث تطور كبير لأشكال عديدة من الصقور التي استفادت من هذه المناطق المفتوحة.

في العادة يتم تقسيم الصقور إلى أربع مجموعات فرعية هي: الصقور صغيرة الحجم، والصقور الضئيلة القاتلة (merlins)، ومجموعة (kestrel) والمجموعة الرابعة هي المجموعة التي نحن بصدد الحديث عنها «وهي الصقور كبيرة الحجم» التي يمكن تقسيمها أيضاً إلى مجموعتين هي صقور الشاهين (Peregrines) وصقور الصحراء. mكلتاهما تمتاز بالسرعة الكبيرة في الطيران، والعيون السوداء، ومهارة الصيد. وتختص صقور الشاهين بصيد فرائس الطيور بينما تختص صقور الصحراء بالثديات والزواحف والحشرات. وكغيرها من الطيور الجارحة فإن كلتا المجموعتين تتسم بنفس خصائص الطيور الجارحة من حيث كبر حجم الأنثى عن الذكر.



صقر شاهين صغير أثناء رحلتة فارداً جناحيه الكبيرين ووجنتاه سوداوان وهو الشكل المميز لهذا النوع من الصقور.

ويحاول علماء البيئة على مدار عدة سنوات تفسير هذه الصفة. وقد يكمن السبب في أن الإناث قد تفضل الذكور صغيرة الحجم لأنها لا تشكل تهديداً كبيراً لها ولصغارها. وربما كان هذا الأمر ناتجاً عن المنافسة بين الإناث القوية والذكور التي تسيطر على المناطق الجيدة، ولقد استقر الأمر لصالح الإناث الأكبر حجماً. وهناك نظرية أخرى تفسر كبر حجم الإناث في ضوء أن للإناث القدرة على قنص الفرائس كبيرة الحجم، بينما تختص الذكور بصيد الفرائس الصغيرة ومع ذلك فهذا ليس سبباً منطقياً في كبر حجم الإناث عن الذكور. ولفظ Tiercel الخاص بالصقر الذكر مشتق من اللفظ الفرنسي Tercuel المشتق أصلاً من اللفظ اللاتيني tertius، ويقصد به «الثلث»، إذ تكون الصقور الذكور أصغر بمقدار الثلث من الإناث».

تذكر العلوم الغربية وجود حوالي عشرة سلالات ضمن هذه المجموعة الكبيرة من الصقور، لكن ما هي طبيعة العلاقة الموجودة بين هذه السلالات المختلفة، وهل من الممكن اعتبار شكل معين من هذه الصقور سلالة قائمة بذاتها أم أنها مجرد أنواع لسلالات أخرى؟

إن القول بأن أنواعاً معينة من الصقور المهجنة مثل Gryfalcons و Falcons sake لديها القدرة على التناسل التام لن يساعدنا في حل هذه

المعضلة.. وقد يدفع ذلك الأمر البعض للتسائل: ما جدوى الانشغال بوضع تعريفات دقيقة لسلالات الصقور؟. يجب أن نعرف قبل بدء أول خطوة في طريق البحث في جذور هذه السلالات المختلفة أن الصقور قد وجدت منذ ملايين السنين، ومن أجل الحفاظ عليها لابد من وضع تعريف ثابت لها بحيث يتم وضع الأطر القانونية التي تحمي هذه الصقور من الانقراض. ويجب أن ندرك أن الكثير من مجموعات الصقور مهددة اليوم بالانقراض بسبب ما تلاقيه من مطاردة مباشرة ومستمرة. لكن المعضلة تكمن في أن بعض أنواع هذه الصقور قد تسقط من التصنيف وفقاً للمصطلح الغربي (Fall through the net) وخير مثال على ذلك الصقر من نوع saker حيث يشكل هذا النوع معضلة واضحة في التصنيفات الغربية سواء على المستوى العلمي أو الشعبي. أما في التصنيف العربي نجد أن هناك حوالي سلالتين أو خمس سلالات للصقر من نوع saker ويستخدم مروّضو الصقور العرب تصنيفاً أكثر تعقيداً يعتمد على حجم ولون الصقر مثل (ashgar) (أشقر)، أو (aukthar) (أخضر)، أو jerudi (مخطط)، أو hurr shami (أحمر)، وما شابه. وقد أدى التهريب غير القانوني لأنواع الصقور العربية ذات الأشكال والألوان الجاذبة في روسيا السوفييتية سابقاً إلى التقليل من أعداد هذه الصقور التي عجزت التشريعات القانونية عن توفير الحماية لها، لأنها تظل خارج التصنيفات العلمية لمجموعات الصقور التي تحظى بالحماية الغربية.

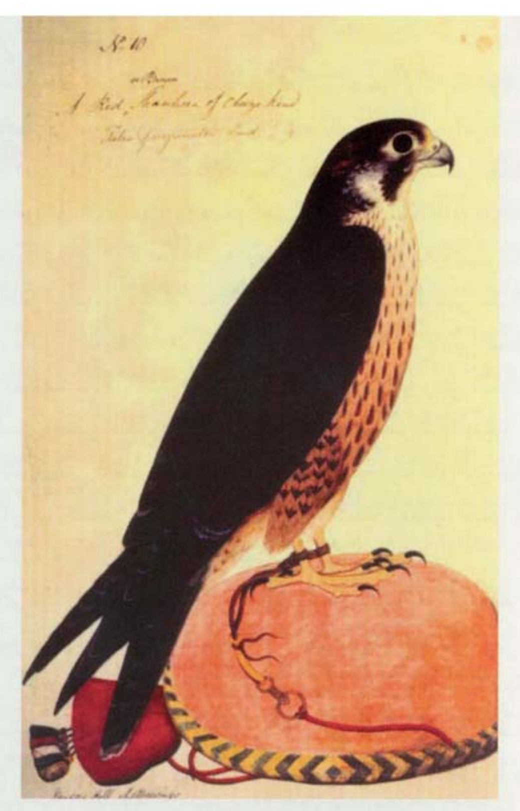
صقور الشاهين (Peregrine)

كتب دبليو كينيث ريتشموند W. Kenneth Richmond أن صقر الشاهين (Peregrine) طائر متناسق الشكل له ريش ناعم، جريء، وبسبب هذه الصفات أصبح الصقر كائناً أرستقراطياً نبيلاً، إذ يشبه البطل جون بوشان أو طياراً بارعاً في الحرب العالمية الثانية. وتعود كثرة الثناء والمديح على الصقر ومنحه صفات النبلاء إلى تراث طويل ضارب في القدم. ففي الجزيرة العربية وإيران، يسمى صقر الشاهين (Peregrine) وتعني باللغة الفارسية (إمبراطور).



صورة صقر بالغ من نوع الشاهين. إن أنثى الصقر البرية هذه تنظر من خلال نافذة مكتب في مدينة تورنتو في كندا.

ويعتقد بيرو لوبيز دي إيالا، وهو مستشار الهيئة الأسبانية لمقاطعة كاستل الخاصة بالصقور أن صقر الشاهين هذا هو أكثر طيور الصيد نبلاً وأفضلها، فهو اللورد والأمير بين طيور الصيد. ثم جاء عالم الطيور الأمريكي، دين أمادون بعد ذلك بسبعمائة عام ليجمع هذه المفاهيم التي لا تخلو من الإعجاب بالصقر، ليصف صقر الشاهين (Peregrine) بأنه أرقى أنواع الصقور، وافترض أنه لابد أن يكون الأكثر تطوراً من مجموعة «فالكو». إن كلمة بيرجرن تأتي من الكلمة اللاتينية التي تعني «الرحالة» وإذا أخذنا بمعيار النجاح عند رجال السياسة الذي يحسب بمقدار الأقاليم التي يسيطر عليها، نجد أن طائر الشاهين (Peregrine) هو أكثر الطيور الحية الناجحة الآن. وباستثناء المنطقة القطبية الشمالية وأيسلندا وبعض الجزر في المحيط، فإن هذه السلالة موجودة في كل قارة وبتنوع كبير من الأشكال. وهذه المجاميع تختلف في ألوانها ما بين اللون الشاحب، وصقر الشاهين الشيلي ذي الجبهة البيضاء إف بي كاسيتي، إلى صقر الشاهين في مدغشقر ذي اللون الأسود إف بي راداما. وتميل ألوان صقور الشاهين (Peregrine) التي تعيش في مناطق خطوط العرض الاستوائية الرطبة إلى اللون الداكن بشكل أكبر من تلك الصقور التي تعيش في المناطق



طيور الشاهين الصغيرة لها أجزاء سفلية ذات شكل مخطط كما هو واضح في هذه الصورة المرسومة بالألوان المائية في أوائل القرن التاسع عشر في الهند وفي نمط تانجور.

الشمالية أو المناطق الجافة. وتشمل أنواع الشاهين الصحراوية طائر الصقر بارباري ذا الكتفين العريضين ولونه كلون الصدأ مع قليل من اللون الأزرق إف بريجلينودز من شمال إفريقيا، وفي جبال إيران وأفغانستان نجد صقر الشاهين ذا اللون الأحمر في مؤخرة العنق إف بي بابيلونيكس.

وفي إيران يسمى هذا الطائر الشاهين - أي كوهي، ويعني شاهين التلال وذلك تمييزا له عن الشاهين البحري، أي شاهين البحر وهو صقر الشاهين المهاجر من المنطقة القطبية الذي يقضي الشتاء على سواحل إيران.

صقر الصحراء

يعتبر صقر جيرفالكون gyrfalcon أكبر الصقور وأكثرها إثارة للإعجاب وهو عضو من مجموعة فرعية «فالكو» تتسم بالريش الناعم وتعرف بأنها صقور الصحراء، وذلك لأن هذه السلالة تسكن بصفة عامة في المناطق الجافة. إن صقر جيرفالكون (gyrfalcon) - فالكوراستيكولاس Falco rusticolus هو طائر ضخم، وتكون الأنثى في هذا النوع بحجم نسر صغير تقريباً. وتعيش صقور الجير في المنطقة القطبية والمناطق شبه القطبية حيث تكون الفرائس نادرة وتنحبس المياه بداخل الثلج في معظم أيام السنة. ولدى هذا النوع من الصقور القدرة على التكيف بشكل كبير مع ضرورات هذه البيئة وله ريش سميك وعميق في الصدر ويغطي القدمين تماماً عند جلوسها. وتستحم هذه الصقور بحيوية في مياه الثلوج التي ذابت حديثاً وهي تصطاد بصفة خاصة طائر الترمجان، وأنواعاً من القوارض تسمى ليمنجز، وكذلك أرانب المنطقة القطبية، لكنها تأكل أيضاً الأسماك والحشرات الباحثة عن الطعام من الجثث المجمدة.

ويمر لون صقور الجير بعدة مراحل ترتبط جميعاً بأصلها الجغرافي. ونجد أن طيور أوبسوليتس (obsoletus) في أقصى أمريكا الشمالية يميل لونها إلى الأسود. وتوجد أشكال رمادية وفضية بينها. وتأتي من شمال جرين لاند وكامشتكا طيور بيضاء ناصعة ذات أكتاف سوداء مخططة وكذلك في ريش الجناح وهي تسمى كاندي كانز. وكانت هذه الطيور تسمى لترودوس في أسبانيا في القرن السابع عشر ذلك لأن العلامات الموجودة في ظهرها تبدو مثل علامات القلم، إن حجم وجمال صقر جيرفالكون قد منحه موضعاً مرموقاً في كل الثقافات الخاصة بالصيد بالصقور، وذلك في العصور الوسطى في أوروبا وكانت تلك الصقور تفضل بشكل خاص في صيد الطرائد الكبيرة مثل الحدأة الحمراء (ملفس ملفس) أو طائر الغرنوق.

وفي هذه الأيام تقدم صقور الجيرز من حين إلى آخر كهدايا لكبار الشخصيات في دول الخليج وذلك بواسطة الحكومات وشركات النفط، ولقد كانت تلك الصقور من بين أكثر الهدايا الدبلوماسية قيمة من القرن الحادي

ريشة من ذيل صقر جيرفالكون في مرحلة اللون الرمادي.



صقر هيرمان جورنج الأبيض اللون وهو مرسوم بالألوان الزيتية بواسطة الفنان رينز والر.

عشر وحتى القرن الثامن عشر. في عام ١٢٣٠ تلقى الملك إدوارد في إنجلترا ثمانية صقور رمادية وثلاثة صقور بيضاء من نوع جير فالكونز وذلك من النرويج. وفي الحال قام الملك إدوارد بإرسال أربعة صقور رمادية منها إلى ملك كاستل واعتذر لعدم استطاعته إرسال الصقور البيضاء لأنه قد فقد تسعة من صقوره الخاصة منذ وقت قليل.

وكانت الصقور تستخدم بشكل كبير في المفاوضات الدبلوماسية، فقد أرسل الملك تشارلز الثالث ملك فرنسا صقوراً نرويجية من نوع جيرفالكون إلى باجازت كفدية من المارشال دي بوسي كولت ودي لا تريمول وذلك بعد معركة نيكوبول في عام ١٣٩٦، واستعاد دوق بيرجاندي حرية ابنه وهو دوق نيفرز وذلك بإرسال عدد ١٢ صقراً أبيض من نوع جيرفالكون إلى آسري الدوق من الأتراك. وفي السنوات التي تلت ١٩٣٠ خطط جورنج إلى إطلاق صقور جيرز البيضاء في جبال الألب الألمانية وكان جورنج مقتنعاً بأن هذه الصقور الأقوى والأكبر لابد أن موطن أسلافها كان في ألمانيا. إن الأساس الإيديولوجي لهذه المقدمة البيئية لا يعد مريحاً وذلك أقل ما يقال. إن الصورة التي رسمها رينز والر لصقر جورنج الأبيض من نوع جيرفالكون، وهو يستحم في ضوء الشمس في الجبل، يتوافق بشكل مزعج مع الأعراف الفنية الخاصة بالتصوير الاشتراكي القومي.

أما النوع الآخر من الصقر الصحراوي، صقر sakr فهو «فالكوشيرج» cherrug falco وهو الطائر التقليدي المحبب لهواة الصقور العرب ويتم صيده عن طريق الفخاخ في فصل الخريف أثناء الهجرة عبر الجزيرة العربية إلى الأراضي التي يقضي فيها الشتاء في شرق أفريقيا، ويعرف هذا الطائر بين هواة الصقور من البدو باسم «الصقر» وتعيش تلك الصقور في بادية الأراضي العشبية وفي الغابات المفتوحة من شرق أوروبا وحتى آسيا.

وكصقور الجير فإن تلك الصقور تأتي في تنوع كبير من الأشكال. وتتسم الصقور التي تعيش في الأراضي المنخفضة الغربية باللون البني والظهر المستوي والحجم الكبير، واللون الأحمر الداكن بينما تلك التي تعيش في الأراضي المرتفعة الشرقية تكون مخططة ومتعددة الألوان. ويتسم هذا التوزيع



صقر أبيض من نوع
جيرفالكون يقوم
بمهاجمة إوزة في التندرا.
صورة على الحرير
بواسطة ين إكسي،
عصر التعدين.

بالتعدد والتنوع. وتغلب على تجمعات الصقر العربي الألوان المنقطة أو المخططة أو البنية أو الرمادية أو البرتقالي المحروق ومعظمها طيور سوداء وطيور حدث لها تبييض بفعل الشمس حتى صارت قريبة من اللون الأبيض.

والصقر من نوع التي فالكوالتيكس، هو طائر أسود مشابه لصقر جري ويأتي من المنطقة الروسية المعروفة باسم تورول في منغوليا. أما في الهند وباكستان فإن الصقور الصحراوية تتمثل في صقر، فالكوجر (Falco jugger)،وهو صقر ذو ريش ناعم بني اللون وأصفر شاحب وهو يتغذى على السحالي وكذلك على الطيور والثدييات الصغيرة.

وفي المناطق الجافة وشبه الجافة في أفريقيا وجنوب أوروبا نجد أن نظيره هو صقر لانر، فالكوبيامبكس Falco biarmicus، وهو ذو اللون الأزرق الضارب إلى الرمادي واللون الوردي المشابه للسالمون. وطبقاً لعالم طيور متخصص فإن صقر اللانر كثيراً ما يوقع طيور الصحراء في الفخ عند الحفر المائية وهو معروف في فن الصيد باستخدام الصقور، بمزاجه الجيد. وقد تفاخر إدموند بيرت الصياد باستخدام الصقور في القرن السادس عشر أن صقوره من نوع الباز المدربة كانت اجتماعية ومألوفة مثل صقر لانر. إن صقر البراري في أمريكا الشمالية، فالكوميكسيكانس (Falco mexicanus)، مشهور بالسخط والاستياء في



«الصقر» العربي وهو السلالة التقليدية لفن الصيد بالصقور في الجزيرة العربية.

عالم الصيد بالصقور فهو معروف بسوء المزاج.

ويعيش صقر لانر في سهول وصحارى غرب أمريكا ورغم أنه يحمل تشابهاً سطحياً مع الصقر العربي وينسب تقليدياً لمجموعة صقور الصحراء إلا أن الدراسات الجينية الحديثة قد أوحت أن تلك السلالة ترتبط بشده بصقر الشاهين.

تعتبر أستراليا موطناً لعدد من الصقور الكبيرة التي يصعب أن ننسبها إلى أيٍّ من صقور الصحـراء أو فئة الشاهين مثل الصقر الأسود إف سبـنجر (F. subniger)، والصقر الرمادي إف هيبوليوكس (F.hypoleucos). أما الصقور الأسترالية الأخرى فقد تطورت بحيث تستغل أعشاش الضواري في أي مكان تملؤه الصقور من نوع الهوك البازرد الجوالة وبصفة خاصة صقر نيوزيلاند الذي يشبه صقر الهوك، «الباز» والذي يدعى إف نوفاسيلاندي (F.novaseelandie). ويتعرض الكتاب لهذه الصقور مع أنواع أخرى من الصقور كبيرة الحجم بشكل محدود. لأن تاريخها الثقافي أقل ثراء عن السلالات التي قمنا بمناقشتها من قبل وأما علاقتها مع المجتمعات الأصلية فلم يتم توثيقها، مما يدعو إلى الأسف ذلك أنه يوجد القليل من الاتصال بينها وبين بني البشر.

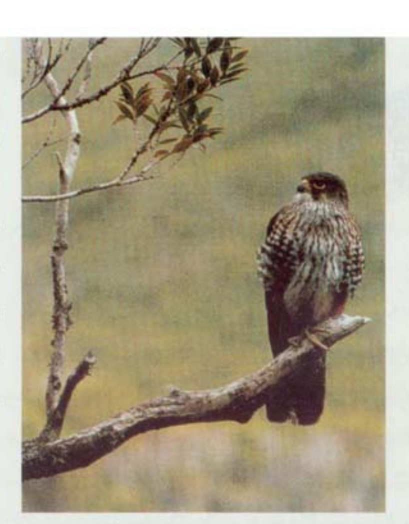


الطبعة الحجرية من القرن التاسع عشر بواسطة جوزيف ولف لصقر لانر، وهو بالغ من أمام الصورة وطائر غير ناضج يتنازل طائر السمان من الخلف.

فمثلاً نجد أن صقر إف ديرولوكس ذا الألوان الثرية والرجلين الضخمتين والصدر البرتقالي هو سلالة يعود اللغز الخاص بها بشكل جزئي إلى صعوبة وظيفة علماء الأحياء في العثور عليه في موطنه البعيد من غابات أمريكا الجنوبية.

ما هي حياة الصقر؟

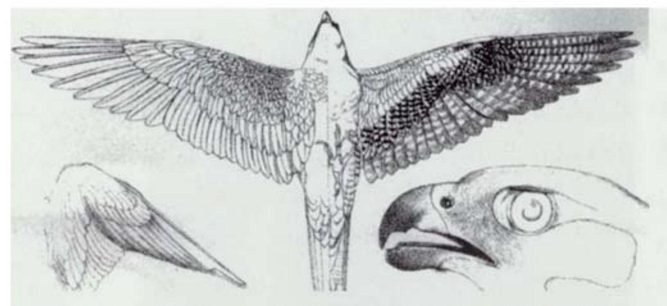
فلسفياً لا يمكن القول جزماً أنك تفهم حياة شخص آخر على الوجه الأمثل. أما إذا تعلق الأمر بحياة الحيوان فسوف يبدو الأمر عبثياً. لكنها سوف تكون بلا شك محاولة جيدة أن نحاول أن نفهم. إن إحساسنا العام بالتشابه بين الصفات البشرية مع تلك الموجودة عند الأجناس الحيوانية الأخرى سوف يجعل هناك أوجه شبه بين عالم الصقر وعالمنا إلى حد ما. ولكن الدلائل المتوفرة تشير إلى أن العالم الحسي للصقر يختلف عن عالمنا بقدر اختلافه عن عالم الخفاش أو النحل الطنان. إن إحساسها العالي والأنظمة العصبية تعطيها ردود أفعال سريعة بدرجة كبيرة.



صقر نيوزيلاند فوق الجزيرة الجنوبية. إنه السلالة الوحيدة من الصقور الأصلية في نيوزيلاند وهو مهدد من ناحية الدمار البيئي وعبر الغارات على الأعشاش بواسطة حيوان البوسوم.

فعالمها يتحرك بسرعة أكثر عشر مرات من عالمنا ولذلك فإن الأحداث في الزمن التي ندركها مثل اليعسوب الذي يمر أمام أعيننا هي أكثر بطأ بالنسبة لها. إن مخنا البشري لا يستطيع أن يرى أكثر من ٢٠ حدثاً في الثانية الواحدة أما الصقور فإنها ترى من ٧٠ إلى ٨٠ حدثاً في الثانية وهي قادرة على إدراك ٢٥ صورة في الثانية من الصور المتحركة فوق شاشة التلفزيون. إن رؤية الأشياء بشكل أقرب مما نفعل نحن تسمح للصقور أن تمد قدمها بسرعة كبيرة لكي تمسك بطائر أو يعسوب وهو في الجو.

وعندما تثبت الصقور عيونها على هدف ما فإن من شيم الصقور أن تحرك رأسها إلى أعلى وأسفل عدة مرات، وعندما تفعل ذلك فإنها ترسم صورة مثلثة للهدف وتستخدم حركة اختلاف المنظر باختلاف المكان لتأكيد المسافة. إن حدة البصر لدى الصقور أمر يدعو إلى الدهشة. إن العوسق وهو نوع من الصقور يمكنه أن يحدد حشرة بمقاس ٢م على بعد ١٨ متراً منه، فكيف يكون ذلك ممكنا؟ قد يكون السبب في ذلك جزئياً هو حجم العيون ذلك أنها ضخمة جداً لدرجة أن خلفية كل مدار تضغط نحو الأخرى في منتصف الجمجمة.



علم تشكل صقر الشاهين بواسطة جوزيف وولف. لاحظ سن التوميال في المنقار الذي يستخدم في كسر عنق الفريسة.

أما الشبكية فهي عديمة الأوعية، وذلك لكي تمنع الظلال أو تبعثر الضوء. وبدلاً من الأوعية الدموية فإنه يتم الاستعاضة بالمغذيات لخلايا الشبكية وذلك عبر هيكل بارز ومنثني ويسمى البكتين. إن الخلايا الحسية البصرية للصقور مجمعة بشكل كثيف جداً أكثر من التي لدينا كبشر وخاصة المخروط الحسي للألوان وبينما يوجد لدينا نحو ٣٠٠٠٠ مخروط في أكثر أجزاء الشبكية حساسية وهي النقيرة، نجد أن الكواسر لديها حوالي مليون من المخاريط. وزيادة على ذلك نجد أن كل خلاياها المستقبلة للصورة لها تمثيل منفرد في المخ وترتبط خلايا المخروط بنقاط زيتية ملونة تأتي لكي تزيد التناقض حدة وتخترق الغيم أو قد تحمي هذه الخلايا من الأشعة فوق البنفسجية. وبينما نجد أن الإنسان لديه نقيرة واحدة نجد أن الصقور لديها نقيرتين، وهكذا ترتكز صورتان من هذا الهدف المفرد على تلك النقيرات وتندمج في المخ لكي تنتج صورة حقيقية مجسمة. وزيادة على ذلك فإنه يوجد خط أفقي متزايد الحساسية بين هاتين النقيرتين ويعتبر نوعاً من النقيرة ذات الغشاء التي تجري فيما بينهما. وهذا يسمح للصقور بالقيام بمسح الأفق دون تحريك رؤوسها وتستطيع الصقور ليس فقط رؤية الأشياء بشكل أوضح من الإنسان ولكنها أيضاً تستطيع رؤية الأشياء بشكل مختلف، فمن المعتقد أنها ترى الضوء الاستقطابي وهو المهم للملاحة في السماء الملبدة.

وهي ترى أيضاً الألوان فوق البنفسجية. وبشكل عام فإن الصقور لديها عالم من الظواهر المختلفة تماماً. إن لدى البشر ثلاثة مستقبلات مختلفة لألوان الأحمر والأخضر والأزرق وكل ما يمكن أن نراه يتألف من هذه الألوان الثلاثة

أما الصقور فهي تملك مثل الطيور الأخرى أربعة. ونحن لدينا رؤية ثلاثية الأبعاد للألوان لكن الصقور لديها أربعة وهذا ما يصعب أن نفهمه. ويعتبر الدكتور آندي بينت وهو باحث في مجال رؤية الطيور، الفرق بين رؤية الإنسان ورؤية الطيور بأنه كالفارق الذي يوجد بين التلفزيون الأبيض والأسود والتلفزيون الملون وباستخدام اصطلاحات وظيفية سهلة نقول إن الصقر لديه زوج من العيون وضعت في إطار جوي تمت هندسته بشكل كامل وتمت حراسته بشكل جيد.

إن منقار الصقر قوي للغاية ويمكن لأي فرد تعرض لنقرة صقر أن يقر بذلك. ويتلاءم البروز الحاد في الفك العلوي مع الانبعاج الداخلي في الفك السفلي. إن الأسنان الحادة للصقر تستخدم لتمزيق فقارات الضحية وهي وسيلة ذات كفاءة في توجيه ضربة قاضية للفريسة توفر على الصقر حدوث صراع على الأرض وتكسير الريش. تختلف أبعاد المنقار بين السلالات والأنواع فصقر الشاهين في مناطق خطوط العرض الجنوبية لديه مناقير ضخمة بنسبة ملحوظة أكثر من طيور الصقر في المناطق الشمالية وقد كان يظن أن ذلك تكيف من أجل قتل الفريسة الخطيرة مثل الببغاء والسبب في هذه المبالغة مايزال غامضاً ومع ذلك يوجد ترابط قوي بين شكل القدم ونوع الفريسة ذلك أن السلالات القاتلة للطيور مثل صقر الشاهين وصقر لانر لديها ساقان قصيرتان نسبياً لكي تتحمل تأثير الاصطدام بالفريسة وهي مسرعة، أما أصابع قدميها فهي طويلة ونحيفة وفي كل جانب من أسفل كل إصبع وسادة من الجلد تتناسب بشدة مع منحنى المخلب عندما يطبق بإحكام وبذلك يعطي للطائر وسيلة آمنة لزيادة قوة الريش. أما الصقور العربية والجريز فلديها أصابع قدمين أكثر قصراً وأكثر كثافة نسبياً وكذلك سيقان أطول وذلك ترتيب أفضل من أجل اصطياد الفريسة الثديية في الثلوج والأعشاش والأشجار الخفيفة في البادية، وأصابع القدمين في تلك الطيور لها آلية وتر ماسكة، فبعد الجهد الأول لإطباق القدم بإحكام باستطاعة الصقر أن يمسك بها وهي مغلقة دون جهد عضلي وتلك إستراتيجية شديدة القيمة لنقل الفريسة في الطيران أو في حالة النوم فوق فرع في أثناء الرياح العاتية.

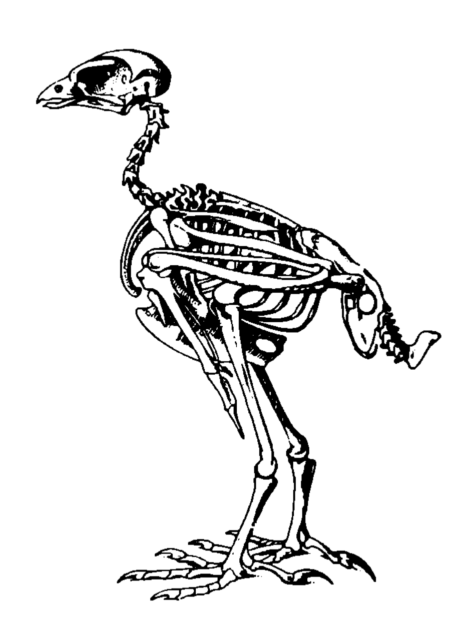
وعند الراحة تقوم الصقور في العادة بثني أحد قدميها إلى أعلى تحت

ريشها بحيث تكون غير مرئية وفي كثير من الأحيان نجد أن الزوار لمراكز فن الصيد بالصقور يسألون العاملين بالمراكز لماذا يوجد لديهم الكثير من الصقور بقدم واحدة فقط.

إن الهيكل العظمي للصقر خفيف وقوي ويتكيف بسرعة مع متطلبات الطيران. تندمج فيه بعض العظام، أما العظام الأساسية فهي جوفاء وممتلئة بالهواء ومدعمة بدعامات عظمية وهذه العظام المملوءة بالهواء مرتبطة بنظام التنفس للطائر، ولأنها في الحقيقة مرتبطة بأن الطائر الذي يعاني من كسر مركب في الجناح أو الساق يستطيع أن يتنفس من خلال الطرف المكشوف من العظام. إن العضلات الضخمة للطيران والتي تشكل حوالي ٢٠٪ من وزن صقر الشاهين ترتبط بعظم الصدر ويتم تغذيتها بالأوكسجين من جهاز تنفسي عالي الكفاءة. إن الجهاز التنفسي في الصقور يختلف عن الجهاز التنفسي لدينا فهو يختلف عن نظام الشهيق والزفير في رئة الإنسان نظراً لأن الهواء يتم سحبه باستمرار وفي اتجاه واحد نحو الرئتين عن طريق سلسلة من الأكياس الهوائية التسعة ذات الجدران الخفيفة في كل أنحاء الجسم، وهذه أيضاً لها وظيفة لتنظيم الحرارة. وبصفة عامة فإن الأنظمة التنفسية والتدويرية في الصقور هي أكثر كفاءة بشكل كبير عمّا نمتلكه كبشر. وبرغم المعدل الكبير للأيض لدى الصقور فإنها تتنفس بنفس المعدل مثلنا.

إذا قارنا الصقور بالطيور الأخرى نجد أن الجهاز الهضمي لدى الصقور قصير ذلك لأن من السهولة بمكان بالنسبة للصقر أن يتم هضم اللحوم ولا تستطيع الصقور أن تهضم الريش والفراء فهذه يتم تخزينها ثم تلفظ من الفم على شكل حزمة محكمة بعد ذلك بساعات، والصقور لا تشرب كثيراً ذلك لأن معظم الرطوبة التي تحتاجها يتم امتصاصها من الفريسة. اقتصادها في الماء مسألة تدعو إلى الإعجاب. وتستطيع الصقور أن تفرز حامض البوليك ٣٠٠٠ مرة أكثر ممّا هو مركز في مستويات الدم لديها وهذا حمض يكفي لإحداث حفرة في الصلب. إن غائط الصقر أو «طباشير الصقر» بحسب طريقة تعبير هواة الصقور يتكون من مادة برازية مع معلق طباشيري من بلورات حامض البوليك.

الهيكل العظمي لصقر الشاهين



الطيران

ما هي الخاصية المميزة التي يتمتع بها الصقر؟

إن أجسام الصقور تعتبر ثقيلة بالنسبة إلى مساحة أجنحتها. فشكل الصقر أثناء التحليق ليس ثابتاً بحيث يأخذ شكلاً ثنائياً لحرف V المقلوب أثناء التحليق، وكذلك للنسور والعقبان عالية الارتفاع. وتتسم أجنحة الصقور بكبر امتدادها وهي النسبة بين امتداد الجناح وعرض الجناح. إن أجنحتها المحدبة إلى أسفل طويلة ومدببة ونتيجة ذلك هو توافق في الانقضاض إلى أسفل يتناسب مع الطيران برفرفة مع انزلاق سريع وذلك أكثر من الارتفاع بسرعة، ولكن تحرز الصقور الارتفاع عن طريق استخدام أجنحتها بشدة أو الحركة إلى أعلى من قمم الصخور والتلال. وعندما تكون الصقور غير مرئية من الأرض لأنها في عليائها في الارتفاعات الشاهقة، تقوم بالانقضاض فوق الفريسة.



الصقور المهاجرة لمسافة طويلة تميل إلى أن يكون لديها أجنحة طويلة وأكثر ضيقاً عن تلك الصقور في التجمعات غير المرتحلة وفي الصورة نجد صقراً بجانب أسود وهو يطير خلال ممر جبلي في المناطق الشمالية من باكستان.

تم اقتباس التكتيكات التي يقوم بها الصقر عند الصيد وذلك في كتيبات التكتيكات التي استخدمها الطيارون في الحرب العالمية الأولى والثانية. فالأماكن التي يمكن الاختباء فيها في السماء قليلة. وغالباً ما تقوم الصقور بالانقضاض من أعلى كما لو كانت تطفو خارجة من الشمس. وتتخذ أسراب الطائرات المقاتلة في سلاح الجو الملكي المواقع العليا فوق طائرات العدو وتشكيلاته من أجل القيام بنفس الهجوم. وتستخدم الصقور كثيراً ما يسمى بالنقطة العمياء في هدفها لكي تتقدم نحوه دون أن يلاحظ ويكون ذلك من الاتجاه الخلفي وإلى الأسفل وتطير نحو الهدف السفلي وبالمثل فإن تكتيكات منطقة القتال (راف) في معركة فرنسا كانت تتطلّب من المقاتلات أن تطير في المنطقة العمياء للقاذفات ٢٤٠٠ قدم من الخلف، ١٠٠ - ٢٠٠ قدم أسفل قبل القيام بالهجوم. ولكي تتقدم من الفريسة على الأرض تنزلق الصقور بسرعة

وأجنحتها لا تتحرك.

وأحياناً تخدع الفريسة وهي تحاكي أسلوب طيران الطيور التي لا تسبب ضرراً وذلك لكي تتقدم من الفريسة دون أن تثير الشك. وبمجرد الوصول إلى الفريسة فإن الصقر يقوم بالإمساك بها وهي في الهواء أو يقوم بضربها بعنف بإحدى قدميه أو بكلتيهما. وبالسرعة الكبيرة التي يصل إليها الصقر المنقض فإن تلك الضربة تقتل الفريسة في الحال. إن الصقور التي تعيش في البيئات المحصورة لديها أجنحة أكبر وذلك أكثر طولاً وذلك توافق في الطيران يلائم الدوران السريع في عالم من المصاعب وهذا يظهر جلياً في صقر نيوزيلاندا الذي يستغل العش البيئي الذي يشغله صقر آخر. إن الصقر الشارد يتابع الفريسة بين الأشجار ويقوم بمطاردة الفريسة على الأقدام من خلال الأعشاش. والصقور غير الناضجة لها أيضاً ذيل أكثر طولاً وأجنحة أكثر عرضاً من الصقور البالغة وذلك أسلوب يتوافق مع طرق الصيد التي تعود إلى الطيور التي لا تتمتع بالخبرة: الصقور الصغيرة من نوع الصقر العربي على سبيل المثال تقوم بحركات رباعية أو تحلق فوق الأعشاب الغنية بالقوارض وبعد الطرح الأول لريشها تصبح ذيولها أقصر وتصبح أجنحتها أكثر ضيقاً ويصبح ريشها أقوى وأمتن.



صورة ظلية لجناح سلالات أربعة من الصقور، إن الأجنحة الضيقة والطويلة تلائم الهجوم الجوي والأجنحة العريضة والأكثر استدارة تسمح بالطيران للبحث البطيء.

إن طيران الصقر سريع ومجهد ولقد تم تقدير الطيران السريع في خط مستقيم وعلى ارتفاع منخفض لصقور الجيرفالكون بسرعة ٨٠ ميلاً في الساعة ولكن صقور الشاهين تصل سرعتها في الانقضاض إلى أكثر من ضعفي هذه السرعة. ويفترض أن فتحة الأنف الدرنية العظمية في الصقور تساعدها على التنفس عند تلك السرعات العالية ولكنها قد تبين سرعة الهواء بالإحساس بالحرارة أو تغير الضغط الذي ينتج عن سرعات تيار الهواء الخارجي المختلفة. إن العظمتين الإضافيتين في قاعدة الذيل تعطي الصقر مساحة سطح متزايدة لإرفاق عضلات الذيل القوية الخافضة للسرعة والضرورية من أجل الدوران والوقوف بشدة في طيران المطاردة، ومثل تلك الدورانات تسبب مجهوداً كبيراً على الطائر. وقد قام فانس تكر؛ اختصاصي الإحصاء الحيوي، بوضع جهاز قياس التعاجل ذي الحجم الصغير في طيور الصقر المدربة وذلك لكي يسجل قوى G التي يتعرض لها الطائر عندما يتوقف فجأة بشكل عمودي في أسفل الانقضاض السحيق. إن الدم ينزف من عيون ومخ الطيار البشري عندما يتعرض لفقدان كامل للوعي - G-LOC ويستجمع حوالي GS٦. وقال أحد شهود العيان لتجارب Tucker أن جهاز قياس التعاجل أصبح خارج مجال التسجيل عندما تجاوز الصقر ٢٥ GS وعند هذا الحمل J أصبح وزن الطائر ذي الرطلين يزيد عن ٦٠ رطلاً.

إن طيور العقاب والطيور الأخرى التي تطير عالياً ولكن ببطء، لديها ريش فضفاض وخشن في الجسم وجناح مسنن الحاشية ذو ريش مائل، وهو يقوم بدور جناح الطائرة الصغير لكي يسمح بسرعة الهواء المنخفضة. إن ريش الصقر مع ذلك مشكل بمناسيب متطابقة بإحكام وهي تجعل الطائر في شكل أملس ومصقول ولا يسبب إلا القليل من مقاومة الهواء. وريش الصقر يتم استبداله مرة كل عام وله أنواع متعددة: ريش طويل ومخفف للطيران، وريش عازل للأسفل، وريش بمناسيب مشكلة متطابقة تغطي الجسم بنعومة وتتجمع بشكل كث حول المنقار الذي ينزف دماً جافاً بعد الوجبة و«فيلوبلمز» شبيهة بالشعر طويلة وتكاد لا ترى وهذه مرتبطة بالريش ويتم خدمتها عند قاعدتها بواسطة النهايات العصبية،

ويعتقد أن مدخلاتها الحسية تراقب تدفق الهواء فوق أسطح الجناح لكي تسمح بوجود تعديلات دقيقة في شكل الجناح أثناء الطيران.

إن الصقر يشغل الكثير من وقته بالاهتمام بصيانة ريشه، فهو يهندم شكله وريشه لفترة طويلة ويستحم كثيراً ويربت برفق على غدة منبت الذيل التي تعلو الذيل. إن الصقور المهتمة بهندمة ريشها تلتقط سائلاً من أحماض دهنية، والشمع، والدهن، وتقوم بنثرها على ريشها وبالإضافة إلى جعل ريشها مانعاً للماء فإن ذلك السائل يحتوي على مادة تشبه الفيتامين تحوله الشمس إلى فيتامين د، وهذا يتم التقاطه واستيعابه في الدورة التالية لهندمة الريش. أما بالنسبة إلى ألوان الريش فإن اللون الأسود والبني والرمادي والبرتقالي والأبيض هي الألوان النمطية للصقور، ونجد أن سلالات «لانر» وبعض الصقور العربية ومعظم صقور الشاهين لها أجزاء عليا تميل إلى اللون الأزرق وهذا اللون الأزرق شائع في سلالات الجوارح الأخرى التي تصطاد الطيور ولكن لا أحد يعرف لماذا هي على تلك الحالة. وأحد الخواص المتعلقة بالصقر هي تلك العلامة على شكل شريط في الوجنة، والتي تنساب من أسفل العين وفي بعض السلالات نجدها شاملة لدرجة أن الصقر يبدو مغطى بها وفي أنواع قليلة تكون تلك العلامة باهتة أو حتى مختفية. إن ذلك الشريط يبدو أنه يكافح الإضاءة القوية ومن ناحية وظيفية فإن ذاك قريب من القناع الأسود الذي يرتديه لاعب كرة القدم الأمريكية أسفل عينيه. ويتنوع الجلد العاري حول عيون الصقور وفي أرجلها من اللون الأزرق الباهت أو اللون الرمادي إلى اللون البرتقالي الناصع. إن هذه الألوان اللامعة ربما تكون مرتبطة بالاختيارات المتعلقة بالعرض والتزاوج ذلك لأن الصقور غير الناضجة هي ذات ألوان أقل لمعاناً في أجزائها العارية. والصقور في أول عام من عمرها تكون جوانبها السفلى مخططة أكثر من كونها مقلمة وتكون أكثر ميلا للون البني أو الباهت من الصقور البالغة. إن الريش المقلم والكثيف للصقور البالغة قد يكون مرتبطاً بالعلامات الخاصة بالإقليم بينما ريش صغار الصقور ذو اللون غير اللامع يسمح لتلك الطيور الصغيرة بالتجول وهي نسبياً غير متأثرة وذلك خلال الأقاليم الخاصة بالبالغين من الصقور في

فترة ما قبل إنبات الريش وانتشاره.

الهجرة

يمكن وصف هجرة الصقور بالملحمية. وقد كتبت العديد من الكتابات عن أسباب وأماكن هجرة الطيور. وتشير الدراسات الحديثة إلى وجود مركب جيني قوي مرتبط بتطور سلوك الهجرة في الطيور ولكن يوجد سبب خارجي واضح تماماً لهجرة الطيور وذلك هو الطعام. وفي كيرجستان تنتقل الصقور من نوع الصقر العربي من جبال تيانشان من أول سقوط للجليد في أواخر الصيف وتقوم بتعقب الفريسة في الوديان السفلى وينتقل صقر البراري في جبال روكي إلى ارتفاعات عالية في الصيف ذلك لأن الفريسة الرئيسية توجد في المستويات المنخفضة. إن سناجب الأرض في تاونسند تختفي تحت سطح الأرض لكي تهرب من الحرارة الشديدة. إن التحركات الخاصة بالترحال استجابة إلى موارد الطعام غير المتوقعة هي أيضاً موجودة في الصقور التي تعيش في المناطق القاحلة مثل صقور لانر. أما الصقور التي تتربى في المناطق القطبية فإنها تهاجر لآلاف الأميال في كل فصل ربيع وفصل خريف، وتقفز مثل الضفدع فوق الطيور المقيمة أو شبه المهاجرة في التجمعات على ارتفاعات متوسطة والتي تعيش في المناطق التي لا تخلو من الطعام على مدار العام. وتقوم صقور الشاهين التي تعشش في جرينلاند بالهجرة في فصل الشتاء نحو الجنوب حتى بيرو. أما صقور الشاهين في سيبيريا فإنها تتحرك إلى الجنوب حتى أفغانستان وباكستان وإلى جنوب أفريقيا.

وبخلاف ذلك فإن الصقور التي تعيش في مناطق حيث تتوفر الفرائس على مدى العام تميل إلى الاستقرار والتوطن، أما صقور الشاهين المدنية في منهاتن فلديها مصدر دائم للطعام عبارة عن الحمام المتوافر على مدار العام. وفي بريطانيا تلجأ صقور الشاهين للاعتماد على مصادر الطعام التي أعدها الإنسان في المناطق حيث تكون الفرائس نادرة في موسم الشتاء. إن تجمعات الصقور في المراعي الشمالية قد استفادت من خطوط الطيران التقليدية للحمام المتسابق



صقر يرتاح على سفينة، صورة مأخوذة من فريدريك الثاني، هوهنستوفن دي آرت فيناندي كم أفيباس، لا تزال الصقور المهاجرة تجثم على السفن عند الهجرة.

وذلك مما يسبب حزناً لمنظمي سباقات الحمام. وتعيش صقور الشاهين في جزر الملكة شارلوت ذات الجو الرطب في كولومبيا البريطانية على طيور البحر. أما صقور الشاهين السوداء في سريلانكا الاستوائية الغنية بطيورها فإنها تبقى في أقاليمها التي تربت فيها وذلك طوال السنة.

إن الصقور المهاجرة تتحرك بسرعة وأحياناً تقطع مئات الأميال في اليوم الواحد وذلك عبر اليابسة والمحيط. وفي إحدى النسخ الخاصة بـ دي آرت فيناندي كم افيباس، وضع فريدريك الثاني في القرن الثالث عشر (ماجنم أوبس) رسماً توضيحياً لصقر الشاهين وهو يجثم على أشرعة السفينة، ولاتزال صقور الشاهين وصقور جيرفالكون تهبط على السفن في أثناء هجرتها.

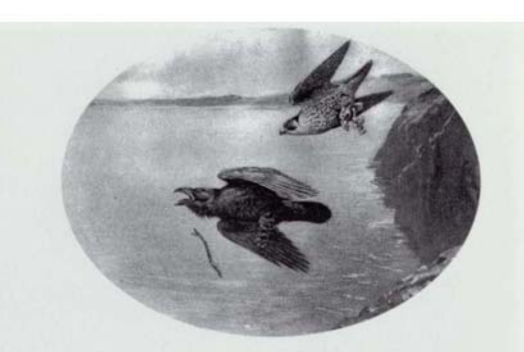
في رحلة عبر الأطلنطي في عام ١٩٣٠ لم يستطع الكابتن لوف ميردث وهو عالم أمريكي مختص بالصقور أن يصدق نفسه عندما هبط صقر من نوع جيرفالكون على سطح السفينة وهي تعبر المحيط الأطلنطي. وقد تم أسر الصقر في الحال بواسطة البحارة وكانت شهرة ميردث في فن الصيد بالصقور قد دفعت الراقصة المشهورة سالي راند للقيام بزيارته وطلب صقر من أجل عملها ومن الواضح أن طلبها قد قوبل بالرفض.

من الواضح أن السفن ليست بيئة ملائمة للصقور. ولكن من الملاحظ أن الصقر من نوع «فالكون» لا يرتبط بأرض بعينها. فمن الممكن رؤية ظل الصقر وهو يحلق فوق مراكز المدن والصحارى والمرتفعات الثلجية في المناطق القطبية وأيضاً في الهواء الرطب في أعلى الغابات الاستوائية. وتميل الصقور الكبيرة للعزلة خارج موسم التزاوج. في حين نجد أزواجاً من بعض السلالات مثل صقر لانر تتعاون في الصيد على مدار العام، وتتجمع صقور اللانر في المناطق الجافة في جماعات أيضاً عند الفتحات المائية حيث تتركز الفرائس وقد تتجمع في مجموعات متفاوتة لكي تأكل أسراب النمل.

التكاثر

يتزامن موسم التكاثر عند الصقور مع توافر الفرائس بكميات كبيرة. وتتولى الصقور تربية صغارها إلى أن ينبت الريش عندما يتوفر الكثير من الفرائس الصغيرة التي ليس لديها خبرة لكي يسهل اصطيادها. وتعود الصقور التي تستوطن المناطق المعتدلة من أقاليمها الشتوية إلى أقاليم تكاثرها في وقت مبكر من العام حيث يترافق كل زوجين معاً وتقوم الأنثى بوضع البيض في الربيع. ويكون إقليم التكاثر عادة أكبر من الإقليم الشتوي للطيور الفردية بسبب حاجة الأزواج إلى كميات كبيرة من الطعام من أجل إطعام الأسرة. ويختلف حجمها بحسب مدى توفر الفرائس في البيئة المحيطة. وتقل مناطق التكاثر لصقر البراري بمقدار ٣٠ أو ربما يزيد حتى ٤٠٠ كم مربع.

وتحتوي هذه المناطق على عدد كبير من المناطق التي يوجد بها الكثير من الأعشاش التي يتم استخدامها من عام إلى آخر. ويكون العش إفريزاً أو نتوءات صخرية عارية في فتحات الصخور أو عند شواطئ النهر أو من الأعشاش التي يعاد استخدامها وهي تنتمي أساساً للطيور الأخرى الكبيرة مثل الغراب أو النسر فالصقور لا تبني أعشاشاً خاصة بها. وتعشش بعض تجمعات صقور الشاهين فوق الأشجار، وتوجد مجموعة واضحة الآن من صقور الشاهين في أعلى القمم الجوفاء لأشجار الغابات الميتة في تينيسي. إن مواقع



صقر شاهين يسحب فريسة من منطقة الأعشاش في هذه المنحوتة لجورج لودج ١٨٦٠-١٩٥٤.

العش التقليدي قد يكون عتيقاً: إن أوكار صقر الجيرفالكون في جرينلاند يعود تاريخها إلى آلاف السنين. وقد اعتبر هنود كاروك في شمال غرب كاليفورنيا صقر الشاهين طائراً مخلداً وهم يسمونه أكنيش أو أكيرين ذلك لأن زوجاً منه قد أقام في عش في قمة أوش (جبل سوجارلوف) منذ زمن سحيق.

وبداية من القرن التاسع عشر تم تسجيل بعض أوكار صقور الشاهين البريطانية المأهولة. وبعض تلك الأوكار مثل التي توجد في جزيرة لاندي أنتجت صقوراً مشهورة ببراعتها الفائقة كطيور خاصة بالصيد وربما توجد بعض الحقائق التي تثبت مثل تلك الروايات عن «الأوكار الخاصة». وتميل الصقور صغيرة السن إلى العودة إلى المنطقة التي نشأت فيها. إن هذه الدرجة العالية من «فيلوباتري» ربما تفسر التشكل التطوري في النوع مع وجود سمات جينية محلية تم تدعيمها على مدى الكثير من السنوات.

تزداد كثافة إقامة الأعشاش العالية في مناطق الطيور الجارحة حيث تتوفر الفرائس ولكن مواقع الأعشاش لا تتركز بشكل متساوٍ ففي تخوم نهر سنيك في ولاية إيداهو على سبيل المثال وعلى بعد كيلومترات من الخليج الذي أصبح مشهوراً بسبب المحاولة الفاشلة لإيفل نيبل للقفز فوقه باستخدام دراجة نفاثة تعشش زوج من صقور البراري في كل ٠,٦٥ كيلو متر تُصطاد هذه الأزواج من الصقور السناجيب الكثيرة في أرض الصحراء ذات الشجيرات الصغيرة التي تمتد من خور النهر. وفي المراعي البرية والبادية فإن قلة مواقع الأعشاش ربما تحد



إن الصقور لا تبني أعشاشها، وتضع بعض السلالات بيضها فوق الإفريز الصخري بينما الصقور الأخرى تستخدم كثيراً أعشاش طيور الغربان والصقور القديمة من نوع باز مثل نوع الصقر العربي في منغوليا.

من تجمعات الصقور حتى عندما تكون تجمعات الفرائس مرتفعة بدرجة كافية لكي تفي بغذاء العديد من أزواج الصقور.

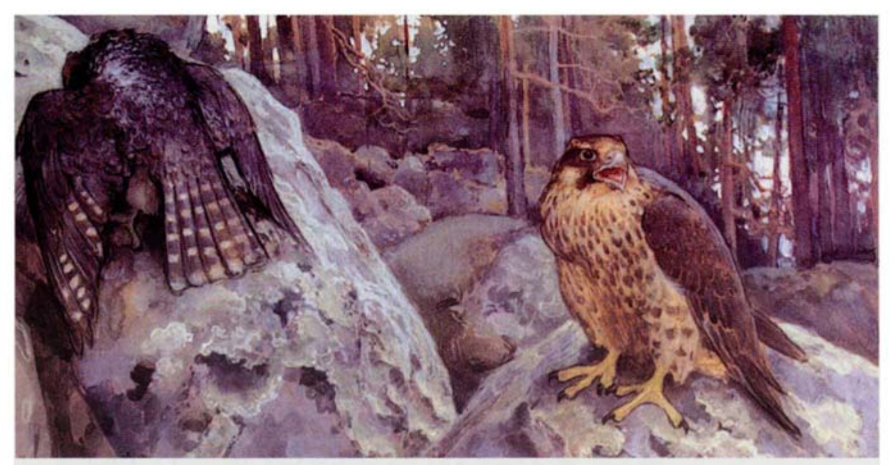
إن الأساليب الإدارية للمحافظة على الصقور والتي شملت إقامة منصات صناعية للعش ثبت نجاحها في بعض الحالات ولكن بعض الصقور لا تتطلب مثل هذا التدعيم للبيئة. ولقد وجدت أعشاش للصقور في الأرض في منغوليا ويوجد أيضاً تجمعات كبيرة لأعشاش أرضية لصقور الشاهين في المناطق القطبية. إن إقامة الأعشاش الأرضية هي مسألة خطيرة ذلك لأنها تعرض البيض وصغار الصقور للجوارح. وتطورت العلاقات الثنائية مع السلالات الأخرى. ولقد وجدت أوكار لصقور الشاهين في شبه جزيرة تايمير في سيبيريا وهي أعشاش أرضية سريعة التأثر ووجدت بدرجة كافية إحصائياً بجوار مستعمرات الإوز ذي الصدر الأحمر برانتا روفيكولس. فإذا شاهدت طيور الإوز المتيقظة الثعالب القطبية أو الجوارح من الطيور فإن صيحاتها التحذيرية تنبه الصقور التي تقوم بالانقضاض العدواني كتهديد يعود بالفائدة على كل من صقور الشاهين وطيور الإوز.

غالباً ما تتكاثر الصقور الكبيرة في السنة الثانية أو بعدها ولكن يوجد عدد من الصقور البالغة التي لا تتكاثر في التجمعات في أي وقت. وصقور الجيرفالكون ربما لا تتكاثر أبداً في السنين التي يندر فيها وجود طيور الترمجان.

إن الصقور هي في الغالب أحادية الزوج وليس من المعتاد وجود تجمعات بها أكثر من زوجٍ وليس من المميز استخدام الريش الملون كعلامات للتزاوج بين الصقور وبدلاً من ذلك قد تقوم ذكور الصقور برحلات طيران للفت نظر الصقر وذلك بقرب مواقع العش وأحياناً تشترك الأنثى في ذلك.

وتزداد متانة العلاقة بين الزوجين بقيام الذكر بإحضار الفريسة إلى الأنثى، وبواسطة الاستعراضات الرشيقة في العش على الإفريز الصخري عن طريق الانحناء والنداء. وتزداد العلاقة بين الزوجين قوة بالتزاوج المتكرر حوالي مرتين أو ثلاثة في الساعة قبل وضع البيض. وتضع الأنثى من ثلاث إلى خمس بيضات بنية اللون بلون يشبه الصدأ وعليها بقع، وترقد عليها الأنثى مدة شهر. وتفقس الصغار (صغار الصقور لا تستطيع ترك العش ولونها يميل إلى الرمادي أو يميل إلى اللون الأبيض من الأسفل ويتم استبداله فيما بعد بطبقة سميكة بعد أسبوع). إن نمو الريش يصبح سريعاً. ويتكسر الريش الصغير بينما تقوم صغار الصقور بممارسة تحريك جناحيها وممارسة غرائز الصيد لديها أول مرّة. وصغار الصقور مغرمة باللعب داخل العش وتمسك بالعصي الصغيرة والأحجار والريش بواسطة قدميها وتلتفت برأسها إلى أعلى وأسفل لمراقبة الحشرات الطائرة الطنانة والطيور البعيدة. وتشد أجنحتها وذيولها الصغيرة المرتعبة. وتقوم الصقور الصغيرة برحلاتها الجوية الأولى غير الثابتة وهي في سن ٤٠ إلى ٥٠ يوماً وعندها يعلمها والدها مبادئ واستراتيجيات الصيد في الهواء وذلك بإسقاط الفريسة الميتة أو المعاقة من ارتفاع لكي تقوم بالتقاطها الصقور الصغيرة المطاردة.

تبدأ صغار الصقور بقتل فرائسها الأولى، وبعد أربعة أو ستة أسابيع تبتعد عن إقليمها إذ تكون روحها المعنوية قد أصبحت عالية نسبياً. ويموت حوالي ٦٠٪ من صغار الصقور في عامها الأول ويرجع ذلك بصفة خاصة بسبب الجوع ونقص الغذاء. قد تكون الحقيقة مدهشة بالنسبة إلى الكثير من المعلقين الذين يرون الصقور كأفضل الجوارح كفاءة من بين التي تعيش حالياً. والسبب في حدوث أمور كهذه عند تعارض علم الأحياء والأساطير أي حين لا تتماثل



الصقور التي ينبت ريشها (إياس) من صقور الشاهين في صورة في العقد القوطي تمت مشاهدتها كثيراً في عام ١٨٩٥ بواسطة الفنان الفنلندي إيرو نيكوليه جارنفلت، ويبدو الطائر في الجانب الأيسر من الصورة وهو يعتلى الطعام بشكل من يستولي عليه بينما الطائر الأخر ينادي وهو بوضع نمطي محدب لطائر صغير يتوسل للحصول على الطعام.

الحيوانات الحقيقية مع مفهوم البشر لها. فعلى سبيل المثال نجد أن هواة الصيد بالصقور من البدو الذين يرون فقط الصقور المهاجرة في الصحراء، فهم يربون أزواج الصقور استناداً على مفاهيمهم الخاصة في ضوء ما يقع من الصقور في فخاخهم حيث يعتقدون أن الصقور كبيرة الحجم والقوية هي ذكور، أما الصقور الصغيرة وضئيلة الحجم فهي إناث. يمكن أيضاً أن يتعرض فهمنا العلمي للصقور إلى التشويه دون أن نشعر من خلال مفاهيمنا الاجتماعية. وتؤدي الصراعات واختلافات القيم والثقافات نحو الحيوانات إلى تدمير المحميات.

هل تعد الصقور نموذجاً مثالياً للبرية والحرية؟ وهل هي أهداف مقدسة؟ هل هي طيور ضارة؟ وهل هي مصدر تجاري قيم لحياة البرية؟ أم هي أيقونات لا يمكن لمسها أم أيقونات قيادية للطبيعة المهددة بالخطر. إن التحقق من هذه المعاني المختلفة له تبعات حقيقية في الحياة. إن الناس تحافظ على الحيوانات في المحميات لأنها تشعر بقيمتها وهذه القيم مرتبطة بالعالم الثقافي والاجتماعي لهؤلاء البشر. إن الصور والقصص التي تمَّ فيها استخدام الصقور من أجل توضيح وتدعيم المفاهيم الثقافية المختلفة للعالم هي أساطير وهي موضع الفصل التالي.

2- الصقور الإسطورية

المخبر الخاص توم بو هاوس Tom Polhaus (يلتقط تمثال صقر إنه ثقيل ما هذا؟

سام سبيد: هذا هو الشيء الذي تصنع منه الأحلام

بول هاوس: حقاً؟

(ختام مسرحية الصقر المالطي)

في فجر أحد الأيام الملبدة بالضباب من شهر نوفمبر عام ١٩٤١ استيقظت روزيلي إدج (Rosalie Edge) المهتمة بالحفاظ على الطيور الأمريكية على صوت طيور المدينة حيث برزت من نافذة منهاتن في سنترال بارك. ما الذي سبب هذه الضجة؟ وفي محاولة العودة للنوم مرة أخرى أدركت أن الصقر الحجري الذي رأته على منحوتة حجرية لم يكن تمثالاً، لقد كانت تدب فيه الحياة. فجأة شعرت بأن الوقت لا يتحرك وأصابها الرعب والرهبة وكتبت تقول «لقد استغربت من المنظر الذي رأيته لهذا الزائر الغريب إلى العالم الحديث هل هو شبح قد أتى من متحف المترو بليتان وقد غلبه شروق الشمس؟ لا لا يمكن أن تكون همهمت في نفسها وهي ترى الصقر يرفرف بجناحيه ويطير في الهواء كاسراً حاجز الرهبة التي أصابها».

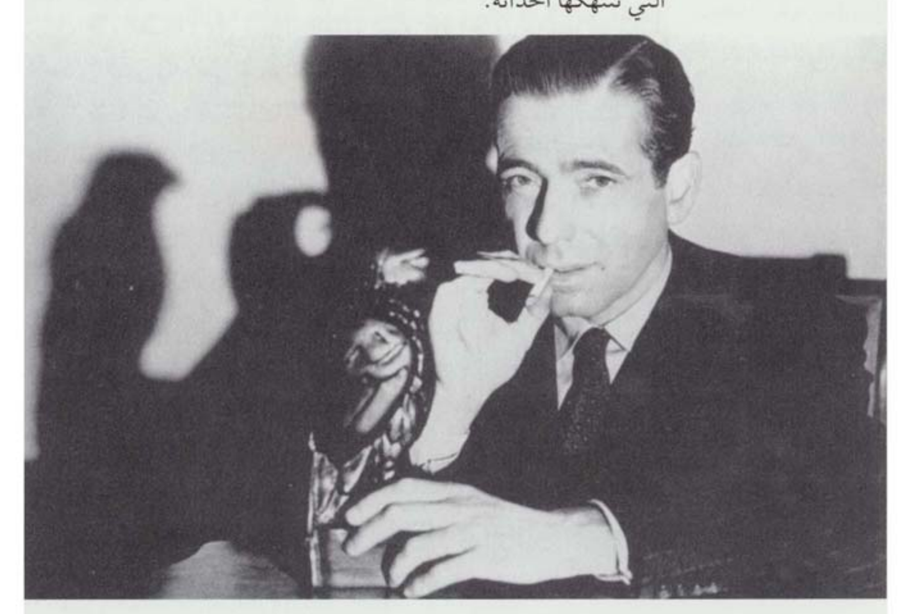
قصة أخرى لصقر قديم كان له تأثيره على الممثلين: هامفري بوجرت وبيتر لووري وسيدني جرين ستريت، والجمهور في أمريكا في ذلك العام حيث ألقى تمثال الصقر الأسود الصغير (الصقر المالطي) بظلاله على شاشة السينما في أول أعمال جون هوستون Film noir حيث قرأ الجمهور تعريته وكشفه للتاريخ في هذا النص:

«في عام ١٥٣٩ أرسل فرسان مالطة إلى تشارلز الرابع ملك أسبانيا صقراً ذهبياً مرصعاً بالجواهر النادرة ولكن استولى القراصنة على هذا الصقر السمين

وظل مصير هذا الصقر المالطي غامضاً حتى هذا اليوم».

وفي أثناء تقدم الحبكة الدرامية يظل مصير الصقر المالطي غامضاً على الرغم من أنه يكشف شخصيات الأفراد في الفيلم وما ينتابهم من رغبة ورهبة، كما يستعرض العالم الذي يعيشون فيه حيث يكون بمثابة التمثال الصامت الذي يكشف حقيقة الأفراد أمام أنفسهم، وبالمثل فإن مقابلة الصقر في حديقة سنترال بارك في وقت الفجر لا تخبرنا الكثير عن الصقور الجوالة ولكن تتحدث بشكل أوضح ومستطرد عن فترة الشتاء وعن الفترة التي عاشت فيها المؤلفة حيث تكشف شيئاً من السلوك المعاصر تجاه الطبيعة والتاريخ، ففي أوقات الحرب في أمريكا كان يعتبر الصقر إحياء أسطورياً لعصر الألهة والطقوس القديمة، وكانت الصقور تحمل العديد من المعاني الأخرى، فبعض المتحمسين للصقور من أمثال إدج اعتبرها بمثابة تصوير حي للوحشية البدائية التي تنتهكها الحداثة.

بوجي والطائر الأسود: هانكري بوردر في فيلم الصقر المالطي ويلقي بظلاله خلف بوردر في فيلم جون هوستن في عام ١٩٤١ .





الصقور كرمز للعصر الذهبي في العصور الوسطى. مشهد من القرن الرابع عشر لسيمون مارتيني في كنسية سان فرانسسكو أسيسي.

إن الكتابة عن الصقور في هذه الفترة تنطوي على رومانسية كئيبة نشاهدها في أعمال الكثير من علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين الذين رأوا الثقافات التي درسوها كشيء بدائي حيوي تسيطر عليه عبق التاريخ وسيرورته.

ويمكن للصقور أن تكون رموزاً للتاريخ وكذلك للطبيعة البرية ففي عام ١٨٩٣ وصفت مجلة شعبية الرياضة القديمة للصيد بالصقور بأنها تمارس تأثيراً مدهشاً على خيال الأمريكان الذي تسيطر عليه صورة الصقر المستحوذ على عقول العامة مثل سان جورج والتنبي.

ولقد أظهرت الحرب العالمية الثانية قدرة الصقور في استدعاء روح وعظمة العصور الوسطى. وفي الوقت الذي ترى أمريكا نفسها وريثة ووصية على التراث الثقافي الأوروبي الذي تهدده قوى الظلام للفاشية، شقت الصقور المدربة طريقها في الكثير من ملاحم هوليود عن شبيه الحرب العالمية الثانية في العصور

الوسطى في الأفلام التي أنتجتها تكنيكلور، وكان ينظر للصقور الحربية على أنها رموز بيولوجية للطائرات الحربية المدرعة بوسائل طبيعية. لقد أخذت هذه الفكرة بألباب العسكرية الأمريكية حيث أدت إلى استخدام الصقور الحقيقية في أنظمة الدفاع، التي حققت نجاحاً مغايراً كما يظهر في الفصل الرابع.

ولإيضاح الأمر بشكل أكثر يمكن القول أن أساطير الصقور قادرة على تحمل تبعات العالم الحقيقي حيث يرى الكثير من الأمريكان الطبيعة من خلال عدساتهم الثقافية، ومن خلال الصقور في أنظمتهم الأخلاقية فقد كانوا يعتبرونها فتاكة بالطيور المغردة وعدوّة يجب أن يتم قتلها عند رؤيتها.

جميع هذه القصص هي أساطير الصقور في الأربعينيات للساحل الشرقي في أمريكا وإطلاق لفظ الأساطير على هذه القصص يبدو شاذا لأن الكثير من هذه القصص لاتزال تروى إلى اليوم وتظل الصقور رموزاً ثمينة للطبيعة البرية كما تظل رموزاً راقية تعكس العظمة والرفاهية التي كانت موجودة في العصور الوسطى، ولايزال البعض يلقي باللعنات على الصقور بسبب قسوتها مع الطيور الأخرى وهناك الكثير من التشابه بينها وبين طائرات إف١٦ النفاثة. واستطراداً في الحديث فإن هذه الأساطير عن الصقور لم يتم التعرف إليها أبداً وإدراك طبيعتها إلا عندما تنتمي هذه الأساطير إلى التراث الثقافي للشعوب الأخرى.

الصقور والديوك:

الأساطير هي قصص مثيرة لاهتمام وقيم الراوي مما يحولها من أشياء طبيعية حقيقية واضحة بذاتها إلى حوادث للتاريخ والثقافة. هذه القصص تربط المفاهيم الإنسانية مع مكونات الطبيعة بما يؤكد للقارئ مفاهيمها الخاصة الطبيعية مثلها مثل الصخور والأحجار ويطلق على هذه العملية الطوبعة أو التحويل إلى الطبيعة حيث تعتبر الطبيعة هي الدليل الواضح لحقيقة الأشياء أو ما يجب أن تكون عليه الأشياء كعنصر معياري وأحياناً ما يكون هذا الأمر واضحاً بشكل كبير ونراه في القول المؤثر لكي ريجز حيث يقول أطعم الغراب

ما تشاء ولكنه لن يتحول أبدا إلى صقر. هذا القول المأثور يوضح الاختلاف وعدم التساوي بين الحقائق الطبيعية للأفراد إن العمل الخرافي بالمثل يسعى نحو تحويل الأعراف الاجتماعية لرواة القصص إلى شيء طبيعي ولكن القوى المعيارية لهذه القصص الخرافية تزداد من خلال طريقة إدراك القارئ لها وتأثره بالخرافة والاستمتاع بالعمل الذي بين يديه.

إن عمل توماس بلج (Thomas Blage) في عام ١٥١٩ وهو بعنوان الصقر والديك الرومي يبدأ السرد بأحد صقور الفرسان الذي يرفض العودة إلى قبضة الفارس:

> «إن الديك الذي يرى هذا يرفع من قيمة نفسه قائلاً إنني فقير تعيش وأعيش في الفقر والمعاناة إنني لست عظيماً كالصقر بالطبع سوف ألقي ببريقي على قفاز الفارس وسوف آكل لحم مولاي حينما يضعني على قبضته ولكن لا يزال لا يرقى إلى المكانة التي يحظى بها الصقر لدى الفارس عندما يطير من فوق قبضته ليقتل فريسته ثم يعود مرة أخرى فيهبط على قبضة الفارس ليتلقى الثناء».

ويستمر بلاج في رسالته الأخلاقية قائلاً «دع كل فرد يستمر في عمله ولكن لا تدعه يعلو فوق المكانة التي يستحقها». إن القصة الخرافية لبليد تستند على المفهوم القديم للصقور كحيوانات نبيلة. إن القوة والاستقلال والسمو والتأثير على حياة وموت الآخرين لآلاف السنين كل تلك تعتبر صفات الصقر والنبلاء على حد سواء وعليه فإن الخرافات الخاصة بالصقور عادة ما تعزز المواريث الاجتماعية الإنسانية عبر حقيقة أن الصقور هي أكثر نبلا من باقي الطيور.

في بدايات أوروبا الحديثة كان هناك اعتقاد أن عالم الإنسان وعالم الطيور ينتظمان ويتشكلان بنفس الطريقة وفقاً لنفس النظام الاجتماعي الواضح. وتقع الملكية على قمة عالم الإنسان بينما تتربع الجوارح فوق قمة عالم الطيور واختلاف درجات النبل والسموّ تتنوع بين أنواع الصقور المختلفة. وفي الواقع

فإن مربي الصقور يسيئون قراءة هذا المفهوم فهو في نظرهم يتعلق بمنزلة الفرد ومنزلة الصقر الذي يستطيع أن يستخدمه.. وفي القرن العشرين يوضح كتاب The Bake of St Albans هذا التماثل بشكل محكم في صورة صقر شاهين يقابل طيور بريطانية:

«هذا صقر جيرفالكون وكذلك صقر الباز إنهما يخصان الملك وكلٌ من الجيرفالكون والباز يمتازان بالنبل وكلاهما خاص بالأمير.
هناك صقر للعامة وآخر للدوق.
هناك صقر شاهين وصقر إيرل.
كذلك هناك صقور خاصة بالأوغاد وتلك خاصة بالبارون.
هناك صقور مقدسة وتلك الخاصة بالفرسان.
هذا ذكر صقر الحر وهذه أنثاه وهما خاصان بحامل الدروع أما هذان الصقران المارليون والهاوك فخاصان بالسيدة.

وفي حين أن وجود هذا التسلسل الطبيعي هو أمر غير قابل للنقاش، فإن المرء من خلال قدر كاف من السلطة الاجتماعية يستطيع الخروج عن الأيقونات التي توجد بين روابطها. وهكذا أمكن لحاكم كاستيل «بيرو لوبيز دي أيالا» أن يعلن أنه يفضل صقر الشاهين الذي تأكد نبله عن صقر الجيرفالكون كون الأخير نصف نبيل بما يمتلكه من أجنحة خشنة ومخالب قصيرة.

هذه الأفكار الخاصة بالتشابه بين صقر (Hawke) والإنسان هي تمثيل لاعتقاد Kulturbrille القوي الذي يفترض أن هيكل العالم الطبيعي مشابه لعالمنا البشري.

هناك أسطورة لتشوماش Chumash في كاليفورنيا مفادها أن الحيوانات كانت قبل أن يرث الإنسان العالم، وكان هناك نسر ذهبي هو رئيس جميع الحيوانات والصقر تويش twich هو ابن أخيه. إن هذا التوازن بين العالمين يبدو في منتهى الوضوح ولكنه قد يكون كامناً ويحتاج إلى مزيد من التفحص لاكتشافه.

أحياناً يبدو هذا التماثل مثيراً للدهشة خاصة عندما نلاحظهُ في العلوم



هذا جيرفالكون خاص بالملك. الصورة تظهر الملك ستيفن جالساً فوق عرشه يطعم جيرفالكون أبيض. من تاريخ إنجلترا من أعمال بيتر دي لانجتوفت ١٣٠٧ - ٢٧.

الموضوعية ولكن التماثل موجود دون شك، وعلاوة على ذلك فإن علماء البيئة يشكلون فهمهم لضراوة الافتراس الموجودة في النظام البيئي للطيور على مبدأ فرض السلطة للطيور صاحبة اليد العليا على مجتمعاتها.

وأحياناً نجد أن الانتقال من النظام الاجتماعي الإنساني إلى العالم الطبيعي يظهر وجود تماثل أخلاقي بين الطيور الجارحة والإنسان خاصة من حيث الطريقة التي يحافظ كل منهما على توازنه واستقراره في الطبيعة والمجتمع.

إن هذا النمط من التفكير التحليلي يثير الكثير من المخاوف ففي عام ١٩٥٩ كتب الجندي والجاسوس وعالم الطبيعة الكولونيل ريتشارد مين ريد زانجن عن دور الطيور الجارحة من حيث مطاردتها للطير الأضعف والأقل كفاءة ويرى أنه بدون الفريسة الموجودة في عالم الطيور فإن الأمر في النهاية قد يؤدي إلى فناء حتمي.

إن السلام في هذا النوع من العالم هو اضمحلال للحضارة بالنسبة للكولونيل ريتشارد، فليس هناك داعٍ للخوف للحفاظ على المنظومة الاجتماعية فبدون الطيور الجارحة سوف يصبح هناك نقص في التوازن في النظام البيئي وسوف ينظر إليها كطيور حمقاء في عالم مزدحم، وسوف تبدو غير سعيدة مثلها مثل الجنس البشري اليوم. يكتب «قرافلاجر اسكو» Trafalgar Square عن الحالات التي تكون فيها الأنظمة الأمنية سائدة بشكل كامل مثل مجتمع الحمائم، ويقول أرغب في أن أطلق ٦ إناث من الصقور على مجموعة من الحمائم وأرى ماذا سيحدث لهذا التجمع الضعيف.

أنك لست في حاجة لقراءة نيتشية لتفهم هذا النص أو حتى عندما يقوم مينرت زجن بوصف مجتمعات الطيور الجارحة بالأنظمة الهيستيرية وغير المسؤولة وصاحبة السلوك السيء.

الطواطم والتحولات:

لآلاف من السنين سعى الأفراد لاكتساب صفات يعتبرها النظام الثقافي الذي يعيشون فيه مماثلة لقوة ووحشية وسرعة وكفاءة الصقر في الصيد، وسعى المحاربون والصيادون في جنوب شرق أمريكا إلى استعارة حدة نظر الصقر وقدرته على الصيد من خلال رسومات تظهر عين الصقر الجوال في تصوير لذاتهم يعكس حالة من التقمص بين الاثنين، كما استخدم منقار الصقر في السهام المغطاة بريش الصقر في العصر البرونزي في أوروبا، ولقد وجدت آثار له داخل القبور وذلك من أجل إعطاء السهم السرعة والدقة في التصويب مثل التي يمتلكها الصقر.

واليوم نشاهد رجالاً يرتدون فنيلة قطنية تحمل صورة الصقر، ونساء يرتدين قلادات فضية على شكل صقر وكذلك الأطفال، بعد زيارتهم لحدائق الحيوانات كل ذلك رغبة منهم في امتلاك صفات الصقر، لكن من أجل أن تصبح شبيهاً بالصقر ليس هناك حاجة للتخفي والتشبه الشكلي لأن هذه التحولات الرمزية يمكن أن تحدث من خلال الحصول على لقب الصقر أو

الحصول على هوية اجتماعية من أحد الصقور.

في أوائل القرن العشرين استخدم علماء الأنثروبولوجيا لفظ طواطم من أجل وصف ظاهرة بعض العائلات أو المجموعات البشرية الخاصة التي تكتسب هويتها من رموز غير إنسانية وعادة ما تكون حيواناً. إن وظيفة الطواطم الحيوانية وفقاً لعلماء الأنثروبولوجيا تتيح لمجموعة من الأفراد أن يظهروا أنفسهم بشكل مختلف عن الآخرين. بالمثل كما تسعى مجموعة من الحيوانات للتميز على مجموعة أخرى فعلى سبيل المثال في آسيا الوسطى ميزت مجموعة أوغوز البدوية الأنواع والأعمال والأجناس المختلفة للطيور واستخدام كثير منها في شعارات لحوالي ٢٤ قبيلة، حيث كان Turul أو صقر التاي Altai شعار منزل القائد أتيلا وقد تم رسمه على درعه.

إن محاولات التشابه هذه بين الصقر والإنسان كان لها مدلولاتها العملية والسياسية، كما كان يقوم مربياً الصقور كيرجيس وكازاخ بمنح الصقور إلى أعضاء من عائلتهما وقبيلتهما ولكن ليس إلى أعضاء من جماعات أخرى



صورة لصقر نحاسي جميل يرجع إلى ٣٥٠ قبل الميلاد وجد كجزء من وديعة للمقتنيات الثقافية لهوب ويل في مدينة موند قريبة من مدينة تشيلي كوسي في أوهايو في وقتنا الحاضر.

لأن قيامهم بذلك سوف يقلص من قدرتهما ونفوذهما. كما كان صيد أحد صقور العدو له مدلول رمزي هام وواضح بالمثل كما أن إعطاء صقرك للعدو هو إشارة واضحة عن إعلان استسلامك ومثال على ذلك أسطورة الصقر خان توخناميش الشهير. حيث كان لتمرلان عدو شهير رغب في سرقة البيض من صقر خان، كان في اعتقاده أن تربية الفرخ الناتج عن بيض الصقر سوف يجعله يستولي على قوة عدوه، ولقد حصل تمرلان على البيض من خلال رشوة حارس الصقر، وبمجرد أن قام بالفعل بتربية فراخ الصقر تم سلب قوة خان وخسر معركته التالية لصالح تمرلان وفر هاربا. إن مثل هذه المفاهيم تؤكد التاريخ الطويل للصقور كهدايا ورموز للدبلوماسية والاستقرار السياسي والمفاوضات الحربية حيث كان لها قيمة عظيمة تزيد من ثمنها عن الطيور الأخرى.

إن مفهوم الطواطم بالنسبة للصقور ينبع من نهاية القرن العشرين حيث اعتاد علماء الأنثروبولوجيا أن يستخدموها بشكل يقوي من افتراضاتهم من حيث أن المجتمعات الطوطمية كانت بدائية مقارنة بمجتمعات هؤلاء العلماء، ولكن مؤخراً قام المؤرخون الثقافيون الذين قاموا بدراسة مفاهيم المجتمعات الصناعية للهوية الشخصية والوطنية بإعادة إحياء هذه المفاهيم. حيث يمكن للصقور أن تكون الرمز الجمعي للعائلة والطائفة والشركة والمجتمع والدولة والفرقة. إن بعض الصقور هي عبارة عن شعارات وطنية مثل الصقر الرمادي الموجود على علم إيسلندا في القرن التاسع عشر، أو الصقر الموجود على علم وأختام دولة الإمارات العربية. إن الهوية الوطنية والرياضية للصقور في القرن التاسع عشر ماثلة في منظمة تعليم الرياضة البدنية الاسترالية - المجرية (الصقر) التي أصبحت منظمة وطنية قوية في الفترة ما بين الحربين العالميتين العالمية وأصبحت الصقور طواطم تستخدم بكثرة في الرياضات. وفي عام ١٩٦٠فاز مدرس بمسابقة في تسمية فريق كرة القدم بأتلانتا حيث أطلق عليه فريق صقور أتلانتا، فلقد ألقى هذا اللفظ بظلاله على التشابه بين الطيور ولاعبي كرة القدم من حيث القدرة على الانقضاض والارتفاع.

«قالت هذه المدرسة أن الصقر يتميز بالفخر والكبرياء والشجاعة دون بقية

الصقور، فريق كرة القدم لأكاديمية القوة الجوية بالولايات المتحدة وهم يعرضون «الصقر جالب الحظ» في صقورة تم التقاطها في ١٩٥٠ . فالرجال الحقيقيون لا يحتاجون إلى قفازات لمسك الصقر.



الطير». إن فكرة استخدام الصقر كرمز للاعبي كرة القدم الأمريكية قد يضيف مزيداً من العمق على الوظيفة الرمزية للصقور.

لقد كانت الصقور تستخدم من أجل إضافة الصفات الطبيعية على المفاهيم التي كان من المستحيل أن نرى فيها الطائر ينتهي وتبدأ الصورة وهكذا فإن طواطم الصقور عادة وغالباً ما تحمل أهمية اجتماعية أكثر عمقاً مما نظن. على سبيل المثال نستخدم الصقر كرمز لحقبة فترة الرعوية الرومانسية الجديدة لقوة البحرية البريطانية لمجموعة كامبراين حيث إن هذه الفرقة كانت تؤدي على المسرح باستخدام صقور من البلاستيك تظهر وتجوب عبر الدخان من قمة المسرح في هذا الجو العبق لمسرحية «فصيلة الجند تقابل حيوانات الغابة» . Platoon meets the animals of farthing wood



صقر جوال على قطعة من القماش لفرقة القوى البحرية البريطانية.

إن تحول صفات الصقر إلى الإنسان ألقت بظلالها على السوق الدولي لأن الصقور تبدو أنها تقدم صفات سامية إلى العالم.



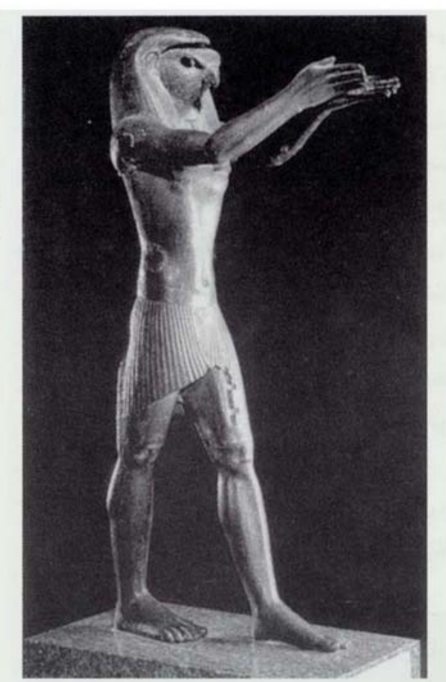
التكنولوجيا تقابل العائلة في إعلان سيارات فورد فالكون في الخمسينيات.

لقد أطلق على مجموعات مختلفة من البضائع الصقر مثل كمبيوتر الصقر لشركة أتاري ودراجات الصقر وإعلانات الدراجة اليابانية (الصقر الجوال) وهي تظهر صقراً يجلس على مقعد الدراجة كما هناك شركة طائرات تعرف باسم Dassault Falcon وشركات فالكون التي تقوم ببيع جميع البضائع بدءاً من أجهزة الصيد إلى الآلات الحسابية. كما وصف الفنان الكوميدي ديف باري لفرقة ميامي هيرالد على سبيل المثال الصقور بأنها طيور قوية في الافتراس يطلق عليها اسم «صقور فورد». إن بساطة استخدام صفات الصقر الرمزية من قبل هذه الشركات يجعلها تسعى إلى مزيد من الشهرة والدعاية اعتماداً على سمعة الصقر.

الصقور المقدسة

هناك كذلك بعض الصقور الأسطورية بعيداً عن تلك التي ترمز للدراجات والطائرات وماركات الشركات. ففي متحف اللوفر هناك ركيزة يقف فوقها تمثال برونزي لإنسان واقف وفارد ذراعيه وله رأس صقر بنظره الحاد وطوق من الريش فوق ذراعية المفرودتين. عمر هذا التمثال حوالي ٣٠٠٠ سنة. وهو أحد الأشكال التي تعبر عن الإله حورس عند قدماء المصريين. وبعد ذيوع ما يعرف بلعنة الفراعنة في العالم الغربي بعد أن قام اللورد هاورد كارتر بفتح مقبرة توت عنخ آمون أصبح هذا التمثال للصقر الأسطوري الرمز الأشهر لهذه اللعنة.

الإله حورس أشهر الصقور على الإطلاق. تاريخ هذا الصقر يرجع إلى ٨٠٠ - ٧٠٠ عام قبل الميلاد. وكان جزءاً من منظر يواجه فيه الإلهين حورس وثوح بعضهما ويطهر الملك بالماء في المناسبة المقدسة.



في عصر ما قبل الأسرات (جمع أسرة) في مصر كان يعبد الإله حورس في مدن مصرية مثل نخن والتي عرفها الإغريق باسم هيراكنوبليس أو مدينة الصقر. كان الإله حورس هو الإله الخالق؛ الصقر السماوي الذي طار إلى أعلى عليين في بداية الخلق. كان جناحاه هما السماء وكان جناحه الأيسر عين الشمس وجناحه الأيمن هو ضوء القمر والبقع الموجودة على جسمه هي النجوم وعندما يضرب بجناحيه تهب الرياح.

كان في مصر القديمة العديد من الآلهة الصقور مثل إله الحرب مونتو والصقر نيمتي. وفي الوقت الذي انصهرت فيه الأديان والمعتقدات للمناطق المختلفة أصبح الكثير من الآلهة المحلية مستوحاة من حورس. وفي مدينة هيليوبولس مركز الشمس بزغ إله السماء حورس مع إله الشمس ري ليصبح

الإله ري - هور - أختي. ويظهر في صورة رجل له رأسي صقر.

كان الإله حورس أيضاً أحد معبودات مدينة هيليوبوليس حيث اعتبروه ابن الإله أوزيس وأوزوريس. وفي هذا الإطار تم تتويجه كأول ملك لشمال وجنوب مصر. وكان جميع أسلافه من ملوك مصر يعرفون بحورس في أثناء فترة حكمهم. كانت الصقور الحقيقية تعتبر انعكاسات حية لقوة الآلهة الصقور وكانت متداخلة بشكل كبير في الطقوس والممارسات الدينية في مصر. حيث كان يتم تتويج كل صقر حي على أنه الملك الجديد في معبد إدفو مركز الإله حورس في جنوب مصر. وكان تمثال حورس بمثابة ممثل لوريثه الحي على الشعب ثم بعد ذلك كان يتم تتويج الصقور ومنحها الملابس الملكية وتوضع في بستان الصقور المقدسة. وبعد موت الصقر يدفن في المدافن الملكية بعد أن يتم تحنيطه.

كان يتم تحنيط مئات الألوف من الصقور في مصر القديمة ثم تقدم على هيئة قرابين للآلهة. حيث كان يتم لف الصقر المقدم كقربان في كفن فاخر



كان سيجموند فرويد رائد التحليل النفسي يمتلك صقراً محنطاً يمثل الطقوس الجنائزية في مصر القديمة.

ويقدم للكاهن الذي يقدمه للإله نيابة عن صاحب القربان. كان معبد نيكتانيبو الثاني في سقارة مخصصاً لإيزيس أم حورس وكان يحتوي على ١٠,٠٠٠ صقر محنط في هيئة معرض تصطف فيه الصقور داخل برطمانات تفصلها طبقات من الرمال.

كان كاهن المعبد يربي بعض الحيوانات المقدسة مثل القطط من أجل التسلية ولكن كان من الصعب تربية الصقور في الأسر. لابد أنه كان لأتباع حورس تأثير هام على الصقور البرية في المنطقة، فيبدو أن تجارة الصقور كانت نشطة وكثيفة حيث كانت تستخدم في تقديم القرابين. وعلى الرغم من كون غالبية القرابين كانت تعتمد على الصقور الموجودة في البيئة المحلية مثل صقور Kestrels lanners إلا أن بعضها كان يجلب من الخارج. كان أيضاً يتم دفن بعض الطيور الأخرى مثل العقبان وبعض الطيور الصغيرة المغردة. وربما كانت هذه الطيور المزيفة تباع إلى مقدمي القرابين في نوع من الخداع لم يتم كشفه إلا بعد قرون متعاقبة باستخدام أشعة أكس.

عبادة الصقور

هناك نوع من التوازن المدهش بين الدور الديني الأسطوري للصقور في الثقافات المختلفة وعبر آلاف السنين. وكما تظهر عبادة حورس أن الآلهة الصقور هي آلهة خالقة ترتبط بالشمس والنار. ومثل المصريين القدماء كان لدى الإيرانيين القدماء إله للنار والماء يدعى أفستان زفرانة وكان يتم تصويره في هيئة صقر. ومثل حورس كان هذا الإله يعتبر إلهاً سماوياً وكان لديه حق مقدس في امتلاك السلطة. ووفقا للنبي زوارستر كان الإله يمتلك رأس صقر. وفي القرن السادس عشر أنعش مربي الصقور الفرنسي تشارلز دي أركوشيا Chharles D.Arcussia ذاكرة القراء بأن القدماء اعتقدوا أن عظام الصقور جذبت الذهب مثلما يجذب المغنطيس الحديد. وفي تماثل مشابه يعتقد أركوشيا أن علماء الكيمياء في القرون الوسطى ربطوا المعادن الذهبية بالشمس. ويكتب قائلاً إن القدماء لم يقصدوا أكثر من كون الصقور الطيارة هي شيء ثمين

كلام صورة:
صقر يزور أيميش المرأة الأسطورية للماجيارز في أحلامها.

يجذب الذهب ويستهلك كمية كبيرة منه من هؤلاء الذين شوقهم للذهب يفوق كل حد.

لقد اقتفى علماء الأنثروبولوجيا الروس وجود هذه الأساطير المشتركة عن الصقور لطوائف من الطيور التي كانت توجد في وسط آسيا. كانت عوامل الغزو والهجرة والاستقرار لديها شبيهة بطوائف الطيور في الشرق والغرب عبر آلاف السنين. وبالإضافة إلى اعتبار الصقور آلهة خالقة ترتبط بالشمس والنار، فإن هذه الأساطير القديمة تربط بين الصقور والروح الإنسانية، إذ عدوا الصقور رسلاً بين السماء والأرض وبين الإنسان والآلهة. كما ربطوا الصقور بالزواج والخصوبة ولقد سكنت الصقور الكثير من الأساطير للأسر الملكية والإمبراطوريات، فقد حلمت حماة جانكيز خان قبل أن يتزوج من ابنتها أن صقراً أبيض يمتلك الشمس والقمر سقط من السماء فوق يديها وقد فسرت الرؤية على أن ابنتها قد تتزوج من القائد المنتصر في المستقبل. كما أن ارتباط الصقر بالخصوبة له استخداماته العملية أيضاً فنجد في كازاختسان وقرغيزستان تقليداً متبعاً إذ يتم إدخال الصقر على الأم عند الوضع لأن عيونه الحادة تخيف وتطرد الشياطين المعروفة باسم al-basty أو الأم الحمراء Red mother التي

تهاجم النساء في أثناء الولادة وتسبب لهن حمى النفاس.

وتبرهن أساطير الصقر العملاق Turul في هنغاريا أن هناك الكثير من عناصر التشابه بين هذه الأساطير وعبادة الطيور الجارحة. إذ كان يوصف Turul عادة بالشمس. وكان كذلك رمز منزل إتيلا وسلف أسرة أرباد الهنغارية. وفي عام ٨١٩ سجلت منحوتة الملك بيلا الثالث أن قائد السيكسان ويدعى يوجيلو تزوج من امرأة تدعى إيمشي التي حملت بألموس أول ملوك هذه الأسرة.

«حصل الصبي على اسمه من خلال الظروف غير العادية التي ولد فيها، عندما رأت أمه في رؤيا العظيم توريول ينزل من السماء عليها ويخصبها وتدفق ينبوعٍ كبير من رحمها نحو الغرب وبدأ ينمو حتى أصبح سيلاً جارفاً جرى نحو الجبال المغطاة بالثلوج وإلى المنخفضات الجميلة على الجانب الأخر. وتوقفت المياه هناك ومن هذه المياه نمت شجرة كبيرة لها فروع ذهبية. وقد تصورت أن ملوكاً مشهورين سوف يولدون من رحمها، وسوف يحكمون لا مواطنهم وحسب، ولكن سوف يكونون ملوكاً على أراضٍ نائية في أحلامها، تحيط بها الجبال الشاهقة».

بعد هذه الرؤيا أصبحت أيمش وابنها أول فردين لديهما القدرة على قراءة إرادة الإله من النجوم. ومثل الكثير من عناصر العبادات القديمة، نجد أن الفكرة القائلة بأن الكهنة قد ولدوا من اتحاد صقر وامرأة كانت سائدة في أساطير مغول سيبريا. حيث كانت هناك أسطورة عن رجل الشيمان الذي يستطيع الانتقال بين العوالم المختلفة وتترك روحه جسده أو جسدها فتحلق في هذه العوالم. وكان بإمكان هذه الروح أن تصعد إلى أعلى السماوات أو إلى أسفل الأرضين.

تصف تقاليد الشومان الصقور غالباً بروح مساعدة حيث كان يستخدم الهوما مشروب الخلود في طقوس التضحية عند قدماء Zoroastrain. وهناك تقليد قديم يقوم على استخدام Hallucinogens في تحقيق النشوة. ولقد اعتقد أن خلطة إعداد عيش الغراب Haoma قد سرقت من الآلهة من خلال الصقر



طبق فارسي من الفضة في القرن السابع الميلادي لصورة صقر (وربما نسر)، يحمل روح إنسان متوفى إلى السماء. وتظهر الروح في جسد فتاة متجردة وتطعم الروح الطائر بثمار أعمالها الصالحة.

الذي جلبها إلى الإنسان. من الملاحظ أن صور الصقور موجودة على رسومات الإيرانيين والفارسيين وعلى سفن وأسلحة Achaemenid - Sassanid. كان هنود الشوماش في كاليفورنيا يستخدمون نبات الداتورا ليسمح لهم بالاتصال بأرواح الأفراد الذين يساعدونهم في أحلامهم. وفي القرن العشرين ربط فيرناندوا ليباردوا كيف تم إنقاذ بحارة الشوماش من الغرق من خلال تدخل الصقر الجوال الذي يساعد القبطان في حمله أثناء هبوب العاصفة. وتظهر الصقور في الأعمال الأدبية كأرواح مساعدة، ففي القصيدة الملحمية الصربية - الكرواتية، تحمي الصقور أصحابها وتحمل لهم الماء في مناقيرها، وتحميهم من الشمس عندما يصابون بالمرض.

إن شجرة العالم هي عنصر مركزي في كثير من طقوس الشمان. حيث تربط بين السماء والأرض والعالم السفلي والعلوي وتمثل في صورة صقر. فالبطل المنغولي تورتول على سبيل المثال حط على قمة شجرة الحياة.

وفي الأسطورة النرويجية كان يطلق على الصقر اسم Vedfolnir أي الهبوب إلى أسفل. حيث صعد الصقر على منقار النسر الذي كان يجلس على أعلى فرع في شجرة العالم Yggdrasil. وكانت مهمة الصقر أن يخطر أودين بكل

شيء شاهده في السماء وعلى الأرض وما تحتها. وهناك رمز شماني آخر يرتبط باعتلاء الصقر قمة شجرة العالم وتمثل بطائر أو صقر حط على عصا. إن أسطورة خلق حورس إله أدفو تصف كيف تم تشكيل أثير العالم عندما ظهر مخلوقان شفافان فوق جزيرة صغيرة في البحر البدائي. قام أحدهما بالتقاط عصا من الشاطئ وكسرها إلى نصفين ووضع نصفها في الأرض بالقرب من حافة الماء. وقد حلق صقر في الظلام وهبط على العصى. وعلى الفور سطع الضوء وانحسر الماء وبدأت الجزيرة تنمو وتنمو حتى أصبحت الأرض.

عادة ما يقوم الشامان بتحويل أنفسهم إلى طيور أثناء لحظات النشوة حيث يستطيعون بهذه الهيئة الطيران إلى شجرة العالم من أجل جلب الأرواح مرة أخرى في هيئة طيور. ولقد حط البطل الهنغاري تورل Turul بالقرب من أرواح الأطفال الذين لم يولدوا في صورة طيور. ومن خلال هذا التلاؤم بين الشومان ونسل الصقر، يستطيع أفراد الشومان تقمص روح الصقر أثناء رحلته.

فمن خلال غناء الأناشيد في مدح النجوم يقوم أفراد الشومان Malekula بفرد أجنحتهم في تقليد للصقر. ووفقا للهنود الحمر في أمريكا الشمالية فإن

رسم هندي لغراب فوق درع من مونتانا مع صورة حامي المحارب وهو الصقر الجوال ومرفق به جوقة من ريش الصقر.



الصقر هو الحيوان الوحيد الذي يعرف مكان الثقب الموجود في السماء والذي يستطيع من خلاله الوصول للرب. فبعد أن همس الشومان في أذن الصقر ببعض الاستفسارات طار الصقر من خلال ثقب السماء إلى الرب وعاد إلى الشومان بالأجوبة.

الأرواح والاتحاد

باع كوشلاك الفارس غير الحكيم صقره الذي يتكلم إلى شخص غريب في مقابل قطيع من الخيول في ملحمة باشكير «كارا يورجا». وفي أثناء قيام الغريب بأخذ الصقر بين يديه، بكى قائلاً إذا تخليت عني سوف تتركك السعادة... لا تتخلى عني من أجل الغريب. ويتجاهل كوشلاك نداءات وابتهالات الصقر ويبيع الصقر ويستلم قطيع الخيول ثم يموت بعد فترة قصيرة. يكتب دي أركوشيا في عام ١٥٩٨ قائلاً إن القدماء كانوا يستخدمون الصقور كرمز لروح الإنسان. وفي عصور ما قبل المسيحية والإسلام كانت الصقور ترتبط بروح الإنسان. ويصف عمال المقابر الترك في العصور القديمة أن أرواح المحاربين تسقط على هيئة صقور على أيديهم. ويصف كتاب الموتى المصري الميت كصقر يطير بعيداً عن الفرعون، ويمكن لهذا الصقر العودة لزيارة جسده.

ويستمر هذا الارتباط بين الصقر وروح الإنسان، ففي بعض أجزاء وسط آسيا لايزال قتل الصقر جريمة تعادل قتل إنسان. وفي بدايات القرن العشرين امتد هذا التابو الخاص بحرمة قتل الصقور إلى مربي الصقور أنفسهم، إذ كانوا يهينون الشخص الذي يحمل الصقر أو الطائر على قبضته. وتصف قطعة نقود بقيمة ثلاثة دولارت أن الموت سوف يقبض على روح من يقتل صقراً قبل نهاية العام.

وقد حدث ذلك مؤخراً بعد أن أطلق رجل النار على صقر شاهين بالخطأ ظناً منه أنه كان صقر «الهاوك» Hawke. وفي ذلك العام، وقبل الرحيل طار الشاهين محلقاً وهو ينظر إلى جميع المدن والمنازل هنا وهناك ويجلس على المنازل كما لو كان يفحصها.

إن ارتباط الصقر بالأرواح، وفكرة أن الصقور تسهل الاتصال بين الأرض والسماء أو الشيء المقدس تبرز في العديد من التقاليد الخرافية. ففي أساطير الصوفية تعاني الروح المطرودة أثناء وجودها في الجسد الفاني وتشتاق للعودة إلى الوطن الخالق. ومن أجل أن تصبح طاهرة بشكل كافٍ لمقابلة الإله، يجب على الروح أن تعبر الصراط الوعر عن طريق الحياة الروحيّة. ونرى هذه الأفكار واضحة بشكل كبير في قصيدة الشاعر الإيراني العظيم حافظ، حيث يقارن في إحدى القصائد بين الإنسان والصقر الذي يطير من موطنه إلى مدينة الشقاء.



تصوير لدعاء على شكل صقر في أواخر القرن ١٧ من أعمال محمد فتحياب.

كان الكتاب المسيحيون أيضاً يستخدمون الصقور في الحديث عن الوحدة الأسطورية بين الإنسان والصقر. يكتب دي أركوشيا كيف أن الكتابات المقدسة تقارن الصقر بالإنسان المتأمل. الذي لا يرغب في الانخراط في الشؤون الدنيوية، والذي إذا احتاج في أي وقت أن ينزل إلى العالم الدنيوي ما يلبث أن يطير مرة أخرى عائداً إلى السماء. وفي قصيدة بعنوان The Hound and the Hawk يتحدث المؤرخ جون كومينز عن الأساليب التي استخدم فيها سانت جون موضوع الصقر في مناجاته للسماء وتصوير الاتحاد بين روحه والله:

«اقتربت من أعلى عليين إلى
أسفل سافلين وأطلقت صوتي في يأس قائلاً: لا يمكن لأحد
الوصول إليه
وسرت ببطء
ببطء شديد لدرجة أنني
ارتفعت عالياً في مناجاتي»

وفي الشعر الإسباني نرى نماذج للاتحاد الجسدي بين الصقر والإنسان

«يحلق مالك الحزين في السماء،
يبزغ الصقر من السماء
ويحملها على جناحيه
ويستغرق في عانتها المبللة
إلى أعلى الجبال
ويقترب الصقر بشدة من رحم القديسة ماري
ويصرخ مالك الحزين بصوت عال
يدوي صداه في السماء
ويغرق الصقر في العانة المبللة
ولكن الأنثى الثائرة
ترتفع إلى أعلى ببطء

لقد غرق في العانة المبللة».

كانت ممارسة الحب تصور دائماً على أنها صراع بين الصقر والفريسة. ففي الأغاني التركية يتم تصوير مشهد ممارسة الحب بين العروس العذراء وخطيبها بأنثى تحاول أن تهرب من الصقر. كما أن الصيد بالطيور قد ساهم في خلق هذه الصورة الإيروتيكية عن الصيد بالصقور. إن تربية الصقور وإغراء النساء، ظل لقرون ينظر إليه على أنه أمر متماثل. نرى ذلك في مسرحية شكسبير «ترويض النمرة» حيث نجد هناك تماثلاً بين تدريب الصقور وإغراء الأنثى المتمردة. وكما يصفها جون كومينز على أنها أنشطة تستحوذ على الإنسان في تحرير وإطلاق رغباته. وهو يستعين بمقولة في العصور الوسطى في ألمانيا مفادها أنه من السهل ترويض كلٍ من النساء والصقور، فإذا تعاملت مع كليهما بالطريقة الملائمة فستأتيانك طواعية.

هذا التشبيه له شقان، فلقد كانت تربية الصقور يتم تناولها عادة في سياق الكتابات الإيروتيكية، وعلى سبيل المثال يكتب المؤلف «ديفيد جارنتي» أن محاولات «تي. أتش. وايت» لتدريب صقر (goshawke) هو أشبه بقراءة إحدى قصص الأغراء للقرن الثامن عشر.

علاوة على ذلك فإن الأدوات المستخدمة في تربية الصقور مثل القلنسوة والرسن والأربطة عادة ما تقدم الصقر في صورة السيدة المسيطرة، ومربي الصقور في صورة العبد الخاضع، بما يتيح تصويرها بشكل صريح بمفهوم فيتشي Fetishistic ومازوخية. يستخدم مربي الصقور في هذه العلاقة المازوخية الجلد، وكان يستخدم في فترة الخمسينيات كملصق للسيارات. ويقدم ويليم باير في نفس الفترة قصة جنسية نفسية مثيرة (ne phis ultra) لصقر الشاهين تؤكد هذا التصوير. حيث يقوم مدرب صقور بتدريب صقر شاهين على قتل النساء: ويختطف صحفية ويطلق على صقر الشاهين اسم pambird ويقوم بوضعها في معدات لتدريب الصقور معدة من قبل محل للأدوات الجنسية في المدينة. وبذلك يقوم المدرب بتدريب الصقر خلال مراحل التدريب المختلفة

وعندما تكون جاهزة يقوم بإطلاقها لتقتل النساء.

وفي المشهد الأخير تظهر سيدة جميلة صامتة تعرضت لغسيل مخ وقد قامت بأداء طقوس القتل بأسرها، وتقف في ثبات مثل التمثال في صورة طائر ضخم، فاردة ذراعيها ورأسها منهك، والريش يسقط من ذراعيها كما لو كانت أجنحة عملاقة.

وهناك قصة أخرى تتناول موضوع التحول والرغبة في الأدب الروسي في رواية (Finist the Falcon) حيث تعمل ماريا كربة منزل لوالدها الأرمل وأختين شريرتين يكبرانها في العمر. تطلب أختاها من والدهما الملابس المبهرجة والحرير ولكن كل ما تطلبه ماريا هو الريش من Finist the Falcon وأخيراً



صورة تصور العلاقة المعوجة بين الجنسين في أمريكا في فترة الخمسينيات.

يعثر لها والدها على واحد، ويغمرها السرور وتأخذ الريش إلى غرفتها وتبدأ في غزله. ويحلق في الهواء صقر لامع في غرفتها قبل أن يتحول إلى شاب وسيم. تسمع أختاها الغيورتان صوته وتقتحمان غرفتها ولكن يهرب Finist على هيئة صقر من النافذة. ويعود الصقر في الليلتين التاليتين إلى غرفة ماريا ولكن للأسف فإن أختيها الغيورتين تريان الشاب في الليلة الثالثة وتثبتان سكاكين حادة وإبر في نافذة أختهما. وفي الليلة التالية تنام ماريا التي لا ينتابها أي شك، في حين يجرح Finist نفسه عندما يحاول الدخول إلى غرفتها. وأخيراً يصرخ مودعا لها وقائلاً «إذا كنت تحبيني، فسوف تجديني وطار بعيداً». وأخيراً تتحد ماريا مع Finist بعد رجاء طويل ويعيشان سعيدين مدى الحياة.

تحول الصقور

هناك قصة معروفة في الأساطير الهندية مفادها أن الآلهة أندرا واجني سعت إلى اختبار عاطفة وإحسان ملك سيبس من خلال تحول الآلهة إلى شكل صقور تقوم بمطاردة حمامة، وأثناء المطاردة حطت الحمامة الخائفة المنهكة في حجر الملك ومنحها الملك حمايته. استشاطت الصقور غضباً لذلك قائلة للملك: «لقد تغلبنا على هذه الحمامة بما بذلناه من جهد وتعب وإننا نتضور جوعاً» فليس لديك الحق أن تتدخل وأن تمنحها الحماية.

فإذا رغبت في حماية الحمامة سوف أموت أنا جوعاً ولكن إذا كان لزاما عليك أن تمنحها حمايتك فيتوجب عليك أن تمنحني من لحم جسمك ما يعادل وزن الحمامة، وقد وافق ملك سيبس على ذلك وأمر بإحضار الموازين ووضع الحمامة فوقها ثم بدأ يقطع من لحم فخذه بسكين ولكن ما قطعه لم يكن كافياً ليصل وزن الحمامة لذا استمر في القطع وكلما قطع بَعُدَ ذلك عن وزن الحمامة حتى وصل إلى ذراعيه ورجيله وصدره وأخيراً أدرك الملك أنه يجب أن يضحي بنفسه تماماً حتى يعادل وزن الحمامة وفي هذه اللحظة يتم سماع صوت الموسيقى وينزل من السماء سيلٌ من الطعام الشهي لضميد جراح الملك بعد ذلك ترجع الآلهة أندرا وأجني إلى هيأتهما الإلهية، مسرورتين من تأكدهما

من عطف وصلاح الملك معلنتين أنهما سوف تقومان بإعادة خلق الملك مرة أخرى في هيئة بوذا.

وهناك قصة أخرى أيضاً تحكي تحول الصقور المقدسة في أساطير شمال ألمانيا وتحكي الأسطورة أن فيجا إلهة الخصوبة كانت لديها عباءة على شكل صقر وأن من يرتدي هذه العباءة يتحول إلى صقر وبمقدور الإنسان مثله مثل الآلهة أن يتحول إلى شكل صقر. ونجد أن بطل القصيدة الملحمية في إيست سلفك بليني (East Slavic) وكان يدعي فوجاتير؛ وهذا اللفظ يرجع إلى الأصول التركية والمنغولية ومعناه البطل، وتحكي الأسطورة أن البطل فولخ فيسنفتش اسطتاع أن يتحول إلى صقر أبيض وإلى ذئب رمادي وإلى ثور أبيض له قرون ذهبية كما كان بإمكانه التحول إلى نملة صغيرة. وفي السبعينيات ظهرت قصة كوميدية بعنوان أول بطل أسود. حيث تحالف الصقر مع كابتن أمريكا من أجل محاربة الشر ويساعده في ذلك صقر مدرب يدعى رد ونج. لقد سحرت هذه القصص حول تحول الإنسان إلى حيوان الكثير من النقاد على مدار سنوات طويلة ولكن ما المعنى من ذلك؟ وما المقصود بكونك إنساناً أو بشراً؟ فهل مثل هذا السؤال يثير قلقاً دينياً وجنسياً؟ وهل التحول الذي يحدث من الإنسان إلى الحيوان يقوم بخلق وحوش من أجل أن يتم تدميرها في أشكال خرافية من أجل تعزيز الحالة الراهنة؟

هناك دائماً قصص ومواعظ من تحول الإنسان إلى هيئة الصقر فنجد البطل الفتيّ في قصة ارسولا لي جونس Ursula Le Guins أويزارد اوف ايرث A wizard of earthsea يحول نفسه إلى صقر جوال له أجنحة حادة وقوية من أجل مهاجمة الشياطين الشريرة التي قامت بتمزيق أنثاه، ويقوم بالطيران عبر البحر كما لو كان سهما أطلق بشكل مستقيم تجاه عدوه كفكرة خالدة تأبى النسيان.

إن رواية لي جونز Le Guin.s هي وقفة تأمل عند أهمية تعرف وقبول حقيقة الفرد. ويعرض «جد» نفسه إلى الخطر عندما يظهر عواطفه الجياشة في هيئة صقر ويقول إن تحوله هو فقدان لنفسه وبعد عن حقيقته وتقرّر الرواية أنه

البطل زلخ فيسلفتش يتحول إلى شكل صقر في عام ١٩٢٧ عمل الفنان الروسي إيفان بنيبن.



كلما طال البقاء في الشكل الذي تحول إليه كلما زادت الخطورة، إذ نجد في أحداث القصة أن «جد» المتحول إلى صقر جوال يسعى إلى الالتقاء بمعلمه القديم أوجيون ويحط على يديه ويتعرف عليه اوجيون ثم يقوم بتحويل الصقر مرة أخرى إلى الهيئة الأدمية حيث يتحول إلى إنسان صامت ملابسه مليئة بالماء المالح، وفاقد للقدرة على النطق.

«لقد تحول «جد» إلى شكل صقر في قمة معاناته وإحساسه بالغضب حيث يتملك غضب ووحشية الصقر، ويتحوّل إلى جزء منه كما تتحد رغبته في الطيران برغبة الصقر أثناء طيرانه تحت أشعة الشمس وفي ظلمات الليل. لقد كان «جد» يرتدي أجنحة الصقر ويبصر من خلال عيني الصقر حتى تناسى أفكاره التي عرفها وأصبح يعرف فقط ما يعرفه الصقر وهو الجوع والريح والطريق الذي يطير فيه».

إن هذه المعلومات الخاصة بالصقور ككائن قوي ومتوحش ومستقل وحر وطليق هي التي أعطته دوراً متميزاً في القصص والأساطير، إذ يظهر الصقر في صورة من يساعد الآخرين ويقودهم إلى الطريق الصحيح ويحقق التوازن بين الإنسان المتمدن والطبيعة المتوحشة وفي كثير من الأدبيات والأفلام الحديثة نجد أن المعونة التي يقدمها الصقر نابعة من التطور الذاتي.

يقوم الصقر بتحقيق التوازن وتغيير كبرياء الإنسان إلى التواضع كما يظهر في صورة حيوان يتولى الوصاية والعناية بشخص ضعيف مسلوب الإرادة، وعادة ما يكون طفلاً مقهوراً بالظروف الاجتماعية أو بغياب أحد والديه. ففي رواية باري هاينز على سبيل المثال أو في رواية جن كريهد جورج Craighead George «جانب الجيل» نجد أن الصقر الجوال هو رفيق أحد الأطفال الذي يهرع إلى جبال تات، سكل لكي يعيش هناك.

وفي فيلم لوس أندرسون عامٍ ٢٠٠١، وهو بعنوان The royal tenenbaums نجد أن هناك طفلاً آخر يقوم بالاحتفاظ بصقر يدعى موردكاي، وذلك في سقف منزل العائلة. وعند تحريره يعود الصقر موردكاي من سماء نيويورك إلى الطفل مرة أخرى بعد أن يتحقق الوفاق بينه وبين والده. أما رواية فيكتور كمنج «the painted tent»، فتحكي قصة صبي يتيم عمره ١٦ عاماً يدعى كايلي يختبئ في أثناء هروبه من الشرطة في سيرك لأحد العائلات في غرب البلدة وتقوم رابطة خاصة بينه وبين أحد الصقور المحبوسة في قفص داخل هذا السيرك، يسمى فراي وهو لم يذق طعم يوم

الساحر Ged يطير في شكل صقر: رسم رس اربنسون عن رواية ارسولا لي جونز.



الحرية والطيران كصقر جوال وهي المنحة التي منحها الله إياه. ويصادف أن يحب سميلي Smiley الطيور ويعطف عليها إذ إنها بالنسبة له رمز للحرية والانطلاق، لذا عندما يرى الصقر محبوساً فإن ذلك يحز في نفسه بشكل كبير. ويهرب الصقر فراي ومع تقدم القصة نجد أن القوى الشخصية للصبي «سميلي» يحاكيها الصقر، حيث يتعلم مهارات الصيد فرحاً بحريته وانطلاقه ثم أخيراً يعثر على صديقة تماماً مثل الصبي سميلي.

هناك قصة أخرى عن تحول الإنسان إلى صقر: هي قصة طفل يتيم لا يعرف هويته الحقيقية يدعى كنج آرثر حيث يتحول إلى صقر من خلال معلمه مارلين وذلك في رواية تي أتش وايت H White «السيف في الصخرة» إن جزءاً من تعليمه، وهذه الصورة التي يستوفيها «وايت» في روايته، هي محاكاته للصورة التي كانت شائعة في العصور الوسطى حيث تظهر في الصقور المتكلمة، وفرسان آرثر المدججين بالسلاح الذين يشتركون في رتبة اجتماعية وسلوك واحد.



بوستر خاص بفيلم ويز أندرسون في عام ٢٠٠١ The Royal Tenenbaums. أثناء تصوير الصقر يحمله لوك ويلسون قام بمطاردة حمامة عبر مدينة نيويورك لعدة أيام.

ففي أقفاص الصقور الموجودة في قلعة سوفاج نجد أن كل صقر يصور كتمثال ثابت لفارس مدجج بالسلاح، حيث تقف الصقور في ثبات مرتدية خوذها في زهو وتفاخر، وهذه المحاكاة بين الفرسان والصقور قد قدمها وايت في روايته بشكل جميل ومتقن. كانت ملابسهم وحليهم التي يلبسونها تتحرك

بشكل ثقيل بفعل الرياح حتى بدت أشبه برايات معلقة فوق سور كنيسة، ومع ذلك فقد كان الفرسان المتحولون في يقظة وصبر فائق. بعد ذلك يستمر وايت في روايته بالسخرية من النخب العسكرية والرياضية.. فقبل أن يقوم بتحويل الصبي إلى الصقر مارلين ويطلقه في قفص الصقر يقترح مارلين أنه يتعلم من خلال الاستماع إلى الخبراء في الثقافة العسكرية. وسوف يضطر آرثر للعيش والتنفس كملك، ومن ذلك لدينا اقتباس من الرواية لحديث مارلين.

«إنني لا أفهم حقيقة أنهم سجناء أكثر من كونهم ضباط بارعين فهم يعتبرون أنفسهم مكرسين لواجبهم كجزء من نظام الفروسية الذي ينتمون إليه. وكما نرى، فإن الصقور الموجودة في القفص ممنوعة عن الطيور الجارحة، ويساعدهم ذلك كثيراً فهم يدركون أنه ليس هناك طير من الفئات الأقل مرتبة بإمكانه الدخول في هذا القفص، فلا مكان للطيور السوداء أو الطيور الأقل شأناً».

وفي الثلاثينات نجد وايت بعد أن أصبح مدرساً غير سعيد، تملؤه الهواجس والقلق على وضعه الاجتماعي وقدرته الجنسية ومهنته، فيترك عمله ويعيش في كوخ لأحد حراس الغابات، ويقوم بتدريب أحد الصقور لقد رأى أن تدريب الصقور هو أحد أشكال التحليل النفسي، إذ استحوذت عليه فكرة أنه قد يتحول إلى طائر بري مثل الصقر الذي يدربه، وفي الواقع، فإن الشراكة الطويلة بين الإنسان والصقور هو استخدام الصقور في الصيد. ومعيشتها غالباً في وسط المنازل والأحياء، ومقاومتها المستمرة ورفضها للترويض لتصبح طيوراً منزلية قد أعطى الصقر والطيور الأخرى من هذا النوع صورة رمزية قوية من التوحش والضراوة في كثير من الثقافات.

وقد ميز تدريب الصقر علاقة الإنسان بشكل قاطع ومحدد وسوف نكتشف في الفصل القادم ظاهرة ما، أطلق عليها تي اتش وايت بأنها الرغبة الجامحة التي يحرمك التفكير فيها من النوم والأكل والشرب وهي ما أطلق عليها الملك جيمس الأول بأنها المحرك الأساسي للعواطف والرغبات.

3- الصقور المدربة:

إن تدريب الصقور ليس رياضة، وإنما فيروس يتمكن من الفرد ويجعله مصاباً به فلا يستطيع التخلص منه، وهذا وفقاً لوصف أحد مدربي الصقور الأمريكان يحدث أثناء انبهاره بمشاهدة أحد الصقور التي يدربها حيث يطير ويرتفع في السماء في أواخر الشتاء. ويتحدث هذا المدرب عن الرغبة في تدريب الصقور بأنها أشبه بالوباء، إذ ظهرت في وسط آسيا منذ آلاف السنين وانتشرت في جميع المناطق والأنحاء، وفي العصور الوسطى استولت هذه الرغبة على الأفراد في أوروبا وعادة ما يصور مربّو الصقور رغبتهم هذه بالمرض، فيقولون إنهم لم يسعوا أبداً أن يصبحوا مدربي صقور وإن ما أصابهم هو رغبة جامحة لم يستطيعوا مقاومتها. وعلى حدّ قول مدرب الصقور في القرن التاسع عشر أيه بي ميشيل لقد سمعت مدربي صقور يتحدثون كيف أن تدريب الصقور قد أفسد أعمالهم وخرب زواجهم وأصابهم بأوجاع القلوب والإرهاق وأثقل جيوبهم من كثرة النفقات ولكنهم لا يزالون يشعرون بالسعادة على الرغم من ذلك ولا يستطيعون التوقف عن تربية الصقور.

وتعرف القواميس والمعاجم تربية الصقور بأنها استخدام الصقور المدربة من أجل الصيد، لكن هذا المعنى يخفق في احتواء الإغراء الاجتماعي والعاطفي والتاريخي لرغبة الإنسان منذ آلاف السنين في تربية وتدريب الصقور، فمنذ العديد من القرون كان مدربو الصقور الفرس يقومون بتطيير الصقور الجوالة ليلاً من أجل اصطياد البط الذي يتدفق من البرك المقمرة، ووصل فيهم الأمر أنهم كانوا يدربون الصقور من أجل اصطياد الفرائس مثل النسور والغزال. وكان لويس الثالث عشر يقوم باصطياد العصافير باستخدام صقور مدربة في حدائق اللوفر.



- مدرب صقور يحمل على يده صقر يرتدي قلنسوه هولندية من الريش.

لكن بشكل عام، يمكن القول بأن تربية الصقور أصبحت أمراً مختلفاً اليوم ففي الصحراء الأمريكية نجد أن مربي الصقور الأمريكية يبحثون عن أكبر الفرائس من أجل تدريب الصقور على اصطيادها.

أما أعيان العرب من الأشخاص البارزين فإنهم يهبطون مع صقورهم المدربة من طائرات خاصة لامعة في مقاطعات خاصة بهم في باكستان، ونجدهم في



- ملكة السويد كريستينا «١٦٣٢ - ١٦٥٤» ومعها مدرب الصقور في منتصف القرن السابع عشر: رسم زيتي من أعمال سبيستيان بوردون.

الغابات والأحراش الاسكتلندية يقومون باصطياد البط الأحمر باستخدام الصقور الجوالة، أما في زيمبابوي فنجد أن الطلاب في كلية الصقور كانوا يدربون الصقور كجزء من مقرراتهم الدراسية.

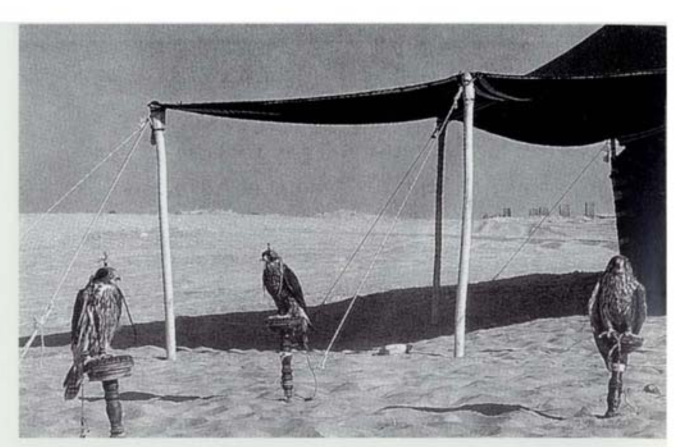
يعد البعض تربية وتدريب الصقور ممارسةً تنطوي على مفارقة وجذور تاريخية، والسبب في ذلك هو أننا دائماً ما نرى التغطيات الإعلامية لتربية أو لتدريب الصقور تربطها بالماضي العتيق. ولكن تدريب الصقور أصبح أمراً ملموساً في الوقت الحاضر ففي بعض البلدان أصبحت تربية الصقور جزءاً من

الحياة اليومية حيث يتم حمل الصقور في الأسواق المحلية والمجمعات التجارية من أجل ترويضها في بلد مثل دولة الإمارات العربية.

ويعتقد مدربو الصقور الأمريكان أنهم يعيشون في العصر الذهبي لتدريب الصقور، أما في بريطانيا فإن تدريب الصقور أصبح اليوم أكثر شعبية وقبولاً عما كان عليه في القرون الثلاثة الماضية، فأصبحت معارض تدريب الصقور هي القاسم المشترك في جميع العروض التي تتم في بريطانيا. كما أن أقدم أوبرا إذاعية في بريطانيا (the archers) يوجد بها مدربو صقور خاصون بها. كما تم افتتاح مراكز ومدارس تدريب الصقور في جميع أنحاء بريطانيا وأوربا، إلى جانب انتشار نوادي تدريب الصقور على المستوى المحلي والعالمي والإقليمي. كما ظهرت المصمّمة الأمريكية الشهيرة مارثا استيورت في إحدى المقابلات التلفزيونية تحمل صقراً فوق القفاز الذي ترتديه في يدها، ومن خلال ذلك يمكن أن نرى أن تدريب الصقور لايزال أمراً حياً نابضاً في الوقت الحالي.

لماذا ومتى؟

لقد استخدم الإنسان الصقور شريكةً في الصيد على مدار السنة في الألف عام الماضية وربما أكثر، وليس هناك اتفاق حول الوقت الذي بدأ فيه استخدام الإنسان للصقور في الصيد، أو متى بدأت عملية تدريب الصقور، فلكل مجتمع ثقافته الخاصة بتدريب الصقور وجذوره التاريخية التي دائماً ما يربطها بالأساطير وحكايات القدماء، فعلى سبيل المثال في عام ١٩٤٣ ذكر الأستاذ بجامعة هاريبرد؛ هانز لبيستن أن تدريب الصقور كان أحد السمات الحضارية، وكان يتطلب وجود رخاء وثروة وصبر طويل وحساسية كان لا يمكن أن تتوافر في المجتمعات البدائية، وكان البروفيسور هانز متأكداً لذلك من استحالة أن يكون تدريب الصقور له جذور ألمانية، وفي القرن السادس عشر كان يعتقد معظم الأوروبيين أن مدربي الصقور كانوا في طرواده. أما في القرن التاسع عشر فكان مدربو الصقور البريطانيون من الطبقة الثرية المتعلمة كما يصفهم لبيستن يستخدمون الصقور من أجل دفع الطيور المتوحشة إلى الشباك، وذلك



صغار الصقور في الصحراء بالقرب من أبوظبي حيث يتم تدريب الصقور في الصباح والمساء عندما تصبح أشعة الشمس شديدة الحرارة يلجأ الصقر إلى الراحة في الظل.

دليل على أن تدريب الصقور بدأ عند الأغريق على الرغم من أن المقال الذي كتبه زينفون عن الصيد عند الأغريق لم يذكر كلمة الصقور ولو لمرة.

وفي الأونة الأخيرة عثر على عظام الطيور المتوحشة في مقابر موجودة في الشرق الأدنى، ومن المرجح أن تدريب الصقور يرجع إلى ما قبل التاريخ، لكن معظم الدارسين المعاصرين يعتقدون أن بداية تدريب الصقور ظهرت في وسط آسيا ومن هناك انتقلت إلى الشرق ووصلت إلى الصين واليابان في القرن الثالث بعد الميلاد، ثم انتقلت إلى الغرب من خلال التجارة والمستعمرات في أوروبا الغربية. وبالطبع فإن تدريب الصقور كان بالإمكان أن ينشأ بشكل منفرد في العديد من المناطق، يذكر كورتيز أن Montezuma كان لديها مجموعة كبيرة من الطيور في بلاط إيزتك سواء أكانت تستخدم في تدريب الصقور أم لا. كما أن العلماء العرب قد كتبوا عن أن أول من بدأ في تدريب الصقور على الصيد، وكان الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة في فترة ما قبل الإسلام، إذ إنه في إحدى المرات وقع أحد الصقور في شبكة صياد الطيور فأعجب الحارس بشكله وأخذه معه إلى موطنه حاطّاً فوق ذراعه، وفي أحد الأيام ترك الصقر ذراعه وطار ليصطاد حمامة، وفي اليوم التالي اصطاد أرنباً برياً ومن هنا بدأ استخدام الصقر



شكل منحوت لمدرب صقور من القرن السادس عشر في اليابان.

في الصيد، كما أنه قد تم تكريم الصقر بذكره في القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٥)﴾ (صورة المائدة ٤-٥).

وفي الثلاثينات وصف مدرب الصقور البريطاني الكولونيل جالبرت بلين الرغبة الغريبة التي انتابته في تدريب الصقور هو وأتباعه، فيقول إن تدريب الصقور الحقيقي هو أمر فطري وليس مكتسب فهو متأصل بجذوره في أعماق الفرد مما يولّد شغفه وحبه للصقور، وأضيف أنه يجب أن تكون تلك رغبة متأصلة من الأسلاف والجدود ولا تأتي بالتعلم والاكتساب، ويمنح بلين نفسه وأصدقاءه صفة الانتماء إلى الطبقة الراقية، ذلك أن معظم الأسلاف في الوقت الحالي الذين يمارسون رياضة تدريب الصقور هم من الأرستقراطين، فلم يحاول أحد من العامة الاقتراب من الاكتشاف أو سَبْرَ أغوار غموض تدريب الصقور، وذلك وفقاً لبلين الذي يقول «حتى بين الأفراد المثقفين فإن استخدام وامتلاك الصقور النبيلة كان مقتصراً فقط على الطبقة الأرستقراطية كحق وميزة حصرية».

استخدام الصقور في الصيد:

إن ما ذكره بلين متأصل بشكل عميق في مفاهيمه الاجتماعية لكن فكرته عن أن الصقور هي طيور أرستقراطية هو أمر ثابت ومنتشر في معظم ثقافات تدريب الصقور من أجل الصيد. إن سلوكها الهادئ ومنظرها النبيل ومصداقيتها هو ما يميز الصقور عن غيرها من باقي الطيور، وذلك وفقاً لأحد مدربي الصقور الأمريكان في ستينات القرن العشرين وهو هارلود ويبستر إذ يرى أن ما تتمتع



روبرت تشيسمان مدرب صقور يحمل صقراً رمادياً وهويرتدي حلة من الفراء والجلد الأحمر. رسم لهنري الثالث عشر بالزيت من أعمال هانز هولبين ١٥٣٢.

به الصقور من سلوك هادئ ومنظر نبيل ومصداقية هو ما يميزها عن باقي أنواع الطيور الأخرى. يتمتع هارلود بحس حالي لا يختلف عن سابقيه من مدربي الصقور المعاصرين. فالصقور بالنسبة له كانت لها رمزيتها الاجتماعية ولاتزال وسوف تظل متميزة ومتفردة.

ويصف هارلود الصيد باستخدام الطيور بأنه أشبه بعلاقة اجتماعية راقية «جميلة، وجذابة ومثيرة» على حد وصفه. لذلك فالصقر يمتلك أعلى جاذبية للمتباهي الذي يرغب في الخروج مع رفاقه.. ومثلما هي الحال مع الصيد بالثعالب اليوم كان الصيد باستخدام الصقور في بدايات أوروبا الحديثة حدثاً اجتماعياً كبيراً يتطلب وجود حاشية كبيرة ومناطق شاسعة يستطيع فيها الصقر أن يطلق العنان لنظره. ومرة أخرى نجد أن ويبتسر هو وريث أجيال من المكانة الاجتماعية في تدريب الصقور...

عندما يكتب أن الإنسان الذي يتحاشى الصقور ويفضل الصيد باستخدام صقور العصافير ذات الأجنحة القصيرة أو صقور الإوز هو إنسان انطوائي يفضل أن يخرج للصيد في سرية بمفرده. وفي القرن التاسع عشر كان لفظ (austringer) يشير إلى الشخص الذي يطيرّ الصقور ذات الأجنحة القصيرة Hawk وليس صقور الفالكون، وكان الغرض من اللفظ هو التقليل من شأن الفرد.

ما هو النشاط المدهش الرائع الجميل الذي يصفه ويبستر؟ إذا كانت الرياضة أو الفن أو الهواية التي يمارسها الإنسان تسمى الصيد باستخدام الصقور فإن ممارسة الصيد باستخدام أي طائر تُسمّى (Hawking) وأنت لا تقوم بتدريب صقر من أجل مطاردة فريسة. لأنها تقوم بذلك بالفطرة (في لغة مدربي الصقور الغربيين يشيرون إلى الصقر بكلمة هي، مثل السيارات والسفن والطائرات). إن لمدرب الصقور ثلاث مهام: تدريب الصقر، وتهذيب الطريقة التي تستخدمها الصقور في مطاردة الفريسة، وتدريبها على العودة في حالة عدم نجاح المهمة. لا يقوم الصقر باسترجاع فريسته، وفي حالة قيام الصقر بصيد ما يجب على مدرب الصقر أن يهرع إليه، ويكافئه على جهوده في الوقت الذي يحصل فيه بشكل رقيق على الفريسة التي قام الصقر بصيدها، سواء أكانت من البط أو الإوز. وبعد أن يقضي شهوراً من العمل والإعداد، فإن واجب مدرب الصقور يأتي في مقدمة أيّ شيء آخر مثلما يصفه «جيم ويفر» وهو أن تعطي للصقر فرصة لكي يظهر قدراته الطبيعية إلى أقصى مدى.

المعارك الجوية:

الصقور مدربة على الطيران بأسلوبين، إمّا المطاردة المباشرة للفريسة من فوق قبضة الصياد، أو بالهبوط على الفريسة من على ارتفاع شاهق. ويجب على الصياد تحديد موقع الفريسة قبل أن يطلق الصقر. ويقوم الصيادون العرب بإطلاق الطيور نحو الحبارى والكروان البري.

هذه الصخور الرملية الجميلة يكون من الصعب فيها تحديد موقع الطير بالعين المجردة لذلك يستخدم مدربو الصقور العرب صقراً لتحديد الموقع من



صورة صقر يطارد دجاجة برية عبر السهول الرملية في بلوشيستان وحيث يقترب من الفريسة من أعلى.

أجل معرفة مكان الفريسة ومطاردتها. ومن أجل استكشاف الفضاء الفسيح يقوم الصقر برفع رأسه والنظر في اتجاه الفريسة لتحديد مكانها.

وفي أوروبا الحديثة نجد أن عملية المطاردة الجوية دائماً ما تحدث بين الصقر والغراب، والصقر والدجاجة البرية، وأحياناً ترتفع الفريسة إلى أعلى بمسافة مئات الأقدام في الهواء محاولة أن تعلو فوق الصقر، وفي المقابل يحاول الصقر أن يعلو فوق الفريسة، حتى يستطيع أن يهبط من أعلى إلى أسفل فوقها. وهذه المطاردات المرتفعة في السماء تعرف باسم الرحلات العظيمة Haut Vol. وكانت هذه المطاردات الجوية ne plus ultra لتربية الصقور في بدايات أوروبا الحديثة، ومن أجل تأمينها كانت صقور الشاهين والجيرفالكون تحلق فوق طائر الكركي ومالك الحزين والحدأة. هذه المعارك الجوية التي كانت تتم على ارتفاعات عظيمة كانت ترى على أنها انعكاس للمكائد السياسية البشرية والاستراتجيات العسكرية والقوة.

أما صيد طائر مالك الحزين بواسطة الصقر فكان بمثابة لعبة سياسية بالنسبة



صقر جوال يطير فوق الصخور في رسم بالقلم الرصاص لكاريل ويلهلم فريدرتش بيوريل (١٨٣١ - ١٩١٢).

لجورج تربيرفيل Goerge Turberville. ويقدم الشاعر ويليم سوميرفيل William Somerville واحدة من أهم هذه الدلالات لمعارك الصقر الجوية. في قصيدة له بعنوان (Filed Sports): ففيها معركة جوية بين صقر وطائر مالك الحزين، ويظهر فيها نبل وقوة وبراعة الصقر التي تثير الدهشة:

«يحلق الصقر عاليا
متزنا في الهواء ومزهوا بنفسه
يحلق فوق فريسته كالسحابة ثم يصوب مقدمته
ويهبط على رأسه ويطلق أزيزه المرعب
الذي يدوي في الليل
مصوباً منقاره على طول الطريق.
وبعد هذا الزهو يشعر بالفرح الغامر
كل من الصياد والصقر
بما يتقاسمانه من حرية
وسعادة مشتركة».



- مرتفعات هوت فول، صقر جوال يصيد البلشوان (طائر مالك الحزين) فوق منطقة الأحراش في منطقة فيولو في هولندا كان يتم إطلاق سراحها عادة بعد أن يتم صيدها.

ومقارنة بهذه الحروب الجوية غير المتوقعة، التي تغطي أجواء السماء. ويعتبر التوقف في السماء إحدى الميزات التي استطاع مدرّبو الصقور الغربيون تدريب صقورهم عليها. فلقد كان يتم تدريب الصقور على الانتظار في الأعالي، وربما تطير في دائرة على ارتفاع ١٠٠٠ قدم فوق الصياد بانتظار الفريسة، وعادة ما تكون من البط أو الإوز. وعندما تبدأ عملية الصيد يطير الصقر بشكل رأسي فوق الفريسة ثم ينقض عليها بشكل مباغت. إن صوت سقوط الصقر من الارتفاع الشاهق في جو السماء فوق الفريسة يوحي بالرهبة وهو أشبه بالصوت الناتج عن تمزيق قطعة من القماش. وأثناء طيران الصقر يجري الأدرنالين في دماء المشاهدين كما لو كانوا يشاهدون عرضاً جوياً أو Grand Prix. وفي إظهار لإعجابه بالصقر بعد أن فرغ من عملية الصيد يقول ألفا ناي Alva Nye مخاطباً الصقر «إنك الطائر بحق» وفي الحال لا يكون هناك مفر للفريسة من أن تقتل بالحال بفعل مخالب الصقر.

تنتهي معظم المعارك الجوية للصقر بهروب الفريسة وعودة الصقر إلى شرك الصياد.

الشرك -حبل طويل مع وسادة جلدية أو زوج من الأجنحة الجافة ذات



صورة ملتقطة في فترة ١٩٤٠ لمدرب الصقور «ستيف جاتي» يدرب صقر الشاهين في الشرك.

نهاية واحدة- وتستعمل أيضاً لتدريب الصقر عن طريق مطاردتها وهي معلقة في الهواء. إنه اختراع مناسب لقرّاء مسرحية ترويض النمرة التي قد يواجهون فيها العديد من مصطلحات الصيد بالصقور الغامضة. كان شكسبير يكتب في عصور الصيد بالصقور الأوروبية الزاهية، وهو الوقت التي كانت فيه مصطلحاتها صعبة ومختلطة. وكما هو الحال في أي نشاط راق، فإن الكلمات الصعبة وقواعد الصيد بالصقور لها وظائف رئيسية؛ والوصية المميزة للقرّاء تثبت من خلال ارتفاع مكانة الشخص الاجتماعية. فعلى سبيل المثال كان الجاسوس جسويت أب ساوثويل قلقاً للغاية بأن هويته الحقيقية ستكتشف بنسيان مصطلح عن الصيد بالصقور.

وكان ثمة مصطلحات مخصصة لمعدات الصيد بالصقور ولأساليب الطيران المختلفة ولكل جزء من الصقر. فبراثن الصقر كان يشار إليها باسم pounces أما بالنسبة لأصابع الصقر فهي (petty signles)، وأجنحتها هي الأشرعة sails، ودرعها من ريش الصدر. عندما يعطس الصقر فإنه يصدر صوتاً له اسم خاص، ومازالت بعض هذه المصطلحات تستعمل حتى اليوم من قبل مدربي الصقور:

فصغار الصقور هي eyasses والصقور المتوحشة الغير ناضجة تسمى

يدعي مدربو الصقور أن شكسبير ينتمي لهم. هذه المنحوتة من أعمال J.E Harting لشكسبير وقد أضاف الصقر إلى لوحة الأوكندا الشهيرة.



passagers. وعندما يهبط الصقر يقال عنه pitches وتستخدم كلمة mount بمعنى يصعد، لوصف ارتفاع الصقر في السماء بدلاً من كلمة climb أي يتسلق. وعندما ينظف الصقر منقاره يقال عنه feak، بمعنى ينتعش وعندما ينفض نفسه يقال عنه rouse أي ينهض.

إن تلك المعاني القديمة غامضة الآن، لكن بعض المصطلحات مازالت مستعملة بشكل عام: عندما تشرب الصقور يقال عنها bows أو booze أي بمعنى ترتفع. ومصطلح tid-bits يعني قطع اللحم النتنة والتي تقدم للصقر: والتسول cadge هو ميدان التدريب، والصقر الصغير haggard هو ذكر صقر صغير مفترس ولذا يصعب تدريبه. وقد يكون المصطلح الأكثر تطبيقاً متناسباً مع الحصرية، والخصائص الغالية الثمن المنتشرة في وسط لندن، ومجموعة الإسطبلات التي بنيت خصيصاً لإيواء الطيور من الافتراس عندما يسقط ريشها في فصول الصيف.

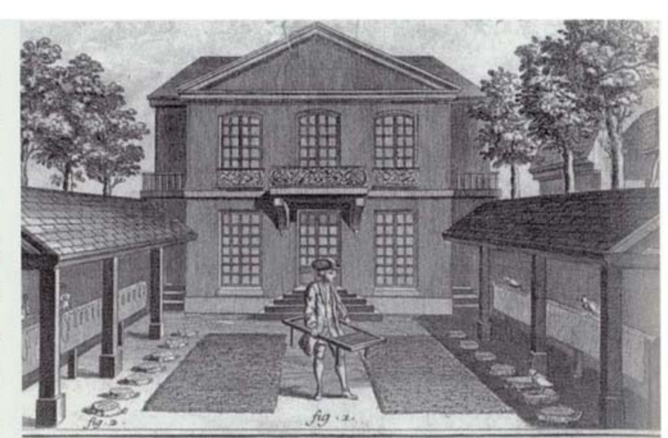
معدات الصيادين:

على الرغم من أن مصطلحات الصيد بالصقور غامضة، فإن معداتها أو أدواتها بسيطة نسبياً وعملية بصورة رائعة. وقد يكون أفضلها تناسباً على الإطلاق هو القنبرة الجلدية النحيفة. فعندما توضع فوق رأس الصقر فإنها تحجب كافة الأضواء، وعلاوة على دورها في مجال الصيد فإن استخدامها بحكمة يحافظ على الطيور الغير مدربة بالكامل ويحجبها بشكل عالٍ عن المناظر المزعجة. وتأتي القنبرة بتصاميم مختلفة - قنبرات جلد الماعز الهندية، والقنبرات العربية الناعمة، والقنبرات الهولندية الثقيلة والخشنة مع الصفائح الجانبية الملونة والصوف وحلية الريش. وقد قام الصائدون المحترفون بالصقور في العصر الحديث بإنشاء تصاميم مختلطة ذات شكل وقالب نهائي جميل، والذي هو إلى حد بعيد أكثر بياضاً وراحة للصقر من العديد من النماذج القديمة المزخرفة.

وتقبض الصقور بشكل طبيعي على يد المدرب الأيسر وهو مرتدٍ قفازاً جلدياً. ويحمل مدرّبو الصقور العرب صقورهم على منقلة منسوجة أو كف الكم. إن سبب حمل الصقور على قبضة اليد اليسري هو أمر غير معروف. وقد رأى رجال الدين في القرون الوسطى أن لها أهمية باطنية. ووفقاً لمخطوطة قديمة فإن الصقور تحمل على اليد اليسرى كي تتمكن من الطيران إلى اليمين للبحث عن فريسة:

> «ويمثل اليسار الأشياء الزائلة، أما اليمين فيمثل كل شيء أبدي.
> ومن يجلس على اليسار فهؤلاء هم من يحكمون على الأشياء المؤقتة: كل هؤلاء الذين في أعماق قلوبهم يرغبون الأشياء الأبدية، فإنهم يطيرون ناحية اليمين. هناك صقر سيصطاد الحمامة: هذا لإنه يتجه ناحية الصالح وسينال نعمة الروح المقدس».

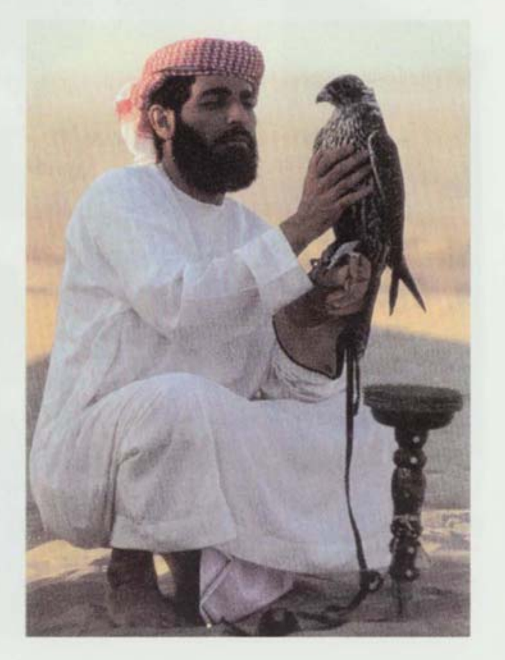
يسمى رباط الرجل المسحوب والذي بواسطته يمسك الصائدون بالصقور «سبق sabq» في اللغة العربية، وهو مصنوع من ضفيرة حرير أو خيط. ومقابله في الغرب هو الرباط، وهو مصنوع من الجلد الناعم. ومربوط في طرفه بحلقة



صورة لموسوعة
Diderot.d
١٧٥١ Alembert
تظهر النورس في
الأعلى ومعدات الصيد
في الأسفل والتي
تشمل غربال عمودي
وقلنسوتين من هولندا
وحلبة من البلوك،
وحامل لحمل الصقور
إلى ميدان الصيد.

معدنية تمنعه من الالتواء والبرم.

ولقرون، ربطت أجراس فضية أو من النحاس الأصفر في أرجل الصقر أو ذيله وكانت تستخدم لتحديد موضعه عند الخروج للصيد، ونغماتها الرنانةَ كانت تسمع من على بعد نصف ميل أو أكثر في اتجاه الريح. وفي فترة ١٩٧٠ طور مهندسو الصيد بالصقور ناقل موجات صغير يمكن إرفاقه برجل الصقر أو ذيله. وبمعدل يقل عن مئات الأميال فقد خفض بشكل مثير للدهشة نظام جمع المعلومات بالعداد البعدي من إمكانية فقد الصقر. وتم قبول العداد البعدي بحماس من قبل الصائدين بالصقور في دول الخليج، الذين يستمر لديهم الصيد بالصقور فهو من الممارسات الحية ذات الارتباط بالثقافة العامة. وعلى العكس فإن العديد من الصيّادين بالصقور رأوا أن هذا الاختراع الجديد غير مجد. وطالبت الأقلية بمقارنة طرق الصيد الحديثة، والأوروبيون الصائدون



صورة في دولة الإمارات العربية لمدرب الصقور خميس يهدئ من صقر صغير أثناء التدريب عندما التقطه من وكره.

بالصقر قد قرروا إحياء وتعريف الصيد بالصقور بمصطلحات التقليد الثقافي الغني والتاريخ الطويل.

وهم أصروا بالإجماع على أن السبق التاريخي هو أداة شرعية، وأن التهديدات ضد أنظمة ممارستها القديمة يتم فهمها على أنها تهديد للصيد بالصقور نفسها. إلا أن هذه التحسبات ضد ما هو حديث بدت وكأنها قد تم التغلب عليها بشكل كبير. في عصرنا الحالي تطير العديد من الصقور بناقل الموجات الحديث المرفق بذيلها وتقريباً بشكل غير مرئي - غالباً على اليمين بجوار جرس من النحاس الأصفر المصنوع في باكستان بتصميم قديم ذي حجم هائل. بالإضافة إلى التغييرات الأخرى.

صقور التدريب

الانطباع الأول لمدربي الصقور عن أنثى صقر جديدة، تجلس بقنبرة على مقعدها، هو قدرتها على الافتراس الذي لا تشوبه شائبة. ومع أقل لمسة أو صوت سوف تقوم بنفخ ريشها وتصدر فحيحاً مثل الثعبان. الصقور مدربة بالكامل من خلال تعزيز إيجابي. يجب ألا تعاقب أبدا، وأن تعامل كمخلوقات فريدة، لكن الأوروبيين أخفقوا في فهم علاقات الهيمنة ذات المرتبة التاريخية المتوافقة مع المخلوقات الاجتماعية مثل الكلاب والخيول. ولاسيما أن لورد تويبدسميور كتب في عام ١٩٥٠ ميلادية، وبثقة في انطباعه، بأن الصقور هي طيور أرسْتقْراطية:

> «لا يراك صقرٌ كسيّد. ففي أفضل الأحيان قد يعدك حليفاً، ومن يوفر لهم الطعام ويعتني بهم ويقدمهم لصيد أفضل. وكونك مدرباً للصقور فأنت الوحيد الذي تنظر إلى وجه صقر الشاهين المليء بالفخر والزهو حتى تدرك طبيعة العلاقة بين المدرب والصقر. والحقيقة أنك قد أصبحت خادمه».

على الرغم من أوصاف تويبدسميور للصقر كمسيطر في التعامل، فإن الصقور من الممكن أن تصبح أكثر تأثراً. ففي دول الخليج، تقفز بعض الصقور



صورة ص٨٦ رسم بالألوان المائية ١٤٣٠ للرسام Pisanello لصقر صغير يرتدي قلنسوة بأجراس كبيرة الحجم.

من على مقاعدها داخل المنازل وتجري ناحية الصياد بالصقور الذي ما عليه الا أن يناديها بأسمائها. إن المؤلف البريطاني والصياد بالصقر فيليب جلاسير كان لديه باز ضخم ينام على المكتبة ويقفز على سريره في الصباح لإيقاظه بأن يقرطم أذنه.

مدرب صقور آخر؛ «فران إيلنج وورث» كان لديه صقر شاهين ضخم يدور حول الحديقة على ظهر كلبه، وتستمتع صغار الصقور بلعب كرة التنس وكرة القدم.

لذا كيف للشخص أن يدرب الصقر؟ التقط المؤلفون في العصور الحديثة المفتاح لذلك بالضبط. من خلال الاهتمام المستمر من صياد الصقور بمعدة الطيور: هذا هو، شهيتها والحالة المادية. وبالفعل، وبأبسط معنى، يتم تدريب الصقور من خلال معدتها – من خلال إشراك صياد الصقور بالغذاء. فإذا كان الصقر غير جائعٍ يكون في حالة مرتفعة جداً، وسوف لن ترى فائدة من مطاردة

الفريسة أو العودة إلى صياد الصقور. وعلى العكس من ذلك، فإن كانت نحيلة جداً، أو في حالة معنوية منخفضة، فسوف تفتقر إلى الطاقة لإعطاء إحساس واضح بالاستعجال الداخلي في الطيران وهو ما لا يعبر عن الأحاسيس المثيرة حقاً للصيد بالصقور.

إن حالة الصقر تدور حول عدد مرعب من المتغيرات: كالطقس، والوقت في السنة، ومرحلة التدريب، وأنواع الطعام التي يأكلها الصقر، ومدى الممارسة الجسدية التي يقوم بها. ويقوم تقييم صيادي الصقور على أمور متعددة بعضها كما يلي: فعلى سبيل المثال ثمة وزنها اليومي. وتتضمن الأخرى المعلومات الضمنية المبنية على سنوات من الخبرة: كالشعور بحجم العضلات حول عظمة صدر الصقر، وسلوك وموقف الطيور، والطريقة التي تحمل بها الريش، وحتى التعبير على وجهها.

إن ترويض وتدريب الصقر هو عمل خطير وذو مهارة. فكل خريف، يحضر الصياد بالصقور صقوراً جديدة إلى الشيوخ والأمراء في دول الخليج. وفي اجتماعات طويلة، يجري تقييم نوعية وظروف كل صقر ويثمن ويقاس بدقة. ويتم ترويض الصقور على وجه السرعة بثقافة صيد الصقور، فهي تظل على الدوام تحت قبضة صياد الصقور، أو على مقاعدها القريبة، منغمسة تماماً في حياة الإنسان اليومية. وبينما يكون التوتر في البداية، فإن هذا الأسلوب يعزز بسرعة ترويض السكون في الصقر. وهناك طريقة مماثلة، عن طريق مصطلح «الاستيقاظ»، وكان شائعاً في أوروبا الحديثة في وقت مبكر: فالصقر الجديد كان يتم الحفاظ عليه على الدوام تحت قبضة شخص ما حتى يتغلب على مخاوفه بشكل كاف للنوم.

أصبحت عملية تدريب الصقور في الغرب اليوم عملية بطيئة بشكل كبير. يتم تدريب الصقر الجامح في البداية فقط من خلال قيام المدرب بتقديم الطعام له فوق قبضته. وبسرعة يرتبط الصقر بالطعام الذي يقدمه المدرب فوق قبضته ويبدأ في التعود على القفز فوق قبضه المدرب من فوق مقعده. ومع مرور الوقت تزيد المسافة التي يقفزها الصقر من أجل الحصول على الطعام من قبضة

شرك وقلنسوات مزينة
من بلاط الإمبراطور
الروماني المقدس
ماكسيمليان الأول
(١٤٣٠ - ١٥١٩).

المدرب، إلى أن يأتي الوقت الذي يطير فيه بسرعة إلى المدرب - وهذه علاقة تجري على خط دقيق حيث تكون في البداية مقيدة بتقديم الطعام ثم بعد ذلك يألف الصقر المدرب.

وفي عملية تدريب الصقور سواء في الدول العربية أو الغربية، يتم تدريب الصقور التي تطير بحرية على العودة إلى الشراك، ولكن توجد أساليب أكثر ابتكاراً لاسترجاع الصقور: يسرد مدرب الصقور روجر أبتون قصة حدثت في السعودية عندما كان مصدر الضوء الوحيد هناك هو شعلة نيران. كان أحد مدربي الصقور من البدو يحرص دائماً على أن يطعم الصقر بجوار النار. وقد حدث أن تاه الصقر أثناء أحد رحلات الصيد، فقام المدرب بعمل شعلة نار كبيرة حتى يهتدي إليها الصقر وبالفعل نجح في العودة. وكان كل ربيع يطلقها في جبال الحجاز حتى تتكاثر وكان يعود في أكتوبر إلى الجبال ويشعل ناراً كبيرة ويعود له مرة أخرى.

لا شيء يتكرر دائماً:

لمدة تزيد على ٥٠٠ سنة، كانت رياضة الصقور منتشرة بدرجة كبيرة في أرجاء أوروبا وآسيا والعالم العربي وقد حملت تراثاً ثقافياً عظيماً. يصف المؤرخ روبن أوجينز رياضة الصقور في أوروبا الحديثة بأنها كانت مثالاً رائعاً للترفيه وقضاء الوقت بشكل مفيد.

ومن كافة الأوجه كانت تميز من يمارس هذه الرياضة كفئة مستقلة. لقد كانت هذه الرياضة مكلفة وبالتالي كانت رياضة غير عادية. ففي القرن الثالث عشر كان الصقر في إنجلترا يكلف ما يقارب من نصف الدخل السنوي للفارس. وبعد مضي أربعمائة سنة أشار روبرت بورتون إلى أنه لم يكن هناك شيء متكرر ومنتشر مثل رياضة الصقور بحيث أنه في موسم الصيد كان كل فرد يسير وعلى قبضته صقر. تناول الفن والعديد من الكتب هذه الرياضة وقد مارس بعض النبلاء الأوروبيين هذه الرياضة بشكل يومي حتى في الحملات أو عند القيام بالأعمال الرسمية. كان الملك هنري الثامن يصطاد بالصقور في الصباح وبعد الظهر إذا كان الطقس مناسباً وكان يستغرق وقتاً طويلاً في الصيد إذا لم يخرجه مدرب الصقور من هذا النشاط. اعتبر مدرب الصقور الإسباني في العصور الوسطى بيرولوبيز دي آيالا رياضة الصقور جزءاً أساسياً من تعليم الأمراء حيث إنها تمنع الأمراض، وتتطلب الصبر وقوة التحمل والمهارة. وبالنسبة لتاريخها الطويل في أوروبا، كانت رياضة الصقور تعتبر مثالاً يجسد الشباب والحياة النشطة وكان صفوة الناس يمارسونها فقد كانت مصدر ابتهاج. وفي كتابه سنة ١٥٧١م وضع فروكتوكوي إكس دكتورينا معلم الدبلوماسي والأديب ريتشارد بيس هذه الكلمات في فن أحد النبلاء.. إن أبناء النبلاء ينفخون في البوق بشكل جميل ويصطادون بمهارة ويحملون الصقر ويدربونه بشكل باهر ولكن دراسة الآداب يجب أن تترك لأبناء الطبقة الوسطى.

وعلى الرغم من تعارض رياضة الصقور مع تعاليم الأبراشية فقد كان رجال الدين مدربي صقور أيضاً. لقد أشار دي أوركوسيا أن الأرواح الأكثر إخلاصاً

يجب أن تخرج للصيد لكي ترفع روحها المعنوية التي تدنت من النشاط السابق بسبب الدراسة المستمرة أو معاناة الكثير من المخاوف. لقد حظرت المجالس ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٨ حظراً باتاً على القساوسة والأساقفة ممارسة رياضة الصقور، ولكن أساء رجال الدين تفسير كلمة الإخلاص عن عمد حتى لا يطبق عليهم هذا المصطلح.

لقد كان البابا ليو العاشر محبا لرياضة الصقور لدرجة أنه كان يصطاد في أي طقس، وقد وصفه أركوسيا بأنه رجل رياضي حاذق والذي لا ينجو من انتقاده أي شخص يفشل في مراعاة أي من واجبات رياضة الصقور. وقد اشتكى ويليام وايكان أسقف وينتشستر أن الراهبات يأخذن صقورهن في الكنيسة معهن ويتداخل ذلك مع الصلاة ويقال إن أسقف إيلي في العصور الوسطى عاد غاضباً إلى الكاتدرائية وهدد بطرد المخالف للقوانين من الرعاية الكنسية بعد أن اكتشف أن صقوره قد سرقت من غرفتها في الكنيسة.

الأركان الأربعة للأرض

قاد الإمبراطور الروماني فريدريك الثاني حملة مقدسة حتى بعد أن تم طرده من الرعاية الكنسية وقد أسماه معاصروه «عجيبة العالم» ويعرفه مدرّبو الصقور في العصر الحديث باسم فريد الثاني ويعتبرونه أعظم مدرب صقور في العالم ولايزال كتابه شائع الانتشار في القرن الثالث عشر بعنوان «حول فن الصيد بالطيور» ويتضمن إشارات عملية وأساليب رياضة الصقور الشرقية وتم جلب هذه التقنيات إلى أوروبا من خلال بلاطه الملكي، ومترجمه تيودور أوف أنتويتش، الذي ترجم أعمال رياضة الصقور من العربية والفارسية إلى اللاتينية. وقد عين الإمبراطور مدربي الصقور العرب والانجليز والأسبان والألمان والإيطاليين برواتب ضخمة وكتب...

لقد استدعينا الأساتذة في ممارسة فن رياضة الصقور من
أركان الأرض الأربعة وقد استضفنا هؤلاء الخبراء في
أملاكنا وفي هذه الأثناء نسعى للحصول على آرائهم ونقدر



صورة في القرن التاسع عشر تظهر أحد مدربي الصقور يعرض خدماته على الإمبراطور فريدريك الثاني إمبراطور Hohenstaufen (١٢١٥ - ٥٠ ميلادياً).

أهمية معرفتهم ومحاولتهم للاحتفاظ في الذاكرة بأكبر قدر ممكن من كلماتهم وأفعالهم القيمة.

تم تداول أساليب ومعرفة رياضة الصقور بين مختلف الحضارات لآلاف السنين حيث اصطحب الفرسان الأوروبيون صقورهم معهم في الحملات الصليبية وتعلموا كيفية اصطياد الصقور من أعدائهم. وفي أوائل القرن الثاني عشر وفيما يعرف باسم سوريا اشتكى مدرب الصقور أسامة بن منقذ أنه بسبب قرب أرض الصيد الخاصة به من منطقة فرانكيش، فقد احتاجت رحلات رياضة الصقور إلى المزيد من الجياد والمرافقين والأسلحة. ولقد شارك كلا الجانبين في النظام الرمزي لرياضة الصقور حتى كان بإمكانها التعبير عن صراعات القوة والمنازعات بطرق يفهمها الطرفان على الفور. أرسل ريتشارد الأول المحاصر رسولاً إلى صلاح الدين ليطلب منه طعاماً لصقوره الجائعة وعلى الفور سلم

صلاح الدين سلالاً من أفضل دواجنه للصقور.

وأثناء حصار عكا في عام ١١٩٠ ميلادية أفلت صقر ذو قيمة يملكه الملك فيليب من القيود وطار بشكل مستقيم إلى قمة حوائط المدينة. كان فيليب مرعوباً. وتم رفض طلب مبعوث بعودة الصقر، وثان ذهب ترافقه الأبواق، والرايات والموفودين، ومقدماً لـ١٠٠٠ من التيجان الذهبية لصلاح الدين الأيوبي لتبادل الصقر الضال.

وطوال الفترة الحديثة، أخبر التجار الدبلوماسيون الأوروبيون عن تقاليد الصيد بالصقور التي واجهوها، وحيرتهم. ماركو بولو كان على دراية بالصيد بالصقور، ولكن نطاقها الواسع في آسيا الوسطى أدهشه. وأوضح بقلمه الحاذق أن بعثات خان الكبيرة للصيد بالصقور تضمنت عشرة آلاف من صيادي الصقور - والرقم لا يؤخذ حرفياً. لكن بالتأكيد يدل على وجود جيش كبير. بعثات خان الكبير للصيد بالصقور كانت تحمل بما قد يصل إلى أربعة أفيال. وقفت على ظهورها سرادق مفروشة داخلها قماش مقصب بالذهب وخارجها من جلود الأسود، وقد كتب «يطلب أيضاً من قوبلاي خان الصيد والنزهة، إذ إنه وإلى حد كبير قد أزعجه النقرس في القدمين».

في هذا السرادق كان دائماً معه اثنا عشر صقراً من أفضل الصقور واثنا عشر رجلاً من النبلاء المحبين الخاصين به للتلهية والصحبة. فإن الفرسان بجوار خان كانوا يبلغونه عن مناطق الطيور القريبة أو غيرها من الطيور الطائرة عن قرب. ثم يرفع ستار السرادق، وعندما يشاهد المباراة، فإنه يلقى الصقور التي تصطاد الطيور وتتغلب عليها بعد فترة طويلة من الطيران. وينام خان في ردهة مريحة، وهذا المشهد يعطيه، فضلاً عن خدمة السادة له والفرسان الذين يحيطون به سروراً كبيراً.

إن الملوك الفرس كانوا معجبين جداً بصيد الصقور حيث إنهم دربوا العصافير والزرازير على صيد الفراشات، وهذا تم تسجيله من قبل السير ريتشارد بروتون. وفي أواخر القرن السابع عشر، اندهش المسافر الانجليزي السير جون تشاردين إزاء قدرة مدربي الصقور الفرس. «ويمكن للمرء أن يرى على

في أواخر القرن الخامس عشر... أحد مدربي الصقور يمتطي صهوة فرسه حاملاً فوق قبضته صقر جيرفالكون أبيض.



مدار السنة في المدينة أو البلد... الذاهبين والعائدين مع صقر على أيديهم».
وقد سمع شاردين ذلك من بعض الغرباء والقليل من التقاليد الاجتماعية في هذه المنطقة. وبدا أن الصقور عموماً قد عُلِّمت الاعتداء على البشر. ويقولون «أنه كتب بتعجب، أنه مازالت هناك مثل هذه الطيور في منزل طيور الملك».
لم أر أياً منها لكنني سمعت أن حاكم توريس Aly-couly-can الذي كانت تربطني به معرفة خاصة لم يستطع أن يتخلص من هذه الرياضة الخطرة التي جعلته يفقد الكثير من الأصدقاء.

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر كان تجار الصقور يحضرونها من فلاندرز، وألمانيا، وروسيا والنرويج وقبرص وكورسيكا وأسبانيا وتركيا والإسكندرية والهند. أما حاكم بيد فورد فكان يجلب الصقور من أماكن بعيدة مثل شمال أفريقيا وإنجلترا الجديدة، في الكثير من الدول الأوروبية كان يسمح فقط للنبلاء باستخدام الصقور المحلية. وفي القرن السادس عشر انتشرت عمليات تهريب الصقور في إنجلترا بعد أن تم تصنيف الصقور الأجنبية على أنها بضائع ثمينة وكانت تُفرض عليها رسومٌ جمركية.

وفي نهاية القرن السابع عشر الميلادي تضاءلت شعبية الصيد بالصقور في أوروبا. ويستثنى من ذلك لويس الثالث عشر فقد كان مأخوذاً بالصقور ويقضي معظم أيام الأسبوع يمارس الصيد باستخدام الصقور. حتى إنه ألف باليه عن متع الصيد بالصقور (La Merlaison) وتلاشى استخدام الصقور كهدايا دبلوماسية تدريجياً في القرن الثامن عشر كما تلاشت فكرة أن الصقور رمز للنبلاء والملكية بعد قيام الثورة الصناعية في فرنسا، حيث ظهرت أنواع أخرى من الرياضة حلت محل الصيد بالصقور مثل الصيد بالثعالب وسباق الخيول. وفي القرن التاسع عشر في أوروبا أصبح الصيد بالصقور يمارس من قبل قلة قليلة منهم هنري دي تولوس والد لوتريس الذي كان يمشي في شوارع ألبي حاملاً صقراً فوق معصمه. لدرجة أنه كان يسقيه ماءً مقدّساً ليحصل على بركة الكنيسة.

الصقور الإمبراطورية

كان تدريب الصقور من أجل الصيد يمارس في مناطق أخرى على نطاق واسع في الوقت الذي انطفأت فيه شعلة هذه الرياضة في أوروبا، ففي ١٩٢٣ ذكر الكاتب الأمريكي ويليم موفين أنه في حين كانت رياضة الصيد بالصقور مقصورة على الأفراد المتأثرين بالعصور الوسطى في أوروبا، كانت تمارس على نطاق واسع في الشرق. لدرجة أن الكتاب اعتادوا أن يشيروا في كتاباتهم إلى أن الصيد بالصقور أمر خاص بالمجتمعات المتخلفة عن أوروبا، أو تلك الموجودة

خارج مجرى التاريخ. وفي الهند البريطانية في القرن التاسع عشر كان الضباط البريطانيون يستخدمون مدربي صقور محليين وكانت غاية الصيد بالصقور إثبات وفرض وضع اجتماعي معين للنخبة. ولقد كان لتدريب الصقور دور هام يلعبه في عصر الإمبراطورية. وكانت رياضة خاصة بالنخبة والطبقات الاجتماعية الحاكمة في كثير من الدول. ومن الواضح أنها كانت تشكل تميزاً طبيعياً للطبقات الاجتماعية على مستوى العالم. ولقد مارس الضباط المولعون بالصقور في الهند البريطانية تربية الصقور وقاموا باستخدام مربي صقور من السكان المحليين. وإلى جانب أنهم أحبوا هذه الرياضة فقد اعتبروها أنها تقوم بتعزيز وضعهم الاجتماعي المتميز وكسب الولاء من الجنود الهنود تحت إمرتهم. وفي منطقة شمال البنجاب في مناطق جوديس كان الضباط يحتفظون بالصقور ويطلقونها على الغزلان. ولقد قام الكابتن البريطاني إي أتش كوب في ١٩٤٠ بتبني تدريب الصقور بسبب نقص ذخيرة البنادق لكنه اكتشف في النهاية أن متعته في الصيد هي باستخدام الصقور. وسرعان ما دعم أعيان الهند المحليين الضباط البريطانيين. وقد كتب كوب عن ذلك في غمرة سعادته أن الصيد بالصقور كان يعتبر رياضة الأمراء ولا يوجد مكان يستطيع فيه ممارسة هذه الميزة إلا من قبل شيوخ القبائل الإقطاعيين في هندو كوتش حيث يتحكمون في مساحات واسعة تمارس فيها هذه الرياضة ولديهم جيش كبير من مدربي الصقور.

ويضيف قائلاً إن الوسائل الآسيوية المتعبة في تربية الصقور واستخدامها في الصيد مماثلة لتلك المستخدمة من قبل البريطانيين.

إن هذا التصور الاستعماري تجاهل وأخفق في فهم كيف أن الصيد بالصقور تطور عبر الثقافات الاجتماعية المختلفة. وإلى اليوم نجد أن أحد التصورات الخاصة بنشأة الصيد بالصقور في الخليج العربي هو أنه تمت ممارسته من قبل البدو من أجل كسب وضع اجتماعي مكمل. إن هذه التفسيرات العمياء تتجاهل حقيقة تطور وانتشار هذه الممارسة في مجتمعات مختلفة وأشبه للهراء الذي كان يتحدث به كتاب القرن التاسع عشر. لأن الصقور كان لها



مدربو صقور من الجزائر ينطلقون إلى ميدان الصيد. تصوير رومانسي للصيد بالصقور في أواخر القرن التاسع عشر. لوحة للفنان كوستاف هنري مارشيتي ١٨٩٨.

دائماً أهميتها الاجتماعية في الثقافة البدوية نظرا للخصائص التي تتمتع بها الصقور من علو الهمة وكرم من يقوم على تربيتها. لم يكن هناك تمييز بين أنواع الصقور في البيئة البدوية، كان هناك مساواة لدرجة أن الأنواع المختلفة كانت تتناول طعامها معا.

وأتاحت حملات الصيد باستخدام الصقور الفرصة لجميع مدربي الصقور من مختلف الطبقات الاجتماعية أن يتقابلوا في الصحراء ويقفوا على قدم المساواة يسردون قصصهم ويتناولون الطعام معاً أثناء إغفاء صقورهم في ضوء النيران المشتعلة.

الصقر النبيل

تعلمنا أن ابن بطل الجاسوسية ريتشارد هاني كان يصيد بالصقور في رائعة جون بوتشان «جزيرة الحملان» ويقول بوتشان إذا احتفظت بالصقور يجب

رجال من البدو
يصيدون من على ظهر
الخيول حاملين الصقور.
فلسطين بين ١٩٠٠
و١٩٢٠.



أن تكون مدرّباً جيداً وأن تقوم بإطعامها وتنظيفها والعناية بها. وفي الواقع إن تربية الصقور منحت السيد الإنجليزي شكلاً شرعياً من الألفة، فعندما يعتني الإنسان بالصقر يصبح شيئين؛ رجلاً ومربية. فتدريب الصقور هو محاكاة لتعليم الأطفال حيث تقوم بترويض وتهذيب القوة الطبيعية والشراسة التي يتمتع بها الصبي الصغير من خلال السيطرة الجسدية والتضحية والشرف. وكذلك الأمر مع الصقر. ولقرون عديدة كان تدريب الصقور أشبه بتهذيب الفرد لنفسه حيث يتعلم الصبر والسيطرة على الجسد والعواطف. «تدريب الصقر يدرب الفرد الإنسان بنفس الطريقة التي يدرب بها الصقر». من أقوال هارلود ويبستر في عام ١٩٦٤. وهي فكرة موحية للبرامج في جميع السجون البريطانية حيث يقوم النزلاء بتربية الصقور.

إن الفكرة التي أثرت ذكورياً على الحياة الحديثة يمكن معالجتها من خلال الاتصال مع الطبيعة البرية وتفحص الكتابة الذكورية بدءاً من روزفلت إلى روبرت بيلي. إن الاتصال مع الحيوانات البرية من خلال صيدها ومع الصقور



على اليسار الروائي جون بوتشان يحمل صقر وعلى اليمين إبنه بوتشان الصغير رئيس نادي تدريب الصقور بجامعة أوكسفورد لعدة سنوات.

من خلال تدريبها يعد من الرموز الذكورية. فأثناء تدريب الصقر نجد أن مدرب الصقور يتحلى ببعض من ضراوة الصقر، وأن الصقر يتحلى ببعض من أخلاق الإنسان. وفي عام ١٩٥٠ كتب أحد مدربي الصقور الأمريكان قائلاً لن يستطيع الإنسان أبداً ترويض الصقر». لأن الصفات الذكورية تفقد أو تصبح هامشية في الحياة الحديثة، حيث أصبحت صفات مثل الضراوة والقوة والسيطرة متمثلة جميعها في الصقر. ومن الناحية النفسية فإنه أثناء عملية التدريب يمكن للمدرب أن يستعيد هذه الصفات وفي المقابل يصبح الصقر متحضراً. ولا عجب في أنه لايزال هناك بعض مدربات الصقور من الإناث.

رأى تي أتش وايت تحولات سحرية قد تكون فرويدية بين الإنسان والصقر وهي ذات مدلولات باطنية في تدريب الصقور.

ويصف محاولاته الشخصية كشخص وحيد في الغابة تعب من معظم البشر وقرر تدريب طائر. وقد قرر وايت أن يستخدم الطريقة التقليدية القديمة في إيقاظ الصقر مثل قراءة شكسبير ليجعل الصقر متيقّظاً ويفكر في كبرياء وسعادة في تقاليد الصقر.

«كان هناك أحد البابليين يحمل صقراً فوق معصمه في خوراسباد قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة مضت. ولم يستطع معظم الناس أن يفهموا سر السعادة في ذلك. ولكن الرجل كان سعيداً. والآن أعتقد أنني يجب أيضاً أن أشعر بالسعادة وأن أكون واحداً من ضمن صف طويل من السابقين».

لقد شارك العديد من كتاب القرن العشرين رغبة وايت في الاستمرارية والامتداد التاريخي، إذ رأوا في تدريب الصقور أنه شيء رومانسي وضد الحداثة. وفي الثلاثينات كانت في أمريكا حقبة من الرومانسية، حيث جذب ترويض الصقور الكثير من الشباب الذين كانوا مأخوذين بالماضي وبالفروسية. ويصف جي وينتورث خروجه في يوم للصيد بالصقور مع نادي تدريب الصقور الإنجليزي بأنه أشْبه برحلة إلى الماضي.

شاطر العديد من كتاب القرن العشرين وايت رغبته في الاستمرار التاريخي والمجتمعي كما رأوا في تدريب الصقور حرفة رومانسية ورعوية ومضادة للحداثة. وفي أمريكا في أعوام الثلاثينيات أتت حقبة لمجموعات من الشباب أصحاب الشهامة أمثال فرسان الملك أرثر حيث وقع الكثير من الفتية تحت تأثير رياضة الصيد بالصقور مخدوعين بالخيالات التي تقول إن الصيد بالصقور يحرر الفارس من ماضيه. ويشرح لنا جي. وينتورث عن يوم في نادي مدربي الصقور في بريطانيا قائلاً:

«واقفا فوق تلةٍ مرتفعة في الأراضي البريطانية وترى البحر والأرض المسبخة أسفل منك وتهبُ الريح في وجهك وأنت تحمل الصقر فوق قبضتك، سوف تشعر أنك وريث لكل العصور التي مضت. مجرد صفحة صغيرة في التاريخ قد طويت منذ آلاف السنين».

نلاحظ في الكتابات التي تمت في أوقات الحروب أن هناك فكرة شائعة حول تدريب الصقور هي أنه انتقال عبر الزمن. فبعد أهوال الحرب العظيمة، يسمح تدريب الصقور للفرد في رفد الاستمرار التاريخي.

كانت هذه الرياضة بمثابة امتدادٍ للعصر الرعوي. من النادر أن نجد مربي

الصقور أنفسهم يكتبون هذا النثر المنمق، على العكس نجدهم يلجأون إلى كبت مشاعرهم واستبدالها بالسعي الدائب برياضة الصيد حيث كانت لهم آلامهم التي توضح أن رياضة تدريب الصقور البريطانية لم تمت أبداً وأنها امتداد للماضي.

وعقب ذلك بحوالي ٥٠ عاماً نجد أن كتاب ستيفن بوديو «عصر الصقور» يبدو قد صيغ في نفس القالب.

ويصف الكتاب مجموعة من مربي الصقور المحدثين يحضرون صقراً وفريسة في الثلج. ويقول «بوديو» إنه لا يمكن معرفة أين ومتى تم عمل هذه الصورة، فهي ليست في القارات الثلاث ولم تُعهد منذ أربعة آلاف عام. ومثل غيره من مربي الصقور المحدثين فهو يقدر قدرة رياضة الصيد بالصقور على إقامة رابط بين



نحت في القرن الـ١٩لشاه إيران نصر الدين (١٨٩١).



شكسبير يقابل Abercrombie & Fitch بعد الحرب الأمريكية يعيد بعث الصقر.

الصياد والطبيعة. وفي أطراف المدينة يكتب بوديو آخر جملة في الكتاب «يبدو أننا وجدنا طريقة للاستمرار ولمس الحياة البرية في القرن العشرين». وتعتبر وجهة نظره مماثلة لوجهة نظر البروفسير «توم كايد» الذي يصف الصيد بالصقور بأنه شكل من أشكال مشاهدة الطيور عن كثب. ويرى بوديو أن مربي الصقور لديهم مشاعر مكنونة للغابات والحقول، وإدراك حدسي للبيئة. وكان أول من تحدث عن مربي الصقور كعالم بيئة هو «آلدو ليبولد» في الأربعينيات. فالنسبة له كانت رياضة الصيد بالصقور أكثر سمواً من الصيد الذي يتم «بالتقنيات الحديثة». لأنها تمنح صاحبها بصيرة ورؤية للعمليات البيئية، وهي نشاط يتم في الأماكن المفتوحة، ويتطلب تعلم الكثير من المهارات. كما أن رياضة الصيد بالصقور تعمل في الأساس على تعليم الصياد قدرات نفسية تتمثل في حفظ التوازن الصحيح بين البيئة البرية والحياة الحضرية للصقر ولمربّيه. وكتب «ألد» عن ذلك قائلاً: إن الصقر إمّا أن يقبل الترويض مثل Homo sapiens أو ينطلق بعيداً في أجواء السماء. وفي المجمل تعتبر رياضة الصيد بالصقور هواية رائعة.

الرياضة الميدانية المنسية:

هناك كثيرون قد يختلفون مع وجهة نظر «ألدو ليوبولد» إذ يرون أن رياضة الصيد بالصقور أقل من أن توصف أنها إعادة بناء علاقات صحيحة مع الطبيعة فهي على الأكثر نشاط دموي.

وقد انتقدت RSPCA العقول والأخلاق الخشنة للشبابات الصغيرات اللائي يمارسن رياضة الصيد بالصقور في القرن التاسع عشر. وقبل ذلك بقرن قال أحد الكتاب البريطانيين المناهضين للصيد بالصقور:

«إن الصيادين يطلقون صقورهم في الريف النائي من أجل ألا يرى أفراد المجتمع أفعالهم. إنني لازلت أتذكر رد فعل أحد الصيادين على هذا القول وهو رافع حاجبيه والسخط يعلو وجهه، وعلق قائلاً: «هل يذهب مراقبو الطيور إلى الأماكن النائية حتى لا يشاهدهم الآخرون وهم يراقبون الطيور؟»».



نقش لمجموعة من مناهضي الصيد بالصقور في القرن التاسع عشر من قبل المجتمع الملكي لمنع القوة ضد الحيوانات. لاحظ العناصر الدرامية الموجودة في النقش حيث نجد خيط مربوط بالطائر والقصعة مربوطة حول الصقر.

هناك جدل مثير حول وضع الصيد بالصقور، فمعارضوها يرون أنها مجرد رياضة ميدانية عفا عليها الزمن، لأنها تتعلق بشكل أكبر بمشاهدة الطيور أكثر من ارتباطها بالصيد. فعلى سبيل المثال تميل الكتب الخاصة بالصيد بالصقور في الوقت الحالي إلى التقوقع في أرفف قسم التاريخ الطبيعي في المكتبات البريطانية، وليس في قسم الصيد. ويرى عالم الصقور «نيك فوكس» أن الصيد بالصقور رياضة خضراء، ليست محتاجة إلى إفساد الريف ببناء أماكن أو





أرضيات غولف أو استخدام أعداد كبيرة من الطيور، أو منع حضور الجمهور من أجل ممارسة الصيد بالصقور.

فالصيد باستخدام الصقور تعد رياضة طبيعية ليس لها تأثير ضار على الطبيعة، وتلائم احتياجات الرجل العصري. ويشاركه هذا الرأي عالم طيور أكاديمي يرى في الصيد بالصقور شكلاً عصرياً للعلاقة بين الحيوان والإنسان.

وكما هو واضح فإن الكثير من مشاكل الصيد بالصقور لا تتعلق بموقف الفرد الأخلاقي من الصيد أكثر من ارتباطها بالصيد بالصقور ذاتها. والدليل على ذلك هو أنه لا يجوز قانوناً أسر صغير الصقور من الطبيعة. فقد قضى اللصوص على الكثير من الصقور في أوروبا في الحقبة الممتدةمن عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٧٠. وبالإضافة إلى جامعي البيض فقد أسهمت عمليات قنص صغار الصقور في تهديد حقيقي لأعدادها. ولكن اليوم في ظل وجود قوانين حماية ضد صائدي صغار الصقور أصبح وجود لصوص الصقور نادراً في أوروبا، حيث يتعرض الصائدون لمعاملة قاسية من منظمات حماية الصقور. ولكن للأسف الأمر ليس كذلك في المناطق الأخرى من العالم. ففي الاتحاد السوفييتي السابق كان لمافيا تهريب الصقور تأثيرات مدمرة على أعداد الصقر العربي وفي نفس الوقت ساعد الصيادون بالصقور على تقديم عمل جليل في الحفاظ على أعداد صقور الشاهين في الولايات المتحدة في فترة السبعينيات.

وفي الواقع فإن تناقص أعداد صقور الشاهين، وعملية إنقاذها أمر مدهش





فقبل ثلاثين عاماً شاع التوقع بانقراض بعض أنواع صقور الشاهين. ولكن في الوقت الحالي تم رفع صقر الشاهين من قائمة الأنواع المهددة بالانقراض. فقد اشترك نحو ألف من أفراد. الجامعات، والمؤسسات الحكومية والعسكرية في إنقاذ هذا النوع من الصقور، وتم إنفاق ملايين الدولارات في عملية الإنقاذ هذه. ولكن ما الذي يجعل قصص النجاح في الحفاظ على الصقور خالدة وباقية؟

الصيد بالصقر كرمز للهوية العربية يقابله النسر كرمز للإمبريالية الأمريكية: رسم كرتوني لعام ٢٠٠٤ من قناة الجزيرة.

4- الصقور المهددة بالانقراض:

هناك بعض أنواع الحيوانات المهددة بالانقراض مثل: الفهد الأرقط والباندا العملاقة والصقور الرحالة والنمور البنجالية، وهذه كلها حيوانات نادرة، تعد رمزاً للبيئة، ونجوماً للشاشة الصغيرة، ووجوها لأفلفة المجلات، وتعتبر حياتها موضوعاً جذاباً للعديد من الكتاب. وهذه الحيوانات المشهورة لا ترحب بالدخلاء في بيئتها وهي تعيش في الغابات وتوجد بكثرة على أغلفة المجلاتِ، ومن ضمن هذه الحيوانات نجد صقور الشاهين المعرضة للانقراض. إن الحديث عن ندرة الصقور يبدو فضفاضاً فمن الصعب فصل معناه البيولوجي عن معناه الثقافي. فالحيوانات الموجودة على قائمة الانقراض ذات صفات نادرة، تجعل من الصعب التفكير فيها للوصول إلى الحيوان ذاته. وكما أن انخفاض أعداد عصافير المنازل في بريطانيا في التعسينات (١٩٩٠) كان غير واضح بسبب الأنواع التي تمتاز بالتواجد في العديد من البيئات لذا فإن مدى شعبية الطائر تجعل من الصعب إيقاظ الضمير العام بمدى خطورة وضع هذا الحيوان. ففي عام ٢٠٠٤ ذكر موقع الإنترنت بي بي سي أن الصقور الرحالة أصبحت الآن حيوانات نادرة ولابد أن تحظى بنفس الاهتمام الذي تحظى به حيوانات الباندا الكبيرة على الرغم من أن الصقور الرحالة يكثر مشاهدتها حالياً في بريطانيا عن ذي قبل.

ولكن كيف يصبح الحيوان مشهوراً؟ ففي الفترة ما بين الستينيات والسبعينيات ذاع صيت حيوان الباندا وصقر الشاهين وتم عمل قائمة بأعدادها. ففي فترة الحرب الباردة كان يتم إرسال حيوانات الباندا كهدايا دبلوماسية من الصين إلى بريطانيا.

لذا أصبح تكاثر هذه الحيوانات في حدائق الغرب ذو مدلول يتجاوز أهمية الحفاظ عليها من الانقراض. ماذا عن صقور الشاهين؟ كان هناك تهديد



صورة لبعض الصقور التي تم صيدها في عام ١٩٠٩ في بكين وهي تباع للأكل والغذاء وعلى الرغم من جهود الحكومة لحماية الصقور إلا أنها مازالت تؤكل في بعض أجزاء الصين.

حقيقي لصقر الشاهين في فترة الخمسينيات والستينيات. حيث تعرضت أنواع كاملة من صقر الشاهين للانقراض مثل الصقور ضخمة الحجم وصقور الخريف الداكنة في شرق الولايات المتحدة وفي أنحاء واسعة في أمريكا الشمالية، وقد انقرضت هذه السلالة وانخفض عددها بشكل كبير في أوروبا، ويرجع ذلك إلى الصورة الخاصة العالقة آنذاك بالأذهان بأن تلك الصقور تعد مصدراً أساسياً لتدمير البيئة. وهي صورة توضح كيف أن التقدم العلمي والتكنولوجي قد أخل بوعودهم في بناء عالم أفضل.

الفردوس المفقود:

إن جزءاً من تعقيد وصعوبة قصة الحفاظ على الصقور هو اعتماد جزء كبير من سرد هذه القصة على الخرافة. وهي قصة مشهورة وردت في الكتاب المقدس. وخاصة بوجود الإنسان الأول في جنة عدن.

وتروي القصة أن البشر والصقور عاشوا جنباً إلى جنبٍ، وفي بعض الحقب التاريخية عبدها البشر كنوع من الآلهة، وفيما بعد كان الملوك والأباطرة فقط هم الذين يمتلكونها ثم بدأت مرحلة التدهور منذ القرن التاسع عشر حيث بدأت حملات الإبادة، ثم بدأ أثر المبيدات الحشرية في الظهور في الخمسينيات والستينيات، غير أن إدراكنا التدريجي لأهمية الدور الذي تلعبه هذه الصقور في التوازن البيئي مع الاهتمام الذي بدأنا نوليه للحيوانات المفترسة جعلنا نعمل على حماية تلك الطيور. وقد ساهم الفهم التدريجي لأهمية هذه الطيور للنظم البيئية المقترن بنشوء اتجاهات جديدة في التعامل مع الطبيعة ومع الأفراد الذين يخلون بالنظام البيئي في إنقاذ هذه الطيور من الانقراض مع مرور الوقت. مرة أخرى يبدو من الواضح أن الإنسان بَدَأَ يفهم ويحمي هذه الطيور الخاصة.

وقصة عدن قصة خرافية مؤثرة. ويمكن أن تكون محفزّة للخير إتخاذ الإجراءات الخاصة لحماية الصقور النظر في أخلاقيات العلاقة بين الإنسان والعالم الطبيعي. ولكن مثلها مثل جميع القصص الخرافية فهي تعد قراءة غير كاملة وغير واضحة الحقائق إذ تظل عقبة في طريق هذه القصة. فقد كانت تتم عبادة الصقور بالفعل كرمز للقداسة في مصر القديمة، وكانت الصقور بدون شك هي طيور الملوك. ولكن ما هو عدد الصقور التي هلكت عندما كان يتم نقلها في السفن عبر القارات من قبل تجار الصقور؟ وفي حين وفر القانون في العصور الوسطى حماية للصقور وفرض عقوبات جسيمة على من يجرؤ على صيد الصقور أو أخذ بيضها، إلا أن هذه القوانين كانت مطبقة لبسط القوة، وليست من أجل حماية الصقور. إذ يجب أن يكون المرء على حذر وهو يصف وجهة نظر بعض الملوك المنفتحين في العصور الوسطى تجاه الطبيعة، لأنهم ببساطة كانوا يقومون بحماية ممتلكاتهم الرمزية.

وبشكل هام تكشف أسطورة عدن أخطار عمليات الحفاظ على الصقور الحالية. فليس من المعقول عدم الابتهاج بعودة صقر الشاهين بعد حقبة DDT المظلمة أو عدم تقدير هذا العمل المؤثر الذي قام به الأفراد والمؤسسات التي ساعدت في عودة صقر الشاهين. ولكن ما يعكر صفو الفرح بعودة صقر

الشاهين معرفة أن العودة لم تتم بشكل كامل.. فليست هذه نهاية القصة. فالمبيدات الكيمائية وتهريب الصقور لاتزال تشكل تهديداً لأعداد الصقور في جميع أنحاء العالم وهو ما سوف نتعرض له في نهاية هذا الفصل.

وفي الواقع فإننا نجد أن البناء الخرافي لقصة عدن حول الصقر ضارب بجذوره في التاريخ الحقيقي. والهدف الوحيد من سرد هذه القصة يعود إلى أن التاريخ الثقافي قد تميز بشكل كبير بالتغيرات المذهلة في قيمتها الرمزية.

بداية النهاية:

بحلول القرن التاسع عشر، بدأت رياضة الصيد بالبنادق تشغل حيّزاً كبيراً من الأهمية التي كانت تشغله رياضة الصيد بالصقور من قبل. حيث أصبح استخدام البنادق في صيد الطيور رمزاً للرجولة الحقيقية. رياضة النخبة داخل المجتمع. حيث كان يدوي في أنحاء أحراش أوروبا صوت طلقات بنادق الصيد بدلاً من أجراس الصقور. وكان يتبارى أصحاب الضيع في كمية الأسلحة الحديثة التي كانت داخل حقائبهم. ولم يكن هناك مجال للحيوانات التي يمكن أن تنافس رياضة الصيد باستخدام البنادق. وفقدت الصقور مكانتها لدى الملوك، بل أصبحت تحتل مكانة وضيعةً بالنسبة لهم.

> وكان الأفراد الرياضيون ممن يمارسون الصيد بالبنادق يعتبرون أن الصقور حيوانات مفترسة وقاتلة، وبالتالي فلا جرم من اصطيادها بالبنادق. فالرياضي الحقيقي الذي يمارس الصيد بالبنادق هو من يقوم بصيد صقور الشاهين باستخدام أسلحته.

ثم أصبحت مهنة قتل الصقور مهنة معترف بها في القرن التاسع عشر في بريطانيا، فعلى سبيل المثال: في إحدى مزارع اسكوتلاندا أقسم المربون أن يقتلوا كل صقر مفترس، وألا يبقوا واحداً منها على وجه الأرض. وأن يقتلوها في أعشاشها وفي كل مكان يعثرون عليها فيه. لذا فليساعدني الرب. وكان يتم تعليق جثث الصقور على المشانق أو إرسالها إلى المحنطين الذي كانوا يحولونها إلى نصب تذكارية لعرضها في الأماكن العامة. وأصبح الصقر طائر

الملوك مجرد مجموعة من العظام والريش معلقة على الأشجار أو محنطة ومعلقة خلف النوافذ. وقد كتب أحد علماء الطبيعة - مربي الصقور J.E.Harting في كتيب The Ornithology of Shakespeare على ١٨٧١ أنه للأسف «لقد أتى اليوم الذي تشاهد فيه الصقور النبيلة والجميلة معلقة على الأشجار بعد أن يصيدها المزارعون ويسلخونها ويعلقونها كاللصوص».

وتجدر الإشارة إلى أنه من بين هؤلاء كان هناك بعض الأشخاص مثل المربي الاسكتلاندي.. دوجلاد ماسنير الذي كان أحد مربي الصقور المتميزين، ومن بين الذين يعرفون قدرات ومهارات خاصة تشاركه عالمة بما لديها من مهارات. فوصف صقر الشاهين قائلاً «إنه يقوم بضبط وقوعه على فريسته كما لو كان طلقة من بندقية فينقض على الفريسة في الوقت المحدد ومن المسافة المطلوبة. كما أنه يرسل شكواه بشكل إنساني أكثر من الإنسان نفسه. ولكن مجرد النظر إلى الصقور كرياضيين طبيعيين لا يحول دون قتلها. ففي كثير من الأحيان كانت تلك النظرة تجعلها أهدافاً مغرية أمام الكثير من الرياضيين في القرن التاسع عشر. فقد كان قتل الصقر يعطي الرياضي فرصة لكي ينال من خصمه الذي يمتلك الكثير من السمات مما يجعل كفة المعركة تميل إلى صفّه. فإرسال صقر تم قتله إلى رونالد وارد محنط في بيكاديلي ثم عرضه على نافذة أحدهم هو دليل على براعة وقوة هذا الفرد.

وهناك قصة خرافية معروفة للسيد هنري وليامسون في عام ١٩٢٣ حول صقور الشاهين المهددة بالانقراض يسرد فيها المأساة التي تتعرض لها الصقور، والمعاناة التي تلاقيها والخطر الذي يتهدددها إلا أن ذلك أيضاً لم يساعد على حماية الصقور من الانقراض. وقد تعرضت صقور وليامسون التي كانت رمزاً للأرستقراطية البريطانية لضربة مزدوجة من خلال الحرب العالمية الأولى، وأنظمة الضرائب الجديدة. فقد كانت صقور الشاهين الخاصة بوليامسون تتسم بالقوة والنبل وأحد صقور عائلة الشاهين وهو الصقر «ديفون تشاك تشيك» كان ذو رهبة كبيرة، ويخشاه الجميع في «ويست كنتري» وهو منزل قديم ونبيل. وفي الحقيقة فقد قام أحد الملوك القدماء بتحويل أحد أجداده



القدماء إلى واحد من صقور وليامسون.

وفي القرن التاسع عشر أوضح علماء الحكومة الأمريكية أن كل الطيور المفترسة تستحق القتل والصيد وبعض الصقور تفضّل أن تأكل الفئران والضفادع، ويمكن اعتبار تلك الصقور مفيدة مالياً. وفي فترة الركود التي اجتاحت الولايات المتحدة الأميركية كانت الصقور تعد مصدراً للتخريب؛ فهي تهاجم المحاصيل الزراعية الأمريكية، وبالتالي فقد بدأت فترة أخرى من بالصيد ومطاردة الصقور. ولقد وصفوا الصقور بأنها جيوش تشن حرباً على الأعداء التي تغير على محاصيل أمريكا. وأن حماية الصقور سوف يمنع حدوث المجاعة. ولكن لمْ يَحْظَ الشاهين الأمريكي الذي كان اسمه المعروف في أمريكا هو Duck Hawk بأي ميزة من الصيادين في تلك الفترة، كما لم

تجن الصقور الكبيرة أية فائدة من الجهود التي قامت بها في حفظ المحاصيل.

> «كان صقر الجيرفالكون يلتهم في معدته ٤ فئران من تلك التي كانت تلتهم المحاصيل. أما صقر Prairie كانت لديه بعض من العادات الجيدة والسيئة وكان يحافظ على التوازن من خلال قتل الطيور الضارة. أما صقر الشاهين فكان يضر بطيور الماء والدواجن كما كان يلتهم الطيور الصغيرة ولكن بشكل عام كان ضرره أكثر من نفعه».

وتجدر الإشارة إلى أن الناس في تلك الفترة كانوا يعدون قتل الطيور السيئة مسؤولية أخلاقية تجاه المجتمع والبيئة، وقد استمر ذلك في القرن العشرين، حيث قامت الجمعية الأمريكية لحماية الطيور في ١٩٢٠ «جمعية أودبوند» بإطلاق النار على الطيور المفترسة الموجودة لديها آنذاك وفي العديد من الدول الأوروبية ظلت المكافآت تدفع نظير صيد وقتل الطيور المفترسة في الخمسينيات والستينيات، وكانت هذه النظرة منتشرة -أيضاً- بين العديد من الجمعيات المعنية بحماية الطيور بشكل عام.

التنوير؟

وقد تعرضت الصقور في فترة الحرب في أمريكا إلى العديد من حملات الصيد والقتل، وكذلك في جبال بلو في بنسلفانيا، وكان يتم صيدها وبيعها للحصول على الأموال، ولكن هذا الأمر قد تغيّر بفضل محبي الطيور حيث اشترى أحدهم هذا الجبل في عام ١٩٣٤ وأسماه جبل الصقور، وهكذا ظهرت مرحلة جديدة، وأصبح الناس يذهبون لمشاهدة الصقور في هذا الجبل، ويقوم الحراس بحماية بيض الطيور من السرقة، ويتمتع الناس بالمناظر الخلابة للطيور وهي تحلق في السماء دون أن يقتلوها.

وفي ماساشوستس قام عالم الطيور «جوزيف هاجر» بوضع صقر لكي يحرس بيض صقور الشاهين خوفاً من أن يقوم جامعو البيض أو مربو الصقور وغيرهم من الدخلاء بسرقته. وكانت مراقبة بيض الشاهين من خلال الصقور

ذات فائدة مزدوجة حيث أظهرت براعة الصقر في الطيران بشكل يتجاوز أفضل الطيارين في العالم. لقد كان جوزيف مندهشاً لما يراه من قدرة الشاهين على المناورة في السماء. إذ كان صقر الشاهين يهبط كما لو كان صاعقة تضرب في ثلاث عقد متتالية.

«كان الشاهين يجول فوق الرؤوس مع الريح التي تهب بقوة عبر جناحيه كما لو كانت تمزق قطعاً من القماش. وكانت سرعته ومن خلفه التلال بادية للعيان بشكل كبير أوضح من طيرانه في السموات المفتوحة».



اثنان من محبي الطيور يحملون بيض الطيور إلى عش أقرب ويسهل الوصول إليه في عام ١٩٤٨ وقد أصبح هذا التصرف أمراً معتاداً اليوم.

لقد كانت مشاهدة هذا الأداء البارع للصقر تأخذ بالألباب والعيون وله تأثير كبير على المتفرج.

كما أشار هاجر إلى معنى رمزي آخر للصقر. فصوت القماش المتمزق وهو صوت قريب من الصوت الصادر عن قطع الصقر لأجواء السماء لهو دليل على أن الممر الجوي قد تلبد في لغة التبشير. وهكذا أصبحت الصقور رمزاً للبطولة والحرية والسرعة والقوة، وقد اجتاح هذا الشعور أمريكا أيضاً في فترة الحرب.

ساعد ظهور منظمات حماية البيئة المحلية الناتجة عن زيادة السياحة في تعزيز أنواع الحيوانات كرمز لتاريخ الحياة البرية في أمريكا. فقد أصبحت الحيوانات اليوم مصدر هام للتسلية وقصص التاريخ الأمريكي تتم قراءتها من قبل المواطنين. ولقد وجه عالم الطيور «أرثر آلن» رجاء للحفاظ على صقر الشاهين من خلال كتابة سيرة ذاتية لطائر في مجلة دراسة الطيور للشباب إذ قدم من خلالها صقر الشاهين كرمز للرومانسية البدائية. ولقد كتب هذه السيرة بصوت صقر الشاهين - صوت مجلة الشباب:

> أنا والقصة التي أذكرها لسنا لذوي القلوب الضعيفة دعوني أذكركم بهذه الصفات التي تتمتع بها الصقور من القوة والافتراس والعظمة (والانتصار على الخصم) وروعة المعارك ولذة التدمير البدني والقضاء على الخصم. دعوني أقدم لكم إثارة منقطعة النظير، قمت بها من أجلكم سقطت فيها جميع الطيور الأقل شأناً وشعرت أنا بالرضا.

وقد كان لذلك عظيم الأثر في عدم اصطياد الطيور وقتها.. حيث يمكنك حالياً التقاط صور لها أو رؤيتها من خلال التليسكوب أو النظارات المكبرة من خلال التدريب شهدت الصقور زيادة ملحوظة في هذه الفترة.

فالأفلام والمقالات والكتب والمحاضرات التي ألقاها كابتن سي دبليو أر فايت كشفت عن نوع آخر من الصقور، وكان السيد/ فايت محاضراً مشهوراً في هذه الفترة ومصور أفلام موهوب، وأحد علماء الطبيعة المخلصين. ولقد

كانت عروضه من النسر الذهبي «رامشو» أسطورية. إذ قدم فايت الصقور في صورة مغامرين فخورين شجعان ومقاتلين، وكذلك تعتبر الصقور آباء وأمهات جيدة. لم تكن هذه الصقور شريرة بل مخلوقات متحضرة:

قام كلٌ من علماء الطبيعة المتحفزين وهما التوأمين فراك وجون كريجهيد بناء على أسطورة فايت بتقديم سلسلة من الكتب والمقالات المصورة. فقد رأوا في الصقور صورة لأنفسهم المغامرة. حيث نرى فرانك يتبادل النظرات مع أنثى صقر شاهين:

> «إن عيني أنثى الشاهين تكشف عن طبيعتها، وفي عينيها رأيت حياتها. لقد رأيت الحب والحرية. لقد رأيت روح المغامرة، والرغبة في الإثارة والجرأة. لقد رأيت اللذة العارمة لأوليس الهواء، المتشردة التي خرجت لرؤية العالم وتحديه».

وقد وصف التوأمان الصقور التي قاموا بتدريبها في سياق الحيوانات المنزلية التقليدية، فلقد كانت هذه الصقور محبوبة ولطيفة. وتغيرت النظرة الودودة الذكية اللطيفة لأوليس فأصبحت أفضل عند نضوجها وبلوغها مرحلة المراهقة حيث تحولت من النظرة الفضولية لكل ما تراه حولها إلى نظرة قوية ومستقلة. كما يبين كيف أن الصقر تعقب المسار الثقافي للشباب الأمريكي. وقد تطورت رؤية التوأمين فيما بعد في الخمسينيات من القرن العشرين، وقاما بنشر عدة مقالات عن حياة الطيور المفترسة ووصفا الصقور على أنها أحد حماة نظام التوازن البيئي فهي تقوم بإحداث نوع من التوازن بين الحيوانات البرية.

وهكذا بدأ يظهر مفهوم جديد عن الصقور وغالباً ما كان متوافقاً مع دورها الطبيعي السابق، عبر المحيط الأطلنطي رأى العالم هاري سازرن الدور العام الذي لعبته الصقور في إعادة بناء بريطانيا بعد نهاية الحرب وقد رأى أن الصقور والطيور المفترسة تساعد على التخلص من القوارض التي تفسد وتتلف الإنتاج الزراعي. وقد اعتبر هاري سارزن أن الصقور حليفة للمجتمع، كما أنها تساعد العلماء في إجراء تجارب بيئية على نطاق واسع لمصلحة المجتمع. وكما أن المجتمعات المتماسكة العاملة قامت على تنوع وظائف وأدوار أفراد المجتمع،

فإن علماء البيئة المعاصرين أوجدوا لكل نوع من المخلوقات دوراً خاصاً به في المجتمع الطبيعي الدور الذي يقوم به الصقر يأتي على قمة الأدوار الأخرى. كما أن سمات الصقر التي وضعته على قمة سلسلة الطعام وتجعله مصدراً للتركيز والطاقة في الحياة البرية قد قوّت من وضع الصقور ومنحتها وضعاً اجتماعياً متميزاً. فقد كان الصقر تجسيداً للسحر الحقيقي، ولقد أكد العلم الحديث هذه الفكرة. كما ساعدت هذه النظرة العلمية مع الرمزية الاجتماعية للصقر في بناء الجملة الأخيرة لمقال هاري سارزن الذي رأى أن اختفاء أو تقلص أعداد الصقور يجب أن يكون حافزاً لنا لمعاودة الدخول إلى مملكة الصقر من أجل الحفاظ عليه.

الانقراض:

غير أن الصقور كانت تختفي وتتلاشى تدريجياً وكان أول من لاحظ ذلك الجماعات المدافعة عن الصقور، حيث لاحظت انخفاضاً ملحوظاً في أعداد الصقور المحلية.

وقد لاحظ على سبيل المثال جوزف هاجر في ولاية ماساشيسوتس أن حيوانات الراكون كانت مسؤولة عن اختفاء عدد كبير من الصقور وهو الأمر الذي أثر على أعداد الصقور في هذه الولاية. وعندما اختفى عدد كبير من نسل الصقور من التلال التاريخية لهذه المدينة في عام ١٩٥٠ تركت خلفها نسلاً ضعيفاً ومريضاً استمر أربع سنوات إلى أن اختفى تماماً مع اختفاء البيض والفرخ. وفي بريطانيا نجد أن العالم البريطاني المتحمس للصقور ديك ترليفن قد انتابه نفس القلق فقد أعد تقريراً يفيد بأن صقراً واحداً من بين مجموعة من ستة صقور كان يخضعها للملاحظة قد نجح في تربية صغاره، وفي العامين ١٩٥٧، ١٩٥٨ أخفقت الصقور الست جميعاً في القيام بذلك. وكانت هناك تقارير كثيرة حول هذا الأمر، كانت تفيد بأن أعداد الصقور آخذة في النقصان وبالتالي فهي معرضة للانقراض.

وفي عام ١٩٦٣، اندهش بعض علماء الطيور البريطانيين من نتائج

صقر الشاهين الأمريكي كبير الحجم رمادي اللون. وقد أدت المبيدات الحشرية بعد عدة سنوات قليلة من التقاط هذه الصورة إلى القضاء على هذا النوع بالكامل.



الدراسة التي أجروها على أعداد الصقور والتي نشرها عالم الطبيعة «دربك راتكليف».

إلا أن المثير في الأمر أن نتائج هذه الدراسة الحكومية كانت مثاراً لشكاوى عديدة أثارها مربو الحمام الذين ادعوا أن هناك أعداداً كبيرة منها، إلا أن أعداد الصقور كانت مثاراً للفزع فهي تتناقص بشكل كبير ووصل عددها إلى أقل من نصف العدد الذي كانت عليه في فترة ما قبل الحرب، وكانت هناك بعض التقارير تفيد بأن بعض الأنواع قد انقرضت وأن الإناث من الصقور في بعض الأنواع الأخرى تأكل بيضها.

وقد شك «راتكليف» أن المبيدات الحشرية هي التي تتسبب في هذا الانحدار

وظهرت هناك صيحات عامة في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين بأن المواد الكيماوية تتسبب في وفاة طيور المزارع. وتجدر الإشارة إلى أن هناك أنواعاً كثيرة من المبيدات الحشرية والمواد الكيماوية تستخدم بشكل كبير في المناطق الزراعية في بريطانيا وأوروبا الغربية وفي شرق الولايات المتحدة، وهي مركبات ثابتة لا تتحلل بعد استخدامها، وتستمر، وتظل موجودة في سلسلة الطعام، وتتراكم في أمعاء الصقور والطيور إلى أن تصل إلى معدلات مميتة وغير مميتة، وفي بعض الفحوص التي قام بها «راتكليف» وجد أن بعض بيض الصقور الاسكتولاندية يحتوي على أربعة أنواع من المبيدات الحشرية شاملة DDE-DDT.

كما أن اختفاء الصقور يمكن أن يعزى أيضاً إلى استخدام الأراضي الزراعية حيث كان انخفاض أعداد الصقور أسرع في الأراضي الزراعية، وهذا يتماشى مع نطاق استخدام المبيدات الحشرية في بريطانيا بعد الحرب.

هذا وقد ازداد الاهتمام بالمخاطر التي تنجم عن استخدام المبيدات الحشرية والمواد الكيماوية ففي عام ١٩٦٢ ألف «تشراشال كارلسون» كتاباً عن ذلك الموضوع بعنوان «الربيع الصامت». أوضح فيه المكونات الجديدة للمبيدات الحشرية وآثارها المدمرة، وكذلك الحال في أمريكا، حيث انتشرت المنشورات



إعلان مبتهج وغير صحيح تماماً عن مبيد DDT في بدايات استخدامه.

والكتب التي توضح أخطار المبيدات الحشرية والمواد الكيماوية وتحذر منها. وقد استعرض كارلسون بشكل مفصل مكونات هذا المبيد الجديد وتأثيره الضار على الإنسان والحيوانات والطيور والمجتمعات. لقد كانت كمية مبيد DDT المستخدمة مبالغ فيها، ففي البساتين الواقعة شرق أمريكا على سبيل المثال أدى الاستخدام المتكرر إلى ترك كمية من المبيد تعادل ٣٢ رطلاً لكل فدان. وفي الأربعينيات من هذا القرن والخمسينيات انخفضت أعداد الصقور بشكل ملحوظ وكبير وبدون أن يشعر أحد وسرعان ما قاربت على الانقراض وقد لاحظ أحد العلماء وهو ديفيد زيرمان أن الصقور الرحالة قد تناقصت بدون أن يشعر أحد لأنها نوع من الطيور المفترسة القوية الصامتة التي لا يشعر بها أحد.

الدليل والرعب:

أثار كتاب «الربيع الصامت» ضجة حين صدوره فقد لاحظ العالم «جوزيف هيكي» أن أيّا من هذه الصقور لم يتمكن من النجاة في كل شرق الولايات المتحدة الأمريكية. وقد قال عن ذلك: «اعتقد أن مدربي الصقور كانوا مشغولين بشكل كبير جداً إنني لم أدرك أن معظم الأنحاء في هذه المنطقة قد هجرت تماماً».

كما قام بإجراء دراسة عن الصقور، وكانت النتائج مدهشة، حيث كانت معرضة للانقراض، وبالتالي فقد عقد مؤتمراً في جامعة ويزتونزون ما يدسون في عام ١٩٦٥ وقد سمعت الوفود أنباء أسوء مما كانت تتوقع وكانت الحقيقة المفزعة هي أن معظم الصقور كانت معرضة بالفعل للانقراض.

وكان موضوع المؤتمر الذي عقده «راتكليف» مقنعاً فهو يوحي بأن المبيدات الحشرية هي السبب وراء هذا الانقراض الذي يهدد الصقور كما توصل «راتكليف» إلى حل اللغز الذي كان وراء أكل الصقور لبيضها إذ لاحظ أن سمك قشر البيض كان قليلاً وعند الفحص توصل إلى أن سُمك قشر البيض كان يقل بنسبة ٢٠٪ عن سمك قشر البيض في فترة ما قبل الحرب، وأثناء

فترة الرّقاد على البيض كان البيض ذو القشرة الأقل سمكا ينكسر. وكانت نفس نسبة الهشاشة تحدث في بيض صقور الشاهين الأمريكية. وفي فترة لاحقة قام معملان تابعان للحكومة هما معمل Monkswood Experimental Station في بريطانيا ومعمل Wildif Research Center في مريلاند بتقديم أدلة معملية تثبت أن صقور الشاهين كانت تتجمع في معدتها كميات كبيرة من مبيد DDT نتج عنه تشويه بيض الشاهين.

وعندما نشرت أزمة صقور الشاهين للعامة أثارت هذه التوازنات القديمة بين الإنسان وصقور الشاهين أهمية جديدة. فبالنسبة للعامة الذين كانوا يعانون من خوف مرضي من الحرب الباردة فقدوا ثقتهم في وسائل التكنولوجيا الحديثة إلى جانب فقدان ثقتهم في الحكومات كانت هناك معضلة حقيقية.

كان حادث تسرب النفط من الناقلة Strontium عام ٩٠ وحوادث التسرب النووي جاءت المبيدات الحشرية لتكون هي المسمار الأخير في نعش العلوم المؤسسية وخرافة التقدم. وأصبح الصقر هو جوهر الحياة البرية كما وضعته مجلة «المدافعون عن الحياة البرية».

وأصبح هناك تأثير مماثل على الإنسان. حيث تم التعقب الجغرافي للتوازي الموجود بين الأمراض الناتجة عن الإشعاع والتسمم الناتج عن المبيدات الحشرية حيث بدأ العامة ببناء هرم للأسباب التي توضح تأثير الإشعاع على العشب الذي كانت تتناوله الأبقار والذي تجمع في ألبانها وانتقل بدوره إلى عظام الأمهات المرضعات. هذه الرسومات الخاصة بالتجمع الحيوي للسموم الناتجة عن المبيدات لا تختلف كثيراً عن تلك التي تبين تكون مبيد DDT في أنسجة صقور الشاهين.

وفجأة أصبح كلٍ من الإنسان والصقور ضحايا للأمراض الصناعية وكليهما يأتي على قمة سلسلة الطعام، وأصبح مصير الصقر مرتبطاً بالمجتمع الإنساني ومصير الجنس البشري نفسه. وقد تمحورت حلقات والت ديزني بعنوان صقر الشاهين «فادر» حول التهديد البيئي المظلم لمصير صقر الشاهين ولقد نال أكبر معدل مشاهدة في عام ١٩٦٨ حيث شاهده ٦٠مليون مشاهد. وقد قام رئيس



رئيس الوزراء البريطاني هارلود ويلسون يقابل صقر شاهين ميت في مختبر مونكس وود.

الوزراء البريطاني هارلود ويلسون بجولة على وحدات السموم الكيمائية في مختبر Monks Wood Experimental Research في عام ١٩٧٠ ونظر بامتعاض إلى صقر شاهين ميت أمام المصورين. لقد كان للثورة التكنولوجية آثارها السلبية.

علم الطيور الإكلينكي:

ما الذي كان يمكن فعله؟ كانت حماية صقور الشاهين أمراً ضرورياً ولقد تم اتخاذ التشريعات الضرورية لذلك. ولكن سوء معاملة صقر الشاهين لم تكن هي المشكلة بل المبيدات الحشرية. لقد رغب العديد من الوفود في مؤتمر هايكي في فعل شيء جديد. والكثير من تلك الوفود كانت من مربي الصقور وكان لديها خوف وهاجس من تعرض صقور الشاهين للانقراض والخوف من أنهم ربما لن يتمكنوا من إطلاق صقورهم مرة أخرى.

وفي بريطانيا تم فرض حظر طوعي على بعض أنواع المبيدات الحشرية ونجح ذلك في خفض سرعة انقراض صقور الشاهين. أما في الولايات المتحدة فقد

كانت الأمور حرجة. حيث قام حوالي ١٣ من أعضاء مؤتمر «ماديسون» بتكوين مؤسسة بحثية للطيور الجارحة تحت قيادة مربي الصقور «دون هنتر». ولقد اعتبرت هذه المؤسسة نفسها مسؤولة عن جمع وتنسيق المعلومات حول النظام البيئي للطيور الجارحة. وكانت هذه بمثابة جهود تطوعية هدفها الحيلولة دون تناقص أعداد صقور الشاهين أو انقراضها. وكانت اجتماعات هذه المؤسسة كثيفة ومتكررة. فقد كانت تعقد من الساعة ٨ صباحاً إلى الساعة ٣:١٠ مساء وكانت تضم جلسات ساخنة ومؤثرة حول الجهود التي يمكن القيام بها والوسائل التي يمكن تطبيقها.

ولقد ساهم هؤلاء الأفراد في تقديم جهد ريادي في التوصل إلى الأساليب والوسائل التي يمكن من خلالها حماية الصقور والعناصر البيئية الأخرى. وأطلق «ديفيد زيمرمان» على هذا العلم التطبيقي الجديد اسم علم الطيور الإكلينكي، وهو ينطوي على تدخل فعال من جانب الإنسان في دورة حياة الطيور المعرضة للخطر.

لذا ما المانع من إنقاذ بيض صقور الشاهين ذات الغلاف الهش من المناطق المعرضة للخطر ومحاولة الحفاظ عليها في معامل التفريخ الصناعية على أن يتم إعادة الفرخ الصغير فيما بعد إلى الأعشاش؟ وماذا عن تربية صغار صقور الشاهين في أعشاش صقور المروج؟ والأهم هو هل يمكن تربية الصقور في الأسر ثم إطلاق الصغار فيما بعد في البيئات البرية وسط مستقبل أكثر نظافة؟ لقد تطلبت هذه الخطط أساليب ووسائل غير مختبرة. هل من الممكن أن يتم تفريخ أعداد كبيرة من الصقور في الأسر. إذا كان الأمر ممكناً.... إذا فما هي الطريقة؟ وهل ستفلح أما لا؟ وما الذي تتطلبه؟.

كان موضوع تربية وتفريخ أعداد كبيرة من الصقور في معامل صناعية بالنسبة لكثير من المعلقين في بداية السبعينات أمراً غير مطروح. ولكن كيف يمكن للمرء أن يتخيل أن الصقر جوهر الحياة البرية يمكن تربيته في حظائر مثل الدجاج أو الحمائم؟ كتب «فيث ماك نوتي» في «نيويوركر» إن تكاثر الصقور كان عملاً فذاً وفي غاية الصعوبة لا يمكن أن تعيد إعمار الحياة البرية أو توفير صقور

للمربين. ولكن ثبت أن وجهة نظر فيث غير صحيحة حيث قبل مربو الصقور في باك يارد هذا التحدي في أمريكا الشمالية وقاموا ببناء أعداد كبيرة من الحظائر وتربية جميع أنواع الصقور فيها مثل صقر الشاهين وصقر المروج وصقر الحر وغيرها من الطيور الجارحة مع العديد من المشاريع الكبرى.

وتعود بداية هذه المشاريع إلى اجتماع مؤسسة البحث في الطيور الجارحة، حيث قامت منظمة كندية لخدمة الحياة البرية كان يديرها «ريتشارد فيفي» في ألبيرتا ومجموعة البحث في سانات كروز في كاليفورنيا ومركز أبحاث الطيور الجارحة في جامعة مينسوتا.

وسواء كانت الجماعات المتحمسة للصقور تحتفظ بزوج في حظيرة معدلة أو أن هناك فريق كامل من الأساتذة يراقبون صقور الشاهين من خلال دائرة تلفزيونية مغلقة، إلا أن الجميع كانوا يتشاطرون ما لديهم من بيانات وتقارير ومهارات. والسؤال هو كيف يمكن للفرد أن يربي صقراً؟ كان ذلك هو ما يهم. ومع مرور الوقت أصبحت الأمور أوضح. فأنت لا تحتاج إلى قفص طيور ضخم



يعتبر طائر الفري المنزلي طعاماً ممتازاً للصقور التي تتكاثر في الحظائر. صورة لأنثى صقر الشاهين تحملق في الكاميرا قبل أن تطعم صغارها الثلاثة.

من أجل تربية الصقر. بل الصقور تفضل الأقفاص الصغيرة المحكمة. فإذا قمت بنقل مجموعة من البيض من أجل التفريخ الصناعي، سوف يزيد الزوج من بيضهم. كما أنه يمكن تربية الفرخ الصغير في الأقفاص بسهولة أكبر من تربية الصقور التي تم الإمساك بها وهي في عمر أكبر.

صندوق صقر الشاهين:

في الولايات المتحدة، أصبح مرفق تربية الصقور في جامعة كورنيل أنجح مشروع على الإطلاق. وقد كان من نتاج «توم كايد»، مدير مختبر كورنيل لعلوم الطيور. لقد كان كايد من محبي الصقور منذ الوهلة الأولى التي رأى فيها أنثى صقر شاهين تصطاد طائراً مائياً فوق سان ديسماس في كاليفورنيا عندما كان صبيا. ويتذكر هذه الحادثة قائلاً: «لقد سمعنا صوتاً أشبه بالصفير كما لو كانت قوقعة بحجم ٦ بوصات تعبر فوق رؤوسنا.. لقد كانت أنثى صقر الشاهين».

كانت حظيرة كورنيل للصقور التي تبلغ ٢٣٠ قدماً معروفة على نحو واسع لدرجة أنه كان يطلق عليها «قصر الشاهين». كانت تتسع لحوالي ٤٠ زوجاً من الصقور الكبيرة التي تبرع بها مدربو الصقور ليتم مراقبتها بشكل مستمر في غرف المختبرات على مدار الساعة من خلال دائرة تلفزيونية مغلقة. كان المشروع يهدف إلى إنتاج أعداد كبيرة من صقور الشاهين من أجل مربي الصقور بهدف الدراسة العلمية ومن أجل إعادة تقديمها إلى الحياة البرية وبسرعة تم تحويلها إلى مؤسسة صندوق صقور الشاهين.

كان هذا جهداً عظيماً من قبل المؤسسة العلمية من أجل الحفاظ على صقر الشاهين. وكان يتم تمويل الصندوق من مصادر عدة منها مؤسسة العلوم الوطنية، صندوق الحياة البرية العالمي، IBM «جمعية أودبون» لخدمة الحياة البرية وكذلك القيادة العسكرية للجيش الأمريكي. ولقد حظى صندوق حماية صقور الشاهين بشهرة كبيرة بين الجمهور من خلال التغطية الإعلامية، وتلقى آلافاً من التبرعات من الأفراد المهتمين بالصقور ومن الجيش الأمريكي.

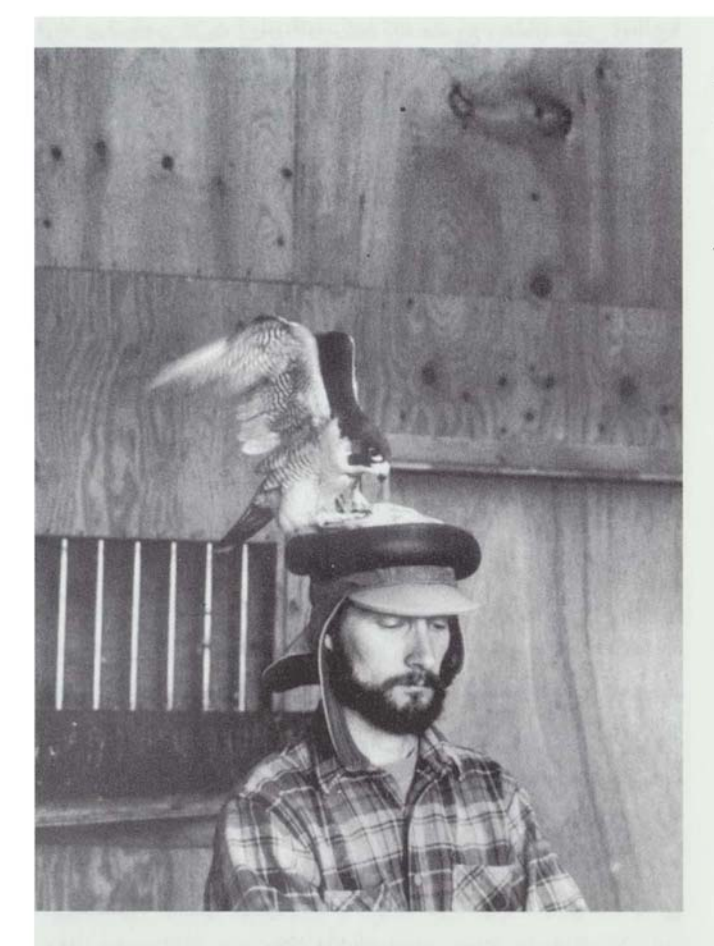
وبحلول عام ١٩٧٣ كان صندوق حماية صقور الشاهين ينتج حوالي ٢٠

فرخاً صغيراً من ثلاث أزواج فقط. كما كان مشروع ريتشارد فيفي في ألبرتا ينتج أيضاً صغار الشاهين مثل غيره من وحدات التفريخ في الولايات المتحدة. ولقد ابتكر أحد مؤسسي صندوق حماية صقور الشاهين «بوبي بيري» وسيلة جديدة للتكاثر من خلال التلقيح الصناعي. وهي وسيلة ممتازة لمربي الصقور في الوقت الحالي، وتتطلب مهارات غير عادية. إذا قام الإنسان بالتعامل مع صغار الصقور سوف يترك بصمته عليها وسوف يستجيب الصقر لهم كما لو كانوا صقوراً. والهدف من بصمة الشخص الذي يعتني بالفرخ الصغير هو بناء صلة مع هذا الفرخ ومحاكاة سلوك الصقر الحقيقي وتقليده في حركاته وأصواته وجلب الطعام للفرخ الصغير. وفي النهاية إذا كان الفرخ الصغير ذكراً سوف يتزاوج مع مربية فيتم جمع المني الخاص بالصقر ويتم حقنه في أنثى الصقر. كما هذا يتطلب عمل يوم واحد. ولكن سرعان ما أثارت هذه الطريقة استياد العامة فجعل الكثير من الأفراد الذين يقومون بهذه المهمة لا يناقشون تفصيل عملهم علناً.

العلم الخيري:

كانت هناك العديد من الجهود الكبيرة التي بذلها أشخاص مثل كاد وريتشارد فيفي أذهلت وسائل الإعلام. وبسبب عدم شغفهم بالصقور فقد تعجب رجال الإعلام من الصحافيين والكتاب من الدوافع التي حدت بهؤلاء الأفراد للقيام بهذه الجهود من أجل إنقاذ صقر الشاهين. ولقد هاجم ديفيد زيرمان ما يثيره الإعلام من خلال طرح نفسي عالي مفترضاً أن الإنسان في سعيه لإنقاذ الأنواع الحيوانية يعكس رغبة دفينة في الخلود. وهكذا فإن إنقاذ الطيور عمل يتعلق بالخلاص الأبدي وأن الإنسان الفاني الذي يساعد في هذا العمل يتجاوز وجوده الفاني من خلال هذا العمل ومن خلال هذا الحافز الإنساني القوي.

ولكن الجهود التي بذلت من قبل صندوق حماية الصقور وغيرها من المؤسسات الأخرى لم تُرَ على أنها مخلص للعلم نفسه. ففي ظل المناخ الذي



أحد الصقور المدربة
على التقارب مع البشر
يجامع إحدى القبعات
الخاصة التي يرتديها
أحد مربي الطيور
السيد/ كال ساندفورد.

كان سائداً في فترة الستينيات لم ينظر إلى العلم على أنه قوة تقدمية لما فيه خير البشر. فقد كان هناك عدم ثقة كبيرة من قبل الجمهور في رجال العلم وممارسيه. أما صندوق كايد وفيفي فقد كان مختلفاً. فقد تم تقديم كايد في وسائل الإعلام

في صورة بطولية قوي وعطوف وصاحب أخلاق. وقد ظهرة في العالم فئة جديدة من العلماء أصحاب الأخلاق في الوقت الذي فقد العالم فيه ثقته في العلماء. وأصبح ينظر إلى هذا الصنف من العلماء على أنهم أبطال. وسبح صندوق حماية صقور الشاهين في جو أسطوري شاركه فيه الرئيس كيندي في البيت الأبيض. ولقد كتب كايد عن تلك الحقبة قائلاً أعتقد أنه كان نوعاً من «كاميلوت» مكان مميز في وقت مميز مع أفراد مميزين الذين كانوا ملتزمين بشكل كبير في إنقاذ صقر الشاهين.

إطلاق سراح الصقور:

إن كل من كان يعمل في مشروع كاد كان من محبي الصقور الذين كانوا يستعملونها للصيد ولقد كان الشغل الشاغل لهم هو كيفية إطلاق سراح الصقور من الأسر إلى الحياة البرية وقد اتبعوا أسلوباً يعرف «بالاختراق» لتحسين مهارات الطيران لدى تلك الصقور حيث تم تربيتها وإطعامها على يد البشر ثم يتم تعليمها... طريقة الصيد مثل الصقور البرية وقد تستغرق هذه العملية عدة أسابيع، تماماً مثل ما أوضح داكراسيا في القرن السادس عشر سوف يمر كل شهر مايو وأيام قليلة من شهر يونيو قبل أن يتعلم الصغار دورسهم ويمكنهم.

خذ قصبة وقُمْ بتطييرها في اتجاه الرياح وتعليقها مثل مصباح في السماء وعند هذه المرحلة، تم اصطياد صغار الصقور وتدريبها من قبل البياز (الباردار).

بدا الاختطاف هو الحل الأمثل. الفرق الوحيد بين الاختطاف لغرض الحماية من الانقراض والاختطاف لرياضة تربية الصقور هو أنه في النوع الأول فشلت في إعادة أسر صغير الصقر بينما كانت أوكار الصقر الاصطناعية في الموقع هي المسألة التالية. لقد كان الدافع قوياً لإعادة تأهيل المكان بأوكار الصقر التاريخية في الجرف على الساحل الشرقي وكانت هناك توأمة بين الحنين إلى الماضي والناحية العملية للحفاظ على الصقور. يمكن أن يصبح صغير الصقر «متطبعاً» على الوكر وبالتالي يمكن أن يعود حالما يكبر وربما يتوالد. لقد شاهد



بعد الفقس في حاضنات اصطناعية، يتم إطعام صغار الصقر باليد بالسمان المفروم لأيام قليلة قبل إعادتها إلى آبائها وفي هذه المرحلة المبكرة تكون حساسة للغاية وتحتاج لدفء مستمر.

من عملوا في صندوق طيور الشاهين الصقور وهي تبني أعشاشها في هذا الجرف، وقد أرادوا استعادة الوفرة البيئية للمناظر الطبيعية المحلية الحيوية التي رأوها مدمرة في حياتهم. لقد شرح توم ميشيل العامل في موقع الارتياد أن وظيفته أعطته فهم عميق للنظام البيئي للجرف. وقد أكملت الصقور هذا النظام البيئي ذات مرة وعندما ماتت الصقور، أصبح الجرف ميتاً. عندما ترى صغار الصقر تطير من الأوكار القديمة يكون ذلك بمثابة رؤية الطبيعة تسترد وضعها الصحيح مرة أخرى.

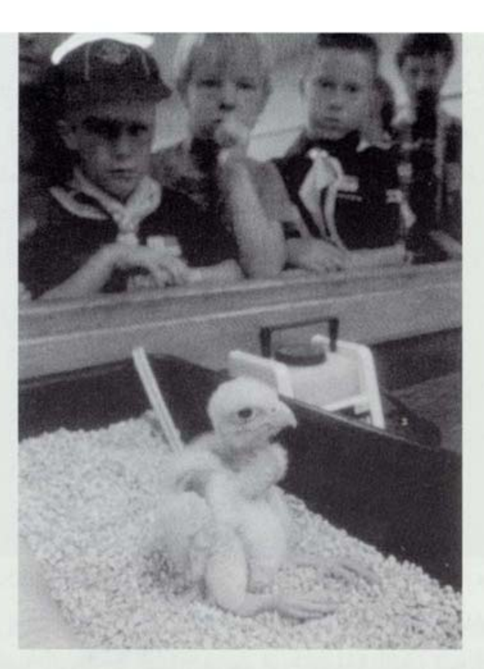
ومع ذلك، لم تمر تجارب إعادة التأهيل الرئيسية الأولى بهدوء كما كان مخططاً لها. فبدون وجود طيور بالغة قادرة على الهجوم لحماية الصغار التي تم إطلاقها في أوكار الجرف القديمة، عادة ما تتعرّض الطيور التي نما ريشها مؤخراً للقتل من قبل طيور البوم الكبيرة ذات القرون أثناء نومها حيث تم قتل خمس صقور صغيرة بهذه الطريقة سنة ١٩٧٧م.

«ليس لدينا الكثير مما نستطيع القيام به بشأن البوم إلا تجنبها» صرح بذلك كايد. لقد كان هناك نجاح أكبر بكثير بالنسبة للصقور التي تم نقلها من الأوكار المبنية على أبراج في مواقع غير تقليدية. لقد تم تفريخ الطيور بنجاح من أبراج في المستنقعات المالحة في نيوجرسي ومن برج اختبار سابق للغازات السامة في جزيرة كارول وقد سارت عمليات الإطلاق عالية الرواج هذه بشكل جيد. وفي أوائل الثمانينيات من القرن الماضي كان صندوق طيور الشاهين يطلق ما يزيد على ١٠٠ قطامي سنوياً في كل من شرقي الولايات المتحدة وفي كولورادو بعد استعادة منشأة ثانية إلى نطاقها السابق في غرب البلاد. لقد نجحت برامج إعادة التوطين التابعة لصندوق طيور الشاهين وغيرها من المؤسسات المتخصصة بالقدر الذي أدى إلى عودة طيور الشاهين للتوالد بشكل كبير لنطاقها الأمريكي السابق وهو بمثابة استرداد مميز في تاريخ حماية الأحياء.

ما هو مدى توحش طائر الشاهين الأسير؟

ومع ذلك كان إطلاق الصقور التي تولد وتربى في الأسر أمراً مثيراً للجدل. هل كان من الصحيح إطلاق هذه الطيور في المناطق البرية؟ إذا كانت طيور الشاهين المنقرضة من الساحل الشرقي في فصل الخريف هي آخر بقايا الماضي البدائي، فماذا كانت هذه الطيور الجديدة؟ إنها لم تتطور هنا. لقد كانت هذه الطيور عبارة عن طيور هجينة من أصل جيني وجغرافي مختلط، وآباؤها هاجرت من حقول اسكتلندا وأسبانيا. إنها لم تكن الصقور التي نمت وتطورت على مدار آلاف السنين في شرقي الولايات المتحدة. وما مدى توحشها؟ بالتأكيد تأخر الجوهر الخالص للتوحش بحكم طبيعتها الخاصة على الصخور والجرف. هل هو طائر قطامي أقل توحشاً لأنه تم تربيته في حاضنة آلات تعمل بالهواء القسري ونما بين الجدران؟

توضح المناقشات بشأن منشأ طيور الشاهين التي يتم تسريحها أن هناك جدلاً متعمّقاً ومتبايناً بشأن القيمة الطبيعية لعلم أحياء حماية الكائنات الحية. هناك تيار في الفلسفة البيئية يقدر قيمة الكائنات المجهرية أو الأنظمة البيئية من



فرخ صقر شاهين صغير في صندوق حماية الصقور وحوله حشد من المتفرجين «بوي سكوت». إن تعليم العامة هو هاجس أساسي لصندوق حماية صقور الشاهين والمنظمات الشبيبهة.

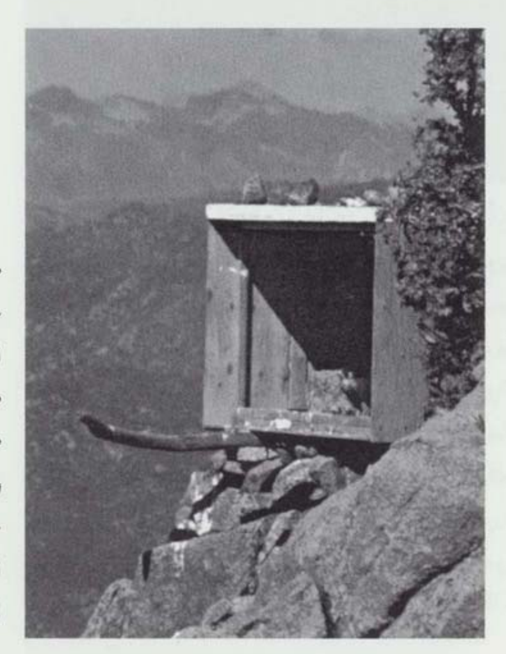
خلال الإنجذاب لتاريخها. وفي هذا العرف فإن القيمة الطبيعية لحيوان أو بيئة حيوانات تكون نسبية للحالة الطبيعية للعملية التي جاءت بها للوجود.

إن السهل العشبي المعتاد زراعته أو الحرش الاستوائي ليس له نفس قيمة ما ينمو بشكل طبيعي وهذه نقطة يثيرها هذا التيار. إن الأنظمة البيئية «البرية» أو «غير الملموسة» تشتمل على قيمة طبيعية كامنة أكبر من الأنظمة التي تأثرت بفعل النشاط البشري. وفي هذا الإطار، ونظراً لأنها لم تكن المستوطن الطبيعي لبيئة الساحل الشرقي، فقد كانت طيور الشاهين هذه طيوراً هزيلة ممسوخة وغريبة «ومتأثرة بنشاط بشري». ويتواصل جدلهم بالقول: أنه من الأفضل عدم وجود طيور قطامي بدلاً من وجود طيور الشاهين الخطأ.

لم يتفق رأي كايد ومؤيديه مع هذا الموقف حيث أن صورة الطبيعة لديهم كانت حيوية متحركة وشاملة وتضمنت روابط شعورية عميقة بالطائر والمنظر

الطبيعي تغلبت على المخاوف العصبية الساذجة. ولم يثيروا الجدل بأن هذه الطيور الجديدة تتطور لتناسب المناظر الطبيعية الجديدة الأقل بدائية للساحل الشرقي، بل إنها استردت أيضاً الاستمرارية التاريخية والبيئية المحلية. وعندما تصدح طيور الشاهين، فإن الجرف الصخري والسماء الزرقاء الرقيقة من فوقها يمكن أن تعود لها الحياة مرة أخرى. ويمكن للشباب الأمريكي أن يشاهد من جديد الانحناء المثير لطائر الشاهين الذي يماثل في جزء كبير منه الجمال الأمريكي الرفيع مثل جراند كانيون أو ديليكات ارك. وحسب ما كتبه كايد عن طائر تم إطلاق سراحه:

«أنا أصدقك القول، لا أستطيع أن أرى فارقاً بعيوني ولا أشعر بأي فرق في قلبي يثقل على صدري بنفس الإثارة الممتعة عندما ينحني البارون الأحمر



صقر صغير يبرز من عش اصطناعي تم افتتاحه مؤخراً أو صندوق نقل. كانت طيور البوم المقرنة والنسور الذهبية تشكل خطراً في مواقع الإطلاق الطبيعية مثل هذه المواقع.

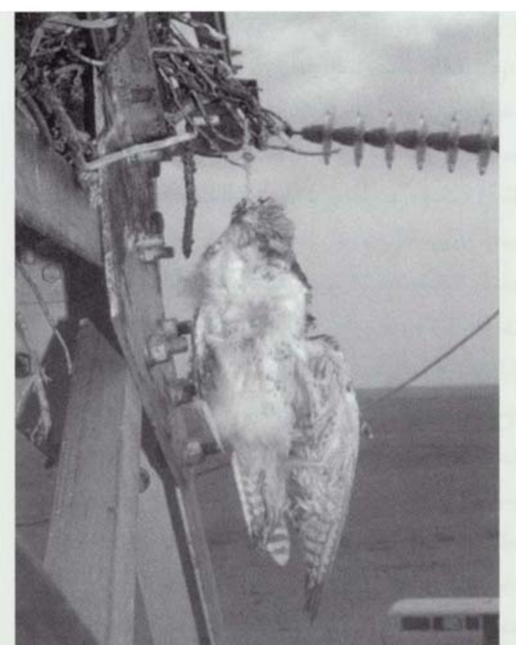
على مستنقعات نيو جيرسي المالحة كما فعل سنة ١٩٥١ عندما رأيت لأول مرة هذا الأسلوب مرتفع الطيران في الصيد الذي قامت بأدائه طيور الشاهين البرية في الاسكا».

وفي النهاية يبين كايد أنه من حيث الوظيفة والناحية الجمالية، لا تعترف الصقور البرية والتي تربى في الأسر بأي فارق. تقع أوجه التميز الوراثية وتصنيف الأجناس في وسط المنظر الطبيعي بأكملها مع تنشيط حركة طيران الصقور.

هل هذا نجاح الصقور؟

لقد صاحب قرار استبعاد الشاهين من قائمة الأنواع الأمريكية المهددة بالانقراض سنة ١٩٩٩ احتفالات كبيرة وقد أصدر آل جور بيانات يمتدح فيه قانون الأنواع المهددة بالانقراض «اليوم يوجد ما يزيد على ١٣٠٠ زوج متوالد من صقور الشاهين تحلق في سماء ٤١ ولاية» وقد قال بحماس «لقد جاء العهد الذي يمكننا حمايته واسترداد بيئتنا حتى عندما نقوم بتقوية اقتصادنا وبناء مستقبل أكثر حيوية» لقد كان كل شيء على ما يرام حيث تم استعادة بعض من تكامل النظام البيئي وتم انقاذ طائر الشاهين. لقد كان ذلك انتصاراً لحماية الطبيعة ولكن القصة لاتزال بعيدة عن النهاية حيث أن الملوثات الكيميائية لاتزال تهدد تجمعات الصقور. يجد الباحثون في السويد على سبيل المثال مستويات مرتفعة من مثبطات اللهب (PBDES) في بيض الشاهين. وعلاوة على ذلك، فإن المواد الكيمياوية المتضمنة عادة ما تكون مألوفة بشكل محبط. وبالرغم من أن التشريعات الخاصة باستخدام مبيدات الآفات تكون حازمة في أرجاء أوروبا وأمريكا الشمالية، إلا أن شركات الكيماويات الزراعية لديها أسواق جاهزة في أماكن أخرى. لقد تسببت مبيدات الآفات في انقراض محلي للصقور من نوع الباز الكبير (الحر) في بعض المناطق الزراعية الأفريقية وطيور الشاهين الأمريكية التي تقضي الشتاء في أمريكا الجنوبية والمكسيك تعود للتكاثر في الولايات المتحدة بمعدلات مرتفعة من مادة DDE.

صقر باز ميت في عشه في منغوليا حيث قتل بسبب الوقوع في خيط مصيص اصطناعي. إن موت الطيور البالغة المتوالدة له أثر سلبي على أعداد الصقور.



ولاتزال كوارث بيئية واسعة النطاق تحدث بالرغم من أنها نادراً ما يتم تسليط الضوء عليها في الأخبار في الغرب. منغوليا هي أكبر معقل لصقر الباز الكبير وهناك تتزايد تجمعاتها وتنخفض مع دورات تجمعات جرذ الماء. ونظراً لأن السنوات المرتفعة لجرذ الماء تعمل على تعرية أرض الحشائش السهلية الأمر الذي يجعل الحياة أكثر صعوبة للرعاة البدو، فقد كانت الحكومة المنغولية تعالج مؤخراً مساحات شاسعة من السهول بمبيدات القوارض.

وفي عام ٢٠٠١ قامت الحكومة بإسقاط حبوب سامة تسمى البرومد يالون بمعدل أعلى مئات المرات عن المستويات الموصى بها. إن مادة البرومديالون محظور استخدامها في الأماكن المفتوحة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدولة التي تحمل براءة الاختراع. وبالتالي فقد حدث انخفاض في أعداد صقور

الباز وغيرها من الجوارح المنغولية.

إن فقدان الموطن الطبيعي يهدد أيضاً أعداد الصقور في العديد من الدول ومع انهيار الفلاحة الجماعية، لم يعد الرعاة البدو يرعون في مساحات كبيرة من الموطن الطبيعي للصقور في وسط آسيا.

وقد أدى التطور الناتج للأعشاش والأرض الجرداء في ما كان أرضاً عشباء ذات مرة إلى انخفاض في أعداد السسلين وهي الفريسة الثديية الرئيسية لصقر الباز في بعض المناطق. لقد عانت صقور الباز المنغولية أيضاً من امتلاء الأرض العشبية السهلية بالقمامة التي تحتوي على خيوط وحبال بلاستيكية غير قابلة للتحلل بفعل البكتريا حيث قتلت العديد من صقور الباز التي تبني أعشاشها بسبب الاحتباس في هذه المواد. إن سقوط الشيوعية وانفتاح مساحات شاسعة من الأرض في السهول الآسيوية قد تسبب أيضاً في مشكلات خطيرة لتجمعات صقور الباز في هذه المناطق في صورة عصابات منظمة لتهريب الصقور واتجهت اهتمامات الشعوب المحلية لجمع الأموال من سوق رياضة الصقور العربية. لقد حدث تجزؤ وانخفاض هائل في نطاق هذا النوع، حيث تبين أنه من أوروبا إلى الصين قد انقسمت أنواع صقر الباز إلى نوعين وكلاهما يصبح أقل عدداً سنة بعد أخرى.

لقد أدى الإدراك المتنامي لحجم هذه المشكلة إلى إنشاء قواعد بيانات لهوية الصقور لتتبع تحركات الصقور في أرجاء دول الخليج وتتحرك العديد من الحكومات هناك باتجاه اتفاقيات رسمية للجمع المستدام بيولوجياً للصقور البرية. إن مؤسسات مثل هيئة الأبحاث البيئية وتنمية الحياة البرية في الإمارات واللجنة الوطنية لأبحاث وحماية وتنمية الحياة البرية في السعودية كانت أداة فعالة في تشكيل هذه السياسات. تعمل هذه المؤسسات على حل مشكلات أخرى مصاحبة لرياضة الصقور العربية مثل أساليب اصطياد الصقور التقليدية في باكستان التي تحدث عبئاً ثقيلاً على صقور القوارب التي تستخدم كطيور اصطناعية لاستدراج وصيد صقور الشاهين والباز وتعمل هذه المؤسسات أيضاً على النظام البيئي لتجمعات الطيور والمحافظة على أكثر فريسة تقليدية لرياضة



ذيل صقر نوع SAKR .

الصقور العربية وهي طائر الحباري الذي يتعرض لضغط مكثف من رياضة الصقور.

وبالرغم من عدم قانونية قتل الصقور حالياً في كثير من أنحاء العالم. إلا أنها لاتزال تتعرض لإطلاق النار والصيد والتسمم. في بريطانيا، شوهدت انخفاضات حديثة في صقور الشاهين في كل من اسكتلندا وايرلندا الشمالية وشمال ويلز بسبب الجور المباشر. إن بعض حراس طيور الصيد الذين يشاهدون مخزونهم من القطاء يتضاءل يرون الصقور تمثل تحدياً مباشراً لرزقهم. إن بعض أصحاب حمام السباق الذين يعيشون بالقرب من أوكار الصقور لديهم بأس من السطو على أسراب الحمام، وبالنسبة لهم تعتبر الصقور قاتلاً شريراً وكلاهما يصعب عليه فهم الوضع الثقافي للصقور وفوق كل ذلك تقتل الثعالب القطاء والحمام ويمكن مكافحتها قانونياً. حتى جمعيات حماية الطيور تدمرها في محمياتها الطبيعية. ما الذي يجعل الصقر مختلفاً عن الذئب أو الثعلب؟ هذا السؤال يصعب شرحه للمختصين بحماية الطبيعية الذين تبدو فكرتهم عن الصقور كرمز للحياة البرية صحيحة بشكل مؤكد جلية في حد ذاتها. وبالتالي فإن المتحدثين عن حماية الطبيعة يصفون من يدعون لمكافحة الصقور بأنهم مضللين أو شريرين - ويصبح الحوار بين كلا الطرفين مستحيلاً تقريباً. من المؤكد أن الأمر غير مفرح وأن الأسئلة التي يطرحها عن المعركة حول معاني الطبيعة هي أسئلة مقلقة لصناع السياسات ومحبي الطيور والصقور على حد سواء.

5- الصقور العسكرية

قارن وقابل الأسباب الكامنة وراء قيام النسر بالدفاع بشكل هجومي عن منطقته بالأسباب الكامنة وراء دفاع الدول عن حدودها الوطنية. صقر الشاهين المدرب يقف منتبهاً على رادار الإنذار السلبي آري ٨٢٢٨ بطائرة بلاكبرن بوكانير وبوضعيته على قاذفة القنابل النووية البريطانية المنخفضة يبدو الصقر متأهباً للطيران، وبرأسه التي يحيط بها منحنى غطاء كابينة القيادة المفتوح وعينيه اللتين تمسحان الأفق البعيد بحثاً عن الأهداف المحتملة، تعكس هيئة طائر الطائرة بشكل لا يقاوم، ويمثل بديلاً رمزياً للطيار الغائب حتى إن علامة الوجه توحي بخوذة الطيران. ماذا يحدث هنا؟ هل هذا مجرد أحد المعالم الحديثة للترابط بين الصقور والمعدات الحربية التي تنتقل عبر القرون والثقافات وهل هذه اللقطة تحرر نفسها من التاريخ؟

قد يكون الأمر كذلك. تبنى عالم الطيور الروسي ج.ب ويمنتيف مثلاً شرقياً قديماً يقول: «إن رياضة الصقور هي شقيقة الحرب» ويعتقد أن المحاربين الأتراك في القرن الثامن أصبحوا صقوراً بعد موتهم في القتال، وقد أخفى جنكيز خان جيوشه كأطراف صيد حملت الصقور الصينية في القرن الخامس رسائل عسكرية ربطت بأذيالها وقد تدرب العسكريون وكذلك الطيور على رياضة الصقور، حيث تضمنت كتب الدليل السومارية في القرن السادس عشر فصلاً عن رياضة الصقور وكانت رياضة الصقور إحدى مكونات تعليم الفارس الأوروبي في القرون الوسطى. ونظراً للاعتقاد بأنها تعزز خصائص الفرسان وتنمي المهارات التكتيكية للمعركة، فلا تزال هناك بعض الفضائل التي لها جاذبية حتى يومنا هذا، يوحي البازدار والمؤلف نيك فوكس أن خصائص التفكير الإستراتيجي التي يطورها الفرد بصفته بازدار تعطى الفرد أحدث الأساليب.



الفارس في صورة صقر، صورة من مخطوط من أوائل القرن الرابع عشر.

المدافعون عن الجو: أنثى قطامي وطائرة بلا كبرن بوكانير.



تستمر القائمة: قام الملكيون الإنجليز في القرن السابع عشر بمحاربة قوات البرلمانيين بمدافع فالكون (الصقر) بزنة ٢ رطل. وبعد مرور ثلاثة قرون، أطلقت القوات الجوية الأمريكية اسم فالكون AIN-٢٦ (الصقر) على الصاروخ الموجه جو - جو القادر على حمل رؤس نووية، وقد وصف كتاب أمريكي سنة ١٩٤٦ بيض طائر الشاهين بأنه «قنابل نووية» - وهي استعارة ساخرة لأن هذا البيض قد تلوث، بلاشك، بمبيدات الآفات التي تعد غير ظاهرة، ومميتة مثل مخلفات الإنفجار النووي.

ولكن هذا الصقر ليس تميمة حظ، إنه طائر حي يكرر دور الطائرة إنه طائر مسلح حرفياً. إن أحد الإجزاء التي لا تتجزأ من أنظمة الدفاع الجوي البريطاني المتمثلة في الدفاع عن الطائرة عن طريق استهداف وسائل تدميرها المحتملة هو اليمام، ومنذ بناء الولايات المتحدة لقاعدة جوية في وسط مستعمرة على جزيرة ميدواي في الأربعينات، أصبح علم دراسة الطيور فرعاً من العلوم العسكرية،



الطيور المفترسة والطيارات مبينة مع الجنسية على غلاف هذا التقرير. صقر الحر مع طائرة اف-١٦ يشتركان في المجال الجوي الأردني.

طائر واحد انغمس في مدخل نفاث أو اقتحم كابينة قيادة يمكن أن يدمر طائرة مثل قدرة صاروخ جو - جو وعلى جزيرة ميداوي، اعتمدت البحرية الأمريكية على إدارة الموطن الأصلي الجذري كأحد الحلول، حيث رصفوا معظم الجزيرة لأن الطيور لا تعشش على الخرسانة.

ولكن المشكلة لا تقتصر على مسرح المحيط الهادي، إن عشب المجال الجوي في كل مكان يجذب أسراب الطيور مثل اليمام والعصافير، وقذفها بالرصاص أو إخفاتها بالمركبات لا يخلي مدرج الطائرة والفضاء الجوي المرتبط به خلال ثواني، ولكن الصقور قادرة على ذلك. دخول سلاح الفرسان. الصقر موجود في سلاح البحرية منذ السبيعينيات وهناك مقر لوحدة تدريب الصقور البحرية في القاعدة البحرية الجوية الملكية في لوسيماوث في اسكتلندا.

وقد قام مدرب الصقور فيليب جلاسير بتأسيس هذه الوحدة، وقد اكتسب الفريق مكانته بعرض «بالذخيرة الحية» لمجموعة من الضباط والصحفيين والمصورين. وكان الشك يساور ضباط البحرية عند تجمعهم عند خط الطيران. لقد كانوا غير مقتنعين بأن الصقور تستطيع إخلاء مدارج الطيران بأمان، ولم يتخيلوا أن وجود مجموعة من مدربي الصقور يجعلهم مرتاحين في المجال الجوي. ولكن عرض جلاسير كان بدون أخطاء بالهجوم على سرب من اليمام الواقف على مدرج الطائرة، جعل الصقر اليمام يخلي الأفق خلال ثواني تماماً، ما عدا طائر واحد غير محظوظ سحبه الصقر من السماء.

وفي الوقت الحاضر، تعمل وحدات مماثلة لإخلاء المجال الجوي من الطيور على مستوى العالم. التي تحب وسائل الإعلامِ جمالها وسحرها، وبالنسبة لعامة الجمهور فإنها الوسيلة الأكثر أمناً وقبولاً لمكافحة الطيور ويفضلونها على البنادق. ويحبها العسكريون أيضاً، حيث أن وحدات تدريب الصقور تعمل على تطبيق فكرة القوة الجوية العسكرية وفيما يلي عرض للجدل الخفي. إذا استطاع العسكريون إثبات أن سلوك الصقر الطبيعي يكون مكافئاً حيوياً للمعدات الحربية الجوية التكتيكية، فمن يحتمل أن يرى المعدات الحربية الجوية خاطئة؟ إنها طبيعية فهذه نقلة ماهرة، ونحن نقبلها على نطاق واسع، وإذا لم نقبلها فإن صقر الشاهين الواقف على طائرة بوكانير يمكن أن يبدو غريباً في هذا المكان. إن التطبيع يؤدي دوره جزئياً لأن الحرب

والطبيعة من الناحية التقليدية يفترض أن لهما عالمهما المنفصل تماماً. وقد كتب كارل فون كلاوزويتز: إن «الحرب هي شكل من التفاعل البشري» ولكن التاريخ الغريب للصقور العسكرية يبين بشكل افتراضي وهائل أن الافتراض التقليدي بأن الحرب والطبيعة عبارة عن عالمين منفصلين تماماً يعد مجرد أكذوبة.

يجب الأخذ بعين الاعتبار السياسة الخارجية الأمريكية للمحميات الطبيعية عند قراءة كلمات مقاول إخلاء الطيور في قاعدة محمية مارش الجوية في كاليفورنيا: «حيثما تطير الصقور، تصبح تلك المنطقة منطقتهم» وقد ورد هذا الشرح في مجلة ضباط الجو المواطنين سنة ١٩٦٦ وواصل قائلاً «في مملكة الطيور تؤخذ مسألة الحدود بجدية بالغة إنها مسألة حياة أو موت».

إنه أمر مثير للمشكلات لأن هذه الصقور لا تتصرف حسب المناطق بالطبع. إنها لا تحمي منطقتها من المتطفلين، بل إنها تصطاد، وماذا بعد؟ هذا الالتباس يشير إلى شيء ما بشأن طبيعة العلم لأن مفهوم منطقة نفوذ الطيور نفسها لها تاريخ عسكري، حيث كان أول وصف لها من قبل عالم الطيور البريطاني «إيليوت هاوارد» بعد أن أثبتت الحرب العالمية الأولى الواقع الدموي لتقسيم المناطق الدولية بشكل واسع النطاق. وفي إطار التطبيق الأقل ثباتاً للمعدات الحربية الجوية التكتيكية في أواخر التسعينيات، شرح صاحب مشروع إخلاء الطيور في قاعدة محمية مارش الجوية أنه «مثلما تفرض الولايات المتحدة منطقة حظر جوي فوق العراق وتنشر قصص المقاتلين لإثبات السيادة على المجال الجوي، تقوم صقورنا بنفس الشيء».

ولكن كيف يكون هذا الأمر نفس الشيء؟ هل الصقر نفاثة مقاتلة؟ وكلاهما يعتبر أنه يدفع إلى خارج مغلف الإمكانية المادية وعادة ما يعتبر كلاهما كائنات متطورة بشكل مثالي بذلك الشكل والوظيفة المتشابكة بحيث لا يوجد مجال للزيادة عن الحاجة، لقد كان الصقر لفترة طويلة الشكل المجسد لأحلام الطيران في المستقبل. وبالعودة إلى العشرينيات، يتذكر مدرب الصقور في بنسلفانيا مورجان إعجابه بيرثونغ مهندس طيران

الذي أبدى إعجابه بصقر قطامي مدرب، حيث سحب جناحيه للخلف على شكل دلتا حادة عندما تحرك بانسيابية في رياح شديدة وقال متعجباً: «انظر هذا الظل عندما نطور محرك قوي بشكل كاف، سوف يكون ذلك شكل طائرة». ونعم تمت تسمية الطائرة إف ١٦ «الصقر المقاتل» على اسم هذا الطائر، وهناك روايات تقول: إن مهندسي الملاحة الجوية وضعوا الصقور بسرعاتها في أنفاق رياح أثناء تصميم الطائرة، هذه الحكايات قد تكون غير صادقة ولكن استمرارها يفصح عن دافع لإظهار الطائرة أكثر من مجرد كائن مادي تم تطوير شكله ووظيفته مثل مثاله الطبيعي وهو الصقر.

إذا بدا شكلها صحيحاً سوف تطير بشكل صحيح «تستخدم مؤسسة» إنتلجنت ديزاين ومقرها تكساس مثال الطائرة - الصقر (صقر الشاهين) لدعم النظرية القائلة بأن الأسباب الذكية مسؤولة عن أصل الحياة والكون.

حشد الصقور:

ولكن صقور القرن العشرين تم تكليفها بأدوار عسكرية بعيدة عن إخلاء المجال الجوي أو الرمزية العسكرية. لقد حشدت الحرب العالمية الثانية الصقور أيضاً وقد طارت لكلا الجانبين. حملت طائرات التحالف صندوقاً به حمام منزلي تقوم بإطلاقه إذا أطلق عليها النار خلف خطوط العدو. ومع ذلك فقد كانت هناك مشكلة؛ كانت صقور الشاهين البرية الإنجليزية تصطاد الحمام وتأكله بعد عبورها القناة. وبعد توجيه إشعار لها، أمرت وزارة الطيران بالقضاء على هذه الصقور المنتشرة على الساحل الجنوبي. وما بين سنة ١٩٤٠ و١٩٤٦، تم قتل حوالي ٦٠٠ صقر وتدمير الكثير من البيض، وقتل الصغار، ومع ذلك وفي نفس الوقت ارتفعت أعداد صقور الشاهين. قال مدرب الصقور رونالد سيفنز إنه يمكن استخدام الصقور في الحرب بطريقة ما. لقد سمع أنه في عام ١٨٧٠ تم استخدام الصقور الألمانية المدربة لتقطع الطريق على البريد الفرنسي المرسل بالحمام في حصار باريس. وبدأ ستيفنز العمل بسرعة وقام بالتعاون مع صديق ببناء نطاق مصغر. وقد شرح ذلك

قائلاً: «لقد وضعنا حلقة من مدربي الصقور حول مدينة محاصرة، وغطينا المنحنى الخارجي ووضعنا «شبكة» من مدربي الصقور خلف خطوط العدو، وفي الواقع قمنا بنشر مدربي الصقور بكل طريقة فكرنا فيها». وقد أرسل صور النماذج مع تحليلات لوجستية مكثفة إلى وزارة الطيران.

لابد أن ستيفنز كان مقنع للغاية حيث تم تعيين سرب من الصقور السرية وتدريبها وزحفت إلى السماء فوق جزر سيلان بالقرب من كيهافن وعلى الساحل الشرقي بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٣ تم نشر وحدة حيوية ملحقة بالسلسلة السرية من محطات الرادار التي تمتد على الشريط الساحلي، وكانت مهمتها قطع الطريق على «حمام العدو» الذي يطلق من المراكب الألمانية وما شابه.

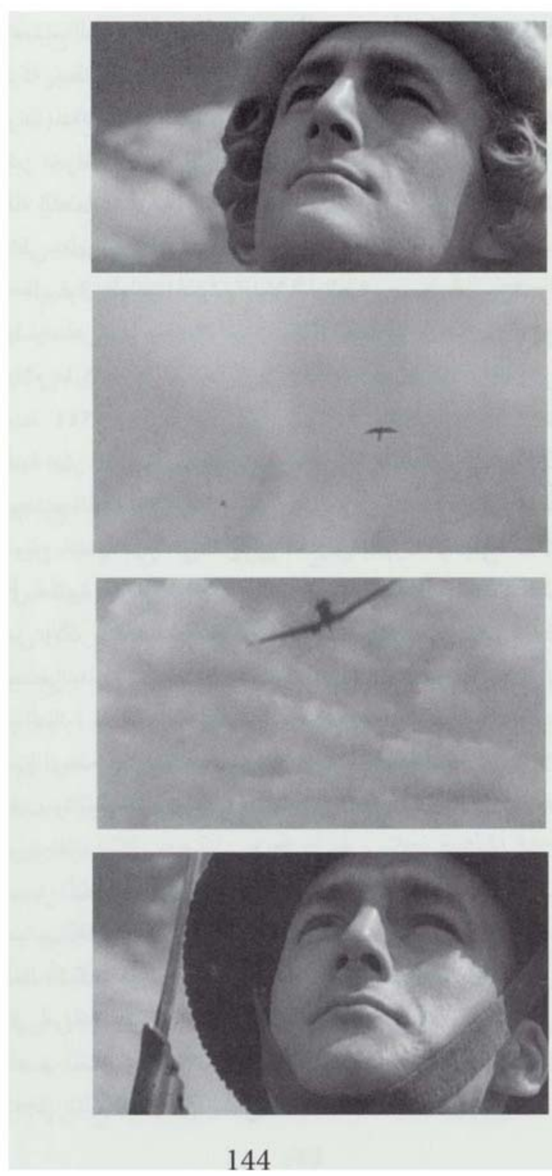
وقد نشر خبر حصري عن المشروع السري فيما بعد في الصحافة الأمريكية. «وتمت السيطرة على العمليات التي تقوم بها طيور صديقة مثل الطائرات تماماً، لذا عرفوا أين مكان كل طائر طوال الوقت، وقد شرح بحماس»: تم تعليم الصقور كيف تطير على ارتفاعات كبيرة والطيران في دوائر مثل طائرة في مهمة دورية. وقد كان الشريط المتساقط من الريش يعني أن طائراً نازياً آخر قد مات. وما لم يتم الكشف عنه هو أن النتائج العملية للعملية كانت صفر تقريباً بينما تم قتل الكثير من الحمام، وتم أسر واحد أو اثنين أحياء من بينها اثنان فقط حملتا رسائل. لقد واصلت صقور الشاهين الطيران، وتوجه ضابط من المخابرات وقوات الإشارة الملكية والقوات الجوية إلى الوحدة لمشاهدة رحلات طيران العرض المذهلة، وكانوا معجبين بأداء العقاب فقد كانت الصقور سريعة وقادرة على المناورة واصطياد فريستها، كما كانت منزوعة السلاح، وأرسلت بنظافة مما أدى لتطبيق فكرة المعركة الشريفة. وفي عام ١٩٤٨ تذكر فرانك ايلنج وورث جلسة لمشاهدة الصقور من أعلى جرف. وقد قال: «المعارك يمكن إظهارها على أكمل وجه عن طريق صقرين بريين في وضع لعب».

وقد واصل قائلاً: «ان المقدار الكبير من الحركة بالأجنحة التي شاهدناها

في ذلك الصباح السابق على الحرب نافس أي شيء رأيته في نفس السماء، خلال معركة بريطانيا ضربات قليلة حادة بالأجنحة وصرخات متناثرة قليلة توحي بنيران المدافع ونزل السرب مثل قاذفة قنابل سوداء... كان هنا آلتي قتال ممتازتين تخوضان معركة صورية لبهجة الحركة».

في هذه القطعة، منذ فجر تاريخ الطيران، نُظر إلى الطيار المقاتل على أنه استقراطي يظهر مهارته وشجاعته في معركة منفردة مع خصم يستحق في مكان عالٍ فوق الواقع المشوش للمشاة والطيارين. وتم تصوير المعركة الجوية بأنها ارتداد لعصر الفرسان حيث يكون الطيارين هم «فرسان الجو». هذه الأحلام مذكورة بشكل جميل في افتتاح فيلم مايكل باول وايمرك بتسبرج سنة ١٩٤٤ «حكاية كانتبري». رأى بول بالفيلم أنه حرب ضد المادية وأغنية نصر للاستمرارية التاريخية الإنجليزية والطبيعية الأبدية للقيم الروحية، ويفتتح الفيلم بتلاوة من «سموبز نايت» عن مدرب الصقور فيليب جلاسير. ومن خلال تتبع خريطة طريق الحج في القرون الوسطى، تتحول الشاشة إلى مشهد لحجاجٍ تشاوسر. ونعود للوجه المقلوب لمدرب الصقور الذي يعمل الآن جندياً يشاهد الطائرة من فوقه وبدلاً من طابور حجاج القرون الوسطى يعبر سرب عسكري وسط المدينة إلى كانتبري. إن الترابط بين الصقر كطائرة عسكرية مع الصقر كرمز للماضي الأسطوري الإنجليزي قد مكن من الربط القوي لفكرة تراث الأمة مع دفاعها الحديث من خلال المعارك الجوية والهوية الوطنية الجوهرية المستمرة التي يمكن استردادها من خلال صورة طائر.

بالرغم من أن فيلم حكاية كانتبري حاول أن يظهر للأمريكيين وقت الحرب أسباب دفاعهم عن بريطانيا، كان التسليح بالصقور في الولايات المتحدة يأخذ أشكالاً غريبة «طيور الحرب الحقيقية للعم سام» مثل العناوين الرئيسية في أمريكان ويكلي سنة ١٩٤١. «إذ جاء الزمن الذي نحتاج له فيه، فإن الصقر المقاتل والنسر الذي يحلق عالياً ربما يحتلان الجو، ولإخراج الحمام الزاجل التابع للعدو من العمل».



بالرغم من أن مصانع الطيران الوطنية مشغولة بتحويل قاذفات القنابل والمقاتلات لأسطول الطيران المتنامي في أمريكا، فإن ضباط سلاح الإشارة في الجيش يفكرون بجدية في إدخال نوع آخر من طيور الحرب إلى الخدمة. وبما أنها معرفة للعقلية العسكرية بأنها «القاذفات الأصلية»، سوف يتم تدريب مائتين أو ثلاثمائة صقر في فورت مونماوث تحت إشراف الملازم توماس ماكلور من مركز تدريب الحمام.

وبالإشتراك مع مساعديه برايفتس لويس هايل وايرون سالتز، كان هدف ماكلور «تعزيز التسلح الطبيعي للصقر بسكاكين ذات شفرة حادة ملحقة بالمخالب والأجنحة والجسم». لا تستخدم الطيور المدربة لقتل الحمام الذي ينقل رسائل العدو وأخذ الرسل المميتة ورسائلها إلى مقر القيادة فقط، ولكن أيضاً يعتقد الجيش أنه يمكن تدريب الصقور للغوص في منطاد العدو وتمزيقه أو قطع الحبال، وقد شرح في جريدة «ذا نيويوركر» أنه بالرغم من عدم السماع عن استعادة الفريسة إلى مدرب الصقور في رياضة الصقور التقليدية، إلا أن ذلك يقف عائقاً في طريق الكفاءة «الحرب تختلف عن رياضة الصقور» وقد أرسل مالكور كتباً يطلب فيها تبرعات للصقور وعقد مباحثات دعاية. وفي تايم سكواير، فإن مكالمته المثيرة لم تعجب أحد مراقبي مدرب الصقور جورج جودوين حيث كان يعمل اختصاصي علم ثديات في متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي.

وقد صرح قائلاً «إذا كان ماكلور عينة من الجيش، فإننا نشكر الرب لأن لدينا قوات» وقد كتب في رسالة لصديق له:

هل تعلم أن الجيش قد طور طريقة لتعليم الصقور لكي تميز بين الحمام التابع له وحمام العدو؟ حسناً لقد قام بذلك ولكن هذا سر عسكري لا يمكن إفشاؤه... إنه يثير جنوني عند التفكير فيه. أنا سعيد لحصولي على معلومات أصلية عن دورية بيلتر للحمام ولكن أتمنى لو لم أر العرض الذي قدموه. أنني خائف

من الذهاب للنوم الآن الخوف من أنني سأستيقظ وأنا أحلم به».

وقد قام مدرّبو صقور أمريكيين آخرين بالتوجه لاتخاذ إجراء «يجب عمل شيء» وهذا ما كتبه استاذ التشريح روبرت ستابلر إلى رئيس هيئة الأسماك والحياة البرية. «هل تستطيع أن تعطي هذا الرجل ومجموعته شيء من التحقيق؟ ألا يوجد حد لما قد يقوم به الإنسان تحت إدعاء الدفاع عن أمريكا؟ وقد قام مدرب الصقور والمطير بالجيش العقيد لوف ميردث باتخاذ خطوات فورية في إدارة الحرب لضمان أن برنامج ماكلور لا يخرج عن الأسس التي يستند إليها.

قام ميرديث بتوظيف الصقور في العسكرية بأسلوب أكثر استقراراً عن ماكلور لم يكن حدث تايمز سكواير مطلوباً. لقد كان صديقاً للجنرال هارمون الذي كان سيترأس أكاديمية القوات الجوية التي تأسست حديثاً في كلورادو سبرنجس. وبعد مرور سنوات قليلة من نهاية الحرب العالمية الثانية، تذكر روبرت ستابلر أنه هو وميرديث أمسكا بزوج صقور قطامي وربطاهما في سيارة ميرديث وقادها إلى قاعدة لوري الجوية وكان ميرديث مقتنعاً أن القوات الجوية بحاجة للصقر كتميمة حظ له. لقد دعانا هارمون للغذاء وكانت الصقور تجلس على مؤخرة الكرسي والسيد / هارمون كانت هناك - ووضعنا الجريدة على الأرض.

وقد أرسلهم هارمون لعرض الطيور على الجنرال ستيل ويل والعقيد هيبرج وقد التقطوا الطيور وأصبحوا مهتمين بالصقور، ويتذكر ستابلر قول ستيل ويل:

«حسناً سوف نقدم هذا الطائر بالتأكيد كأحد الأشياء.. أعتقد أنهم كانوا يفكرون بنمر ونسر من نوع معين وهكذا، ولذا سوف نقدم صقراً إلى أجنحة الكاديت ونتركهم يصوتون على ما يريدون. وقد قاموا بذلك وصوتوا لصالح الصقر ليكون رمزاً للقوات الجوية.

25 U.K. Battle-Trained Falcons Will Stop Jap Fighting Pigeons



FIERCE FALCONS WILL PATROL JAP SKIES

Minsterly, Shropshire, June 5—(BUP) — A flock of 25 peregrine falcons will be sent to the Far East soon to join the war against the Japanese.

tioned on England's east coast, th falcons were sent aloft when ob servers reported enemy carri pigeons approaching.

The falcons would soar to a gre height, await the enemy pigeo

الصحافة نشرت بابتهاج خطة الملازم توماس مالكلور لاستخدام الصقور كطيور حرب حقيقية لبلاد العم سام وفي هذه الصورة يشير ماكلور إلى السماء بيده اليمنى وربما رأى حمامة تابعة للعدو؟

وفي يوم التصويت اختتم الضابط الذي يحشد الأصوات للصقر كلمته قائلاً: الصقر له سرعة في مستوى الطيران تبلغ ١٦٥ ميل في الساعة تقريباً وسرعة الهبوط لديه هي معلومات سرية وبتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٥٥ وصلت الرموز الأولى في حينها إلى الأكاديمية.

تمسك هذه الصقور في وضعية مرتفعة لمصور القوات الجوية وملفوفة لمنع الإصابة وهي تبدو مبتهجة مثل حامليها ذوي الزي الموحد. ومنذ عام ١٩٥٦



فرقة الأخوة: ثلاث صقور تابعة للقوات الجوية الأمريكية ملفوفة ومربوطة لمنع الإصابة أثناء الانتقال إلى منازلها الجديدة بعد أن ذاقت الشهرة لأول مرة.

طارت الصقور في مباريات كرة القدم بالأكاديمية في عروض بين الشوطين لإظهار سيادة القوة الجوية. يشرح موقع القوات الجوية كيف أن الصقور تميز الدور القتالي للقوات الجوية الأمريكية: إنها سريعة وتناور بسهولة ومتعة ظاهرة وتتميز بالشجاعة وعدم الخوف والعدوانية فهي تدافع بضراوة عن أعشاشها وصغارها ضد المتطفلين. الصقور معروفة بأنها تهاجم الفريسة وتقتلها وإضافة إلى بصرها الحاد فهي تتميز بالانتباه والأعراف النبيلة.

هانجري والسيد/ جاليليو

بمنطق يتعذر تجنبه تقريباً تمكنت صقور القوات الجوية الأمريكية من الوصول للقمر. ففي يوليو ١٩٧١ واقفاً بجوار المركبة ابوللو ١٥ أمسك القائد ديفيد سكوت ريشة من صقر تابع للقوات الجوية الأمريكية يسمى «هانجري» في يد مكسوة بقفاز، ومطرقة جيولوجية في اليد الأخرى وهذا الحدث غير



خلف الكواليس، ينظر العاملين بأكاديمية القوات الجوية إلى صندوق يحتوي على صقر جديد.



من الشمال لليمين: رئيس الأركان لأكاديمية القوات الجوية الأمريكية العقيد ر.ر جيدون ومراقب الأكاديمية العميد اتش. آر هارمون «يمسك ماتش» وهارولد وبستر مدرب صقور.

مسجل بكاميرا لقطات ثابتة إذ يوجد هذا الحدث في فيلم فيديو وهو فيلم غريب يخلط بين العلم والتسلية الشعبية. يتقطع صوت سكوت بحماس من خلال الضوضاء البيضاء في عملية الإرسال:

> «أحد الأسباب لوصولنا اليوم هنا رجل نبيل اسمه جاليليو الذي قدم اكتشافاً هاماً عن سقوط الأجسام في حقول الجاذبية. الريشة هي ريشة صقر وسوف أقوم بإسقاط الاثنين معاً واتمنى أن يرتطما بالأرض في نفس الوقت».

لقد سقطا الواحد تلو الآخر على سطح القمر. توقف هذا يثبت أن السيد/ جاليليو كان على صواب في نتائجه الرمزية العجيبة. بدلاً من مطرقة ومنجل، هنا مطرقة وريشة صقر أمريكي تغمرها أشعة الشمس من خلال ضباب الغبار الشمسي. لقد تم الإعلان عن تجربة سكوت الهامة وإذاعتها كذروة للانتصار العلمي في غزو الفضاء - تدعيّ أمريكا بالحق في إثبات قوانين الطبيعة وتدريب نسر يمكن أن يثبت وطنية الفرد أيضاً. «في التحليل النهائي» يشرح مدرب الصقور كاديت بيترسون أن صقور أكاديمية القوات الجوية الأمريكية «لا يجب عليها أن تثير إعجابنا بل يجب علينا أن نثبت لهم أننا نستحق ثقتهم».

تحفل قصص الصقور في القرن الحادي والعشرين برموز وطنية تناسب ما يضمه بين جنباته من أعمال الجاسوسية وفي بعض الأحيان تكون حرفية تماماً: لغز النسر المغطى وألعاب هاسبرو، هجوم الصقور ٢٠٠٠ وهو رجل متحرك يأتي بكسوة جلد حول الذراع وصقر استطلاع تستطيع إطلاقه في الغرفة. وفي بعض الأحيان يكون الأمر حقيقي وبالعودة إلى سنة ١٩٤٠ كان العنوان الرئيسي في جريدة نيويورك تايمز: تلميحات لهدف جورينج في زيارة جرين لا ند: طيار سابق يشكك في العَرض من رياضة الصقور وتحته النقيب بيرديث ألمانيا الآن أخذت الدنمارك وهنا أهمية كبيرة يمكن أن تعزى إلى رحلة الصقور التي أرسلت من قبل المشير هيرمان جورينج إلى جرين لاند سنة ١٩٣٨.

تمتد على سطح القمر، ريشة مقوسة من صقر ومطرقة جيولوجية وهما رد أمريكي خالص على المطرقة والمنجل السوفييتي.



وقد علق قائلاً: إن الفيلد مارشال جورينج مثلي مدرب صقور ناضج، ولكن في الوقت الذي كانت تمر فيه ألمانيا بهذه التغيرات الإقتصادية والسياسية فإن الفرد يتعجب لماذا يتحمل كل هذا العناء وهذه النفقات من أجل الحصول على ٦ صقور جيرفالكون وقد قضى ٥ أفراد من البعثة حوالي ٦ شهور في جرين لاند تمكنوا خلالها من جمع ملاحظات دقيقة.

كان هناك تماثل غريب بين كلٍ من جورنج وإير مارشال تشارلز بورتال القائد المسؤول عن «لوفتواف» في أن كلاً منهما مدرب صقور شغوف.

وكذلك كان الحال بالنسبة لمعظم الجواسيس الأمريكان الغير معروفين في فترة السبعينيات مثل كريستوفر بويس والذي عمل جاسوساً في قاعدة تصنيع الأقمار الصناعية في الولايات المتحدة TRW، وقد شملت أنشطته تطيير الصقور في تلال كاليفورنيا وكان يقوم بتقديم الوثائق عالية السرية وبيع أسراراً حول الأقمار الصناعية الأمريكية إلى الاتحاد السوفييتي تحت اسم nom de plume «أي الصقر». وقد قام بدور بويس الممثل تيموثي هوتون في فيلم جون ستشليسنجر عام ١٩٨٥ تحت عنوان «الصقر ورجل الجليد» والذي اعتمد فيه بشكل كبير على رمزية الصقر المعروفة مركزاً الكاميرا على عيون صقر الشاهين الداكنة كما لو كان عميل فيدرالي أوشك أن يقبض على بويس ورغبة كبيرة في الحرية وتسيد السماء.

الصقور 2020

من المؤكد أن أحدهم قد يتساءل ماذا عن النسور؟ ألم تكن النسور هي ما يحمله القائد الروماني إلى معاركه؟ ألا يوجد نسر على ختم الولايات المتحدة على أعلام ألمانيا والنمسا والمجر. ليس هناك خلاف على ذلك ولكن النسر قد يوجد علي أعلام الدول ولكنه لم يكن رمزاً للحروب الحديثة. فالنسر أكبر حجماً وأشد قوة. إنهم يشيرون إلى أسلوب الحروب القديمة بجيوشها الضخمة، وتحركات المشاة في جموع كبيرة. فالنسر هو رمز للقوة الكبيرة البالغة. أما الصقور فهي أقل حجماً وأكثر سرعة وقدرة على المناورة والتحرك. لذا كانت الصقور وليست النسور هي رمز الحروب الحديثة، وذلك نظراً لارتباط الصقر بالرؤية الثاقبة والمراقبة وسرعة الانتشار وقوة الانقضاض. إنهم يحولون ما يطلق عليه بول فيرليو «الأسلحة الخالصة» إلى رموز طبيعية وهي أسلحة تكمن قوتها التدميرية الكبيرة ليس في قوتها الخارقة ولكن في سرعتها الفائقة ودقتها العالية. وكذلك في مراقبتها لتحركات العدو فتحدد مكمن الضربة التي توجه ووقتها.

في وثائق بلو - سكاي مثل «رؤية مشتركة ٢٠٢٠» نكتشف أن العسكرية

الأمريكية تحلم بالمعارك التي تقع في المستقبل وهي معارك تدور في عالم رقمي حيث هناك تكامل بين الوحدات البيولوجية - الجنود والطيارين وغيرهم مع وسائل التكنولوجيا المتقدمة. إن التفوق العسكري يقوم على معرفه أماكن الأهداف مقترناً بالقدرة على التدخل في أقرب وقت ممكن. واستغراقاً في المصطلحات المعقدة ونظرية السيادة الجوية فهذا الحلم قد شابه ما حدث في العراق مؤخراً. إن كسب معركة أمر يختلف عن تحقيق نصر استراتيجي. وبناء على المعرفة والسرعة فإن C٤ISR وهي اختصار للقيادة والمراقبة والاتصالات والكمبيوتر والمخابرات والاستطلاع هو المصطلح المفضل لهذا التشبيه المجازي. إن سبب الخوف من هذا الحلم النهم بالحرب الرقمية هو أنه حلم يتجاوز الإنسان إلى الرغبة في استخدام الحيوانات أيضاً في هذه الحرب.

كان أول استخدام للحيوانات في شبكات الاستطلاع العسكرية في أمريكا عام ١٩٦٦. في مؤتمر الحياة البرية تحت رعاية وكالة الفضاء الأمريكية ناسا. لم يكن المتحدث في هذا المؤتمر فراك وجون كريهيد مجرد مصورين مراهقين متحمسين لمدربي الصقور. لقد كانا عالمين بيولوجيين في الحياة البرية وعاملين سابقين في المخابرات الميدانية كتبا دليل النجاة للبحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية.

ورأوا أنه يمكن استخدام الأقمار الصناعية في مراقبة تحركات الحياة البرية. يمكن للمرء دمج بيانات مراقبة الحياة البرية مع صور التضاريس أو صور التجسس من برنامج التجسس U٢ USAF/CIA.

بريسكوت وارد كان أحد أبطال استخدام الصقور الجوالة بعد ظهور الـDDT وهو مدرب صقور وخبير حرب بيولوجية وكيميائية عمل كعالم بيئة في اختبار الأسلحة الكيميائية للجيش الأمريكي في ماري لاند. وقد ساعد صندوق الصقور الجوالة في إطلاق ناجح لصغار صقور الجوالة من مختبر كيميائي قديم. ولكن كان لوارد خطط أكبر هي إجراء دراسة شاملة عن عادات الهجرة عند صقور

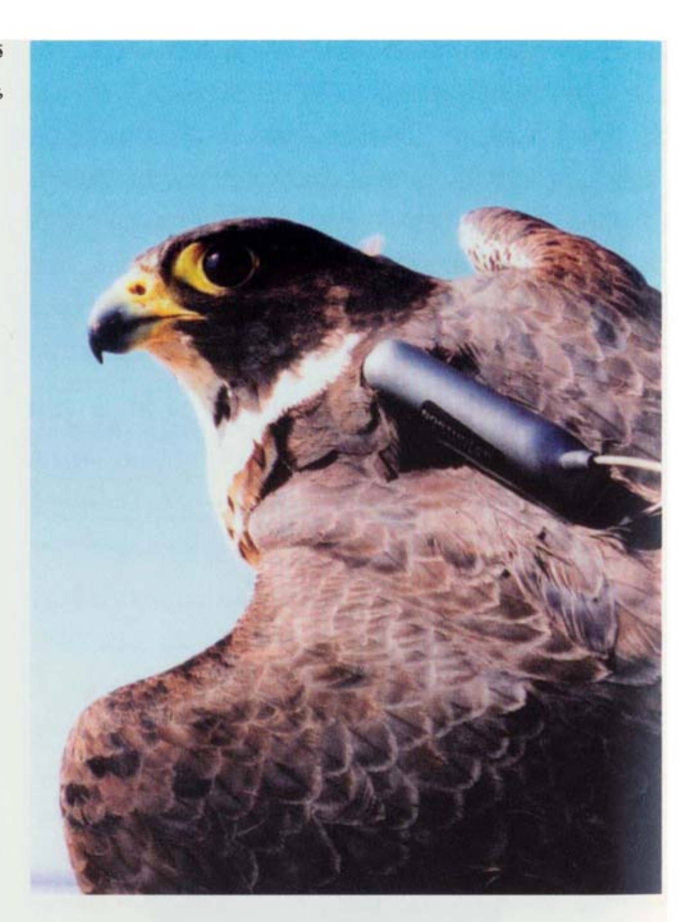
التندر، حيث تتجمع هذه الصقور الجميلة الشاحبة صغيرة الحجم على شواطئ الساحل الشرقي في طريقها نحو الجنوب في الخريف. وهذه الصقور مستأنسة بشكل كبير إلى الحد الذي يمكن معه أن تربت عليها ولسنوات طويلة كانت في مرمى شباك مدربي الصقور. وصيادون من أمثال ألفا ناي وجيم ريس يعرفون أماكن فقس هذه الصقور في أقصى الشمال، ويقضون الشتاء في الجنوب لكن لا أحد يعرف على وجه التحديد أين أو ما هي الطرق التي تسلكها. وما كان لغزاً محيراً في الثلاثينيات والأربعينيات تحول إلى مسألة هامة بعد ظهور الـ DDT. فلفترةٍ من الزمن ظل الـDDT محظوراً في الولايات المتحدة في الوقت الذي كان يجري استخدامه في الجنوب. لذا فقد ظلت هذه الصقور المهاجرة مهددة. وفي الدراسة التي جرت عام ١٩٧٢ وظهر أن هذه الصقور تتواجد في أقصى المناطق الشمالية. وتوجه بعض مدربي الصقور نحو الجنوب على أمل العثور على بعض الصقور التي تقضي الشتاء هناك. وبشكل عام كان المشروع رائعاً من الناحية السياسية والبيولوجية. وقد انطوى المشروع على اتفاقيات دولية ووقعت عليها المجموعات العاملة للولايات المتحدة/ والاتحاد السوفييتي حول الحياة البرية وانضم العاملون في البيت الأبيض إلى فريق البحث.

ولكن لم يقدم السياسيون العون المطلوب في التعامل مع الصقور التي تحمل أجهزة تعقب، لقد تطلب الأمر حظاً، ولم تكن مجموعات البيانات الخاصة بهجرة هذه الصقور متوافرةً بشكل جيد.

إن كل ما أراده الجميع هو التعرف على أسلوب هجرة هذه الصقور، لذا بعد تجربة أجهزة الإرسال اللاسلكية المركبة فوق الصقور التي كان يتم تعقبها من خلال الطائرات، ظهرت فكرة إلصاق الأقمار الصناعية على ظهر الصقور.

لذلك تم بالفعل تركيب جهاز إرسال للأقمار الصناعية وزنة ١ كيلو

قمر صناعي معلق على ظهر صقر قبل إطلاقه.



جرام في الثمانينيات، من أجل تعقب الدببة القطبية التي تعيش في مناطق الكاريبي، غير أن هذا الأمر لم يكن عملياً مع الطيور.

بعد ذلك نتج عن الأبحاث المشتركة التي تمت بين المؤسسات العسكرية والجامعية تصنيع أجهزة إرسال صغيرة الحجم تعرف باسم Satellite Platform Transmittr PTT وزنها في البداية حوالي ٢٠٠ جرام، وكان

بمقدور طيور بحجم البجع والإوز حملها. وأصبح وزن أجهزة الإرسال هذه حوالي ٢٠ جرام، يتم تركيب PTT على ظهر الطيور باستخدام أحزمة ناعمة مصممة خصيصاً، ثم بعد ذلك يتم إطلاق الطير، ويتم تحديد موقعه عن بعد من خلال جهاز دوبلر يستقبل التردد الصادر من جهاز PTT. وجهاز القياس الفرنسي Service - Argos المحمول في NOAA (الأقمار الصناعية الخاصة بالطقس) تلتقط إشارات وحسابات خاصة بموقع الطيور، ويتم توصيلها بمراكز معالجة البيانات في فرنسا وميري لاند. وتقدم وحدة المراقبة في قيادة القوات الجوية في كولورادو عناصر دوارة لكل قمر صناعي.

«نثق في الله»: — ونراقب ما عداه

يتولى شركاء وزارة الدفاع في برنامج الطيران مع شركاء من القطاع الخاص / الجامعات / الحكومة، ومركز أبحاث الحفاظ على الحياة البرية رعاية دراسة هجرة الصقور الجوالة في القرن الواحد والعشرين.



شعار CCRT يظهر أمريكا في صورة مركبة لحيوان ما قبل التاريخ هو يحملق.

وتعتبر وزارة الدفاع ثالث أكبر مالك في الولايات المتحدة ملتزمة بقانون حماية الحيوانات المهددة في مواطنها. ولا تعتبر أراضي نطاق الصواريخ بيئة مثالية لاختبارات علماء البيولوجيا الجوالين الذين يراقبون الحيوانات باستخدام الأقمار الصناعية أو أجهزة الراديو والتي لا تعتبر ذلك حلاً مثالياً. ولكن مراقبة الحيوانات بهذه الطريقة لها فوائد إيدلوجية للعسكرية الأمريكية. ففي أواخر الأربعينيات قدم ألدو - ليوبولد فكرة «الآلية البرية» في البيئة تصور النظم البيئية كمحركات معقدة من الإطارات والعجلات. لقد كان ذلك مفهوماً لطبيعة مزودة بوسائل عسكرية إذ يصف علماء البيولوجيا وأنظمة CCRT الصقور المحملة بأقمار صناعية بالمتذوقين الذين يسعون إلى اكتشاف المواقع الآمنة في طريقهم وسط الطرق المليئة بالمبيدات الحشرية والتهديدات الأخرى للبقاء. ويكون الصقر في هذه الحالة أشبه بمسبار بيولوجي أرسل لتقييم البيئة. والصقور الجوالة المحملة بأجهزة الأقمار الصناعية ليست مجرد وسائل مراقبة.

يتأمل البيولوجي في مركز الأبحاث CCRT توم ماشتل كيف أن أجهزة التعقب حولت الحيوان إلى شريك للباحث. يمكنك أن تعتبر الصقر الجوال أشبه ببيولوجي أرسل في مهمة للاستكشاف والتعرف على طيور أخرى.

إن وصف ماشتل للصقور الجوالة ليس بجديد، حيث أن هناك عالم بيولوجي مثل جريهيد يرى في عيون الصقور الجوالة محاكاة لصغار البيولوجيين المغامرين. ويذكر الكاتب العلمي روبرت لي هوتز في مجلة لوس أنجلوس تايمز أن الأنواع الجديدة من العلوم لا تهدد العلوم التقليدية. فليس كل العلماء البيولوجيين المحدثين يحملقون في أجهزة الكمبيوتر على أضواء ومصابيح الفلورسنت، ويستمعون إلى أزيز أجهزة التحكم في الطقس بدلاً من الاستماع إلى أغاني الطيور. وعلى الرغم من وسائل التعقب التكنولوجي الحديثة يكتب هوتز قائلاً: إنه لا يزال يتوجب على علماء البيولوجيا اصطياد الطيور باليد.

إن الهوية الاجتماعية لعالم البيولوجيا الميداني المغامر لا تهددها وسائل التعقب بالأقمار الصناعية، فلاتزال خصائص مثل قدرة التحكم والحنكة

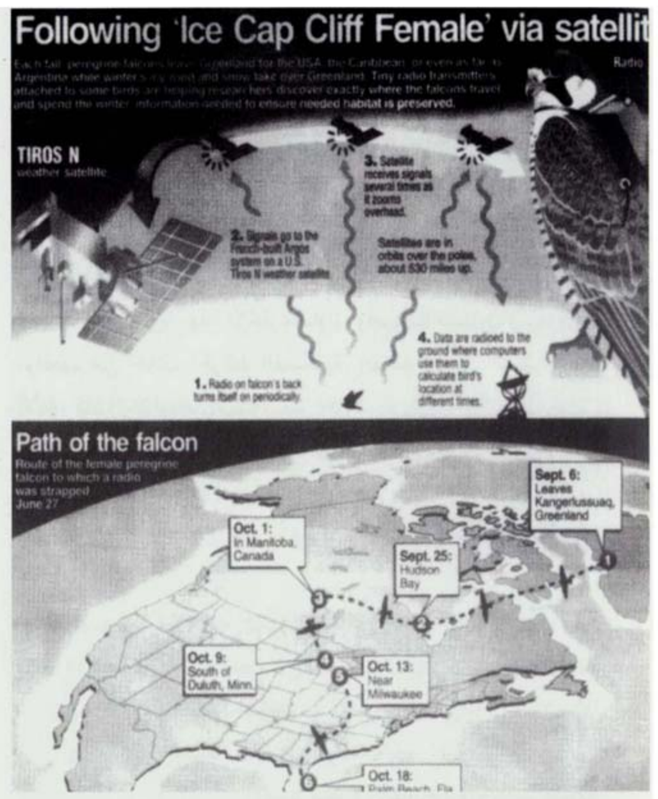
الميدانية والمهارات العملية مطلوبة. وهكذا فإن وسائل التكنولوجيا المتقدمة والرؤية العالمية ترتبط مع البطولة الفردية وروح المستكشف المغامر.

إن جهود مراكز حماية البيئة من خلال تمويل أجهزة تعقب الطيور لها مزايا كثيرة غير قابلة للتشكيك. فأثناء تعقب المسافر في الفضاء العالمي فإنه يأخذنا إلى ما هو أكثر من مكانه.

تطلق مراكز CCRT على الصقور المزودة بأجهزة تعقب اسم «الحيوانات الحارسة».

في صورة رمزية للسيادة التكنولوجية والعسكرية لأمريكا تظهر أنظمة التعقب الدولية للصقور الأمريكية وهي تخترق الفضاء لمناطق تصل إلى بيونس أيريس في الجنوب ومناطق الأمازون.

تجمع هذه الصقور معاً عالمين غير متكافئين عالم العسكرية / الحروب وعالم الطبيعة / السلام. تبدو هذه المفاهيم متعارضة ولكن الصقور المحملة بالأقمار الصناعية تسد هذه الفجوة بين العالمين، تتشابه أسطورة الصقور كطائرات الحربية مع أسطورة الصقور كرمز فريد للطبيعة المتوحشة ويقع في منتصف الطريق بين الاثنين الصقور التي تحمل أقماراً صناعية بين نظامي الطبيعة والحضارة بين الدفاع الوطني والدفاع عن الطبيعة الوطنية. يمكن للفرد أن يرى الصقور تعزز فكرة الأنظمة مثل نظام تكنولوجي معقد يمكن دمجه في أنظمة C٤ISR. هناك جيل جديد من أنظمة التعقب التي تحملها الطيور مثل أنظمة PTTS سوف تحمل أجهزة استشعار متقدمة تعمل على اكتشاف السرعة والحرارة والرطوبة والضغط الجوي وأنظمة الالتقاط السمعية الرقمية وكاميرات فيديو صغيرة الحجم. هل تبدو هذه الأنظمة مألوفة لديك؟ على مدار السنوات الماضية أخرجت لنا التطورات في نظم الإرسال الهوائية الغير مزودة بأطقم تشغيل للعسكرية الأمريكية طائرات صغيرة بدون طيار من الكربون، تحلق مئات الأقدام فوق ميدان المعركة، وتراقب المركبات العسكرية، وترسل معلومات مرئية إلى أجهزة الحاسوب المحمولة «لاب توب» لقادة الوحدة.



القيادة الجوية الإستراتيجية تقابل كوكب الحيوانات: رسم لرحلة صقر جوال مزود بأقمار صناعية.

كما استطاعت أجهزة الأقمار الصناعية لمراكز CCRT في مواقع التدريب العسكري في إيداهو Idaho تعقب طيور جارحة بالتعاون مع أنظمة قياس نطاق القوة المنتشرة DFIRST لعرض إمكانية التكامل بين أنظمة التعقب العسكرية الآلية بين تكنولوجيا إدارة الموارد الطبيعية، وفي نفس الوقت تعقب حركة الطيور الجارحة والمركبات العسكرية. ويتم تعقب حركة الطائر كهدف في منظومة من الأهداف. والأهداف الأخرى تلك هي أهداف عسكرية.

وفي آلاسكا قامت القوات الجوية الأمريكية بتصميم أعشاش للصقور الجوالة تستخدم كسطح لمواقع الصواريخ الجوية محاكاة لموقع إطلاق الصواريخ المضادة (المواقع التي يتوجب على الطيارين أن يتفادوها).

وقد استمرت القوات الجوية في حماية أعشاش الصقور الجوالة. وقد تم إنقاذ هذا النوع من الصقور. وكان الأمر غامضاً إلى حد ما من خلال اقتراح تضمين أعشاش الصقور الجوالة في خرائط التدريب للقوات الجوية، إذ تمكنت القوات الجوية الأمريكية من الدفاع عن الصقور الجوالة وحمايتها. لقد حققت الطبيعة والعسكرية بهذا الإنجاز مساواة. وأصبحتا متساويتان رمزياً عند قراءة مواقعهم من خلال الخرائط العسكرية. إن الدفاع عن الصقر هو دفاع عن الأمة. كان أتيلا ليفخر بذلك.

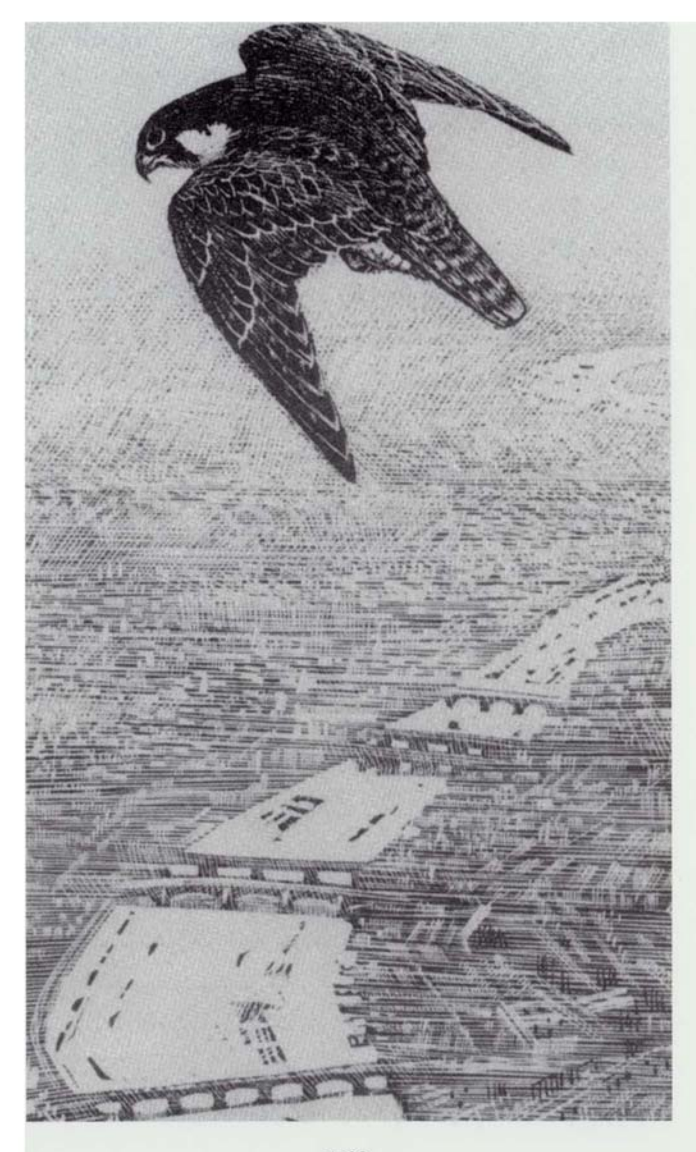
6- الصقور الحضرية

حتى في المدن الكبيرة يختلف عالم الصقر عن عالم الإنسان ويتقارب الاثنان فقط في مرات نادرة عندما يسعى الإنسان لمقابلة الصقر وفقاً لشروط الصقر.

في منحوتة تشارلز تونيكليفز ١٩٢٣ نجد الإنسان يشارك الصقر الجوال فوق سماء لندن مع ما توحي به المنحوتة من إحساس الصقر بالقوة وابتعاده عن المدينة أسفل منه. إن كلا من الإنسان والصقر يمتلكان بشراسة القدرة على جعل الحداثة امتداداً للماضي. وفي عام ١٩٤٨ يكتب روجر توري:

«لقد ظهر الإنسان من ظلال الماضي حاملاً صقراً على معصمه. وكانت عيون الصقر البنية الخالية من العاطفة شاهدا على صراع الإنسان من أجل الحضارة الذي خاضه الإنسان وتحول من العيش في الخيام في سهول آسيا منذ آلاف السنين إلى قاعات الرخام لملوك أوروبا في القرن السابع عشر».

إن للحيوانات دوراً غير واضح في الإشارة إلى تحولات التاريخ. وبإمكان الحيوانات أن تلعب هذا الدور نظراً لمفهوم البشر عنها من حيث أنها خالدة. وفي الواقع فإن الحيوانات ليست خالدة من المنظور المادي، فالخلود الذي يتصف به الحيوان وفقاً لبعض النظريين الأكاديميين يرجع لكون الحيوان لا يمتلك اللغة. هذا الشكل من الخلود يعتمد على ظاهرة واضحة هي أن الصقر هو صقر إينما وجد أو حيثما عاش. فالصقر الرمادي الذي عاش في القرن الرابع عشر لا



صقر جوال يحلق عالياً فوق سماء لندن في تصوير لتشارلز تونيكليف في منحوتة ساجا الصقر الجوال لهنري وليمسون (١٩٢٣).

يختلف عن الصقر الرمادي الحديث الذي تم تصويره في العشرينيات وكذلك الصقر الرمادي الذي يعيش في الوقت الحاضر.

تقوم الحضارات وتنهار وتتغير خطوط الموضة ولكن يبقى الريش الذي يكسو الصقر كما هو. فالصقور في الماضي والحاضر والمستقبل سوف تظل كما هي محتفظة بشكلها ومظهرها. إن هذا النوع من الخلود هو ما يمنح الحيوان ميزة خاصة في إشارته إلى التاريخ. فالصقر مثل الأصيص القيم يكسب قيمته ومعناه من الأيدي التي يعبر فوقها. واليوم فإن الصقر الرمادي موضع ثناء من حيث كونه نفس الطائر الذي طيره هنري الثالث عشر أو جنكيز خان، وهو نفس الصقر الذي نسج عشه لآلاف السنين فوق المنحدرات القطبية المغطاة بالثلوج. وتلك هي الطريقة التي شارك بها صقر بيترسون والتي يصفها نيتشة بالروح التاريخية السامية للعصر الحديث.

لدى صقر تونيكليف الجوال اسمٌ، ولكنه اسم عائلي، وهو اسم خالد أيضاً تشاكتشيك وهو الرمز الأستقراطي للرومانسية بطل رواية «ملحمة الصقر الجوال» التي ظهرت عام ١٩٢٣ وهي قصة أكثر إثارة من رواية «تاركا كلب البحر». إن سلسال تشاكتشيك قديم، أقدم من إلهة الإنسان على حد قول ويليمسون الذي يضع الصقر في إطار التنوير الثقافي. ويكمل سرده عن «تشاكتشيك».

كان تشاكتشيك يتعقب مسار مصب نهرين حين تجاوزت السفينة مسارها لتلتحق بأسطول دريك (DRADE) منذ عدة قرون، عندما قدم الفنيقيون للمرة الأولى من أجل التجارة. وقبل ذلك عندما كانت الأيائل تجوب الغابات الموجودة في الموقع الذي يوجد فيه الآن والأشجار تبدو شاهقة نظراً لأن مياه البحر جرفت الرمال الموجودة تحتها.

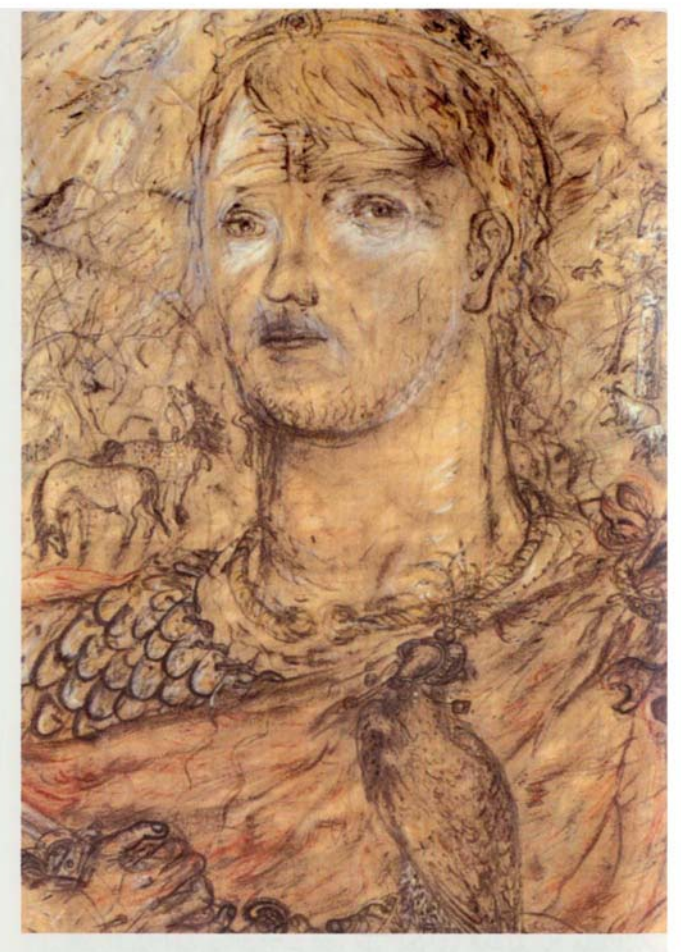
ولكن هذه الصقور لا تشعر أنها في بيتها وهي تحلق فوق هذه المدينة. كان وليامسون مقتنعاً أن الحياة الحضرية أدت إلى الانحطاط الاجتماعي والذهني والأخلاقي، وبالتالي فقد كانت الفجوة بينه وبين صقره عميقة جداً. هذا الطائر ليس مرئياً بالنسبة إلى سكان مدينة لندن الذين كانوا يسيرون في

«أفواج مضطربة» في الأسفل. وهو يوجد في السجل الرمزي نفسه، تماماً كتلك المعالم التي توجد في المدينة والتي يقرر أن يستقر عليها؛ سواء كان ذلك على صليب كاتدرائية سان بيار، أو على أي تمثال يجسد بطلاً بريطانيا بعين واحدة وتم تثبيته على عمود في ساحة الطرف الأغر، «الهبوط على قبعة الأميرال بقبضة مخالبه».

ليس قطامي وليامسون «نيتشاوي» النزعة في تعاليه التاريخي فحسب، ولكنه مثال على الرجال الخارقين، أو هو «الرجل الخارق» الذي يخرج الحضارة الغربية من انحطاطها الأخلاقي وفقدان بصيرتها. أي شكوك حول الانتماءات السياسية لوليامسون مستبعدة في القطعة المعادية للسامية التي يجد فيها «شاكتشاك» نفسه في قبضة أحد صيادي الطيور، أو «الرجل التافه، الملتحي الذي كان يعمل لحساب اليديشيين يصور الطيور في وايتشابيل. كان الصياد خائفاً من هذا الطائر الجارح بطبيعة الحال، يقوم تشاكتشاك بمهاجمته، ويهرب، ثم يعود من جديد إلى السماء النقية. من الواضح أن ملحمة هذا الشاهين تنذر بالدعاية التالية التي سيقوم بها وليامسون حول الاتحاد البريطاني للفاشيين.

يعتبر استعمال وليامسون للصقر كرمز للفاشية مشهداً محزناً في ذلك التقليد الرومانسي القديم الذي يعتبر الصقر كروح للعصر المفقود - سواء العصر البدائي، أو عصر الأمجاد والتنبؤات واللذان كان ينظر إلى كل منهما على أنه مرآة للمجتمع والعادات الاجتماعية للحياة العصرية في كل من بريطانيا وأوروبا. على وجه الخصوص، كان ينظر إلى الصقر على أنه معاد للحضارة العصرية، أو على أنه سليل الصخور القديمة، وليس مواطناً من مواطني الطرقات العصرية. في عام ١٩٤٢، كتب عالم الطيور الأمريكي جوزيف هيكي مقالة علمية يؤكد فيها على أهمية البراري بالنسبة إلى صقور الشاهين. كان يعتقد أن التلال المرتفعة كانت تحميها وتعزلها، بحيث إنها كانت ترفع الصقور بعيداً عن «تقدم ما يقال عنه إنه حضارة تحت التلال التي كانت تتحصن فيها». كالعديد من المهتمين بالصقور، كان هيكي قلقاً من أن توسع المدن سيدفع قطاميات الساحل الشرقي خارج صخورها التاريخية. وكان من الغريب آنذاك،

«خرج الإنسان من ظلام العصور القديمة ومعه قطامي على معصمه» الصقر كمعبر عن التاريخ: دايفد جونس، ١٩٤٨، لوحة بالألوان المائية: «الورد فينيدوسياً».



أن يكون هذا الرجل المتحمس قد رأى الشاهينات فوق مدينة نيويورك قبل ذلك بسنتين. «لقد كنت على وشك أن أصدم بسيارات برودواي قبل ذلك بأسبوعين لما شاهدت واحداً منها لمدة عشر دقائق، وهو يحوم فوق منطقة قريبة من الشارع ٧٢، كما كتب إلى أحد أصدقائه باستياء.

ولكن هذه الآراء المتناقضة للسيد هيكي حول الصقور والمدن لم تكن غريبة جداً. بالنسبة للصقور لكي تعيش في المدن، ذلك أن صقور المراكب على سبيل المثال تسكن في شوارع باكستان. وكان الشاهين الأسود يربي صغاره على المعابد في جنوب الهند. ويقول هيكي نفسه إن الشاهينات كانت تبني أعشاشاً لها فوق كاتدرائية ساليسبوري في القرن التاسع عشر. ويلاحظ أيضاً أن الصقور الأمريكية كانت في بعض الأحيان أيضاً تبني أعشاشها فوق الكاتدرائيات التجارية الحديثة، ولاسيما ناطحات السحاب. كان هذا النوع من المباني يهيمن على آفاق المدن التي كان هيكي يراقب صقوره فيها. وكانت بعض هذه المباني مستقبلية بشكل صريح - حيث كان مبنى كرايزلر وأمباير ستايت بلدنغ يتألفان من الحديد والخرسانة. وهناك أيضاً بعض المباني المرتفعة التي أعادت تشكيل الأساليب القديمة وأعطتها أبعاداً أخرى خارقة للعادة. حيث أن الهيكل الحديدي من مبنى كوداك أيستمان في روتشستر، في ولاية نيويورك، على سبيل المثال، كان يعلوه برج من الألمنيوم يبلغ ارتفاعه نحو مائة قدم. تعد صور بتمان للعمال من قبيلة الآيروكوا من الهنود الحمر وهم يعملون في مبنى كرايزلر فوق ميزاب على شكل رأس نسر أو صقر يمتد فوق المدينة التي توجد بعيداً عنها في الأسفل. وفي الوقت نفسه تذكر بشغف الحداثة بالبدائية، وهو أيضاً مثال يجسم حدة رؤية هذا الطائر الكاسر وقوته. من أعلى ناطحة السحاب يبدو أن هذا الصقر يشترك في منظر المدينة كما يبدو على الخريطة، خاصة وهو ينظر إلى شبكات الطرقات والمباني المكونة من الحجارة والزجاج. كما يقول الكاتب دافيد ناي:

كان المنظر الجديد الذي يتراءى من الطوابق العلوية من هذه المباني مقصوداً، وسرعان ما أصبح شرطاً أساسياً بالنسبة إلى المديرين. في حدود العشرينات، كانت وجهة النظر المتعالية من خلال ارتفاع المكاتب تعرف على الفور على أنها رمز بصري للنفوذ الذي يتمتعون به.



عمال البناء فوق مبنى كرايزلر في نيويورك في الأربعينات من القرن الماضي وهو يأخذون بعض الراحة لتدخين سيجارة على مقعد فولاذي من نوع خاص.

كان المشهد رائعاً من ذلك الارتفاع الشاهق. وكان يستدعي الشعور نفسه بالرهبة والتفوق لدى المشاهد تماماً كتلك التي يستدعيها النظر من أعالي الغراند كانيون أو من قمم جبال الروكي في الصحراء الأمريكية. ولكن كان هناك فرق كبير بين النظرة السامية من أعلى ناطحة السحاب والنظرة من أعلى الصخور أو الجبال فمن خلال ناطحة السحاب تبرز الحضارة برمتها، وليس الطبيعة، في الأسفل. وكان ذلك بمثابة الطبيعة الثانية، وهو منظر المدينة وهو يتحد مع الصحراء. لقد بين الإنسان أن له يدا عليا على ما يخلقه بنفسه.

ولكن هناك شيء آخر مشترك في تلك المناظر؛ هو الصقور الحقيقية. حيث جعلت هذا التوازي بين الصخور وناطحة السحاب، وبين الطبيعة والمدينة، يستحيل شيئاً طبيعياً. كانت الشاهينات الأمريكية تقضي شتاءها وهي جاثمة في أعالي المباني كما لو أنها كانت فوق الصخور، وكانت تطارد أسراب الحمام بين ناطحات السحاب في مدينة مانهاتن المالية وكأنها تحلق بين الوديان. بالفعل، لقد كانت تشترك في رؤيتها الثاقبة عن أعالي الجبال مع المديرين من مكاتبهم في الطوابق العلوية؛ وكلاهما كان بعيداً عن الزحام والفوضى التي كانت تعم في الأدغال الحضرية الموجودة في الأسفل. ولأن هذه المباني الضخمة كانت

تجسيداً مادياً لقوة الشركات والأشخاص، فإن اختيار الصقور أن تجثم أو أن تبني أعشاشها عليها أيضاً له معانٍ رمزية كبيرة.

ذلك أن أحد أكبر رموز الطّبيعة من حيث حدة البصر والقوة اختار مقراتكم الرئيسية بدلاً من تلك التي تعود إلى منافسيكم لكي تكون له منزلاً. إذا كانت الصقور قد تركت المنحدرات لكي تبني أعشاشها فوق المبنى التابع لك، فإنك تكون بالفعل قد أنشأت مبنى سيخلد كالجبال تماماً: أو هو جبل «أولمبوس» الخاص بك. يبدو أن النظام الرأسمالي قد لاقى استحسانا من قبل الصقور التي اختارت أن تسكن فوق رموزه الكبرى والتي قامت ممارساتها الجارحة بتطبيق التنافس العدواني الذي تتميز به الرأسمالية.

من المباني الشهيرة التي كانت الصقور في الأربعينيات تعيش عليها، وكانت في حدود ارتفاع الجبال، المقر الرئيسي لشركة «صان لايف» للتأمينات، وهو عبارة عن مبنى ضخم من الجرانيت، يطل على ميدان «دومينيوم سكوير» في مدينة مونتريال. في عام ١٩٣٩، «طالب» زوج من هذه الشاهينات ببسط سيطرته على مبنى «صان لايف»، حيث كان الباحث المحلي في مجال الصقور جورج هاربر هال يتابعها بشكل يومي لمدة سنتين، وكان يراقب محاولات هذين الزوجين لبناء عشهما التي كانت تنتهي بالفشل في كل مرة؛ وكانت الأنثى تضع بيضها في أنابيب تصريف مياه الأمطار، التي كانت سرعان ما تجرفها. وبعد ذلك، حصل هال في عام ١٩٤٠ على ترخيص من شركة «صان لايف» للتأمينات لضمان مستقبل هذه الشاهينات. وأعد لهذا الغرض صندوقين غير عميقين من الخشب ملأهما بالحصى ووضعهما على أنبوب تصريف للمياه في الطابق العشرين حيث قبلت الصقور بهذين الصندوقين، ووضعت بيضها في أحدها وربت فيه فرخين. سعد هال كثيراً بهذا الإنجاز - ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما أيضاً قامت الصقور بالتفريخ من جديد في الربيع التالي. ولكن الشركة كانت قد قررت إجراء بعض أعمال الصيانة على واجهة المبنى في شهر مايو، حيث كانت الصقور منشغلة بتربية فراخها على نظام تغذية من وجبات تتكون خاصة من حمام المدينة، وبالتالي فقد غضبت الصقور وقامت بمهاجمة



صقر شاهين أمريكي يحلق في منزله، في سماء المدينة.

المقاولين. وكانت النتيجة تتمثل في أن العمال قد تراجعوا ورفضوا العمل من جديد إلا بعد التخلص من تلك الصقور. وبسرعة، قام هال بدور منسق العلاقات العامة مع الصقور، واشتعلت نيران الغضب حول مصير هذه الطيور، لا بسبب اهتمام الصحافة المحلية فحسب، وإنما أيضاً بسبب تغطية كافة وسائل الإعلام الوطنية؛ ذلك أن الرسائل والمكالمات الهاتفية كانت تنهال عليها من كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وتقدم لها النصائح حول هذه المسألة. تراجع شاب كان يحاول أن يبين للعمال أن الصقور ليست مؤذية، بجروح في رأسه والدماء تسيل منه. وبكل هدوء قامت شركة صان لايف للتأمينات بتأخير موعد إجراء الإصلاحات في المبنى، وهو ما سمح للصقور بأن تعيش وللعاصفة بأن تهدأ. وبالتالي فقد كانت الأمور كلها تسير نحو الأفضل.

أصبحت صقور «صان لايف» كما يطلق عليها الآن، أشهر زوج من الصقور في العالم، وأصبحت حياتها تلاقي استحساناً كبيراً في المقالات، وعلى أعمدة الصحف والمجلات في الولايات المتحدة وخارجها. وانهالت الاتهامات على الشركة بأن هذه الطيور لم تكن سوى حملة دعائية؛ أي أنها كانت عبارة عن طيور شبه مهجنة استعملتها الشركة لهذه الأغراض الدعائية. «هل يمكن أن نسمي ملء بعض الصناديق بالحصى ووضعها فوق أنابيب تصريف المياه

بالإدارة دعاية؟ كما رد هال على تلك الاتهامات.

لم تحظ كل صقور الشاهين بهذه المعاملة الحسنة. حيث إن هذه الطيور مازالت مضطهدة في تلك الفترة. إذ قام بعض ملاك المباني في نيويورك، والتي ترتادها الصقور بمنعها من بناء أعشاشها، وقاموا بالفعل بتدمير صغارها. كان قسيس كنيسة ريفرسايد على وجه الخصوص غاضباً من رؤية رواد كنيسته من صقور الشاهين وهي تقتل الحمام أمام عتبة كنيسته.

في بداية الأربعينات، كان هناك زوج من الصقور اختار له عشا فوق إفريز بالقرب من شرفة جناح الممثلة أوليفيا دي هافيلاند في فندق سان ريجيس، وتم وضعهما في صندوق خشبي من قبل العاملين بالفندق الذين تسلحوا ببعض المكانس وقاموا بتدميره. وكان هذا «الصراخ الدكتاتوري» و«صيد الحمام البريء» قد أغضب المقيمين بالفندق - في ما عدى دي هافيلاند، التي كانت تميل إلى الصقور وانزعجت كثيراً لموتها. بالنسبة لخبير الصقور، فيريون سيفرت، وهو مواطن أصيل من مواطني نيويورك وكان يتابع تلك الصقور من خلال سطح المبنى الذي توجد فيه شقته، ولكن المشاكل جاءت من حي مختلف تماماً:

وكان الأمر أن المافيا كانت تهتم كثيراً بسباق الحمام. لقد كان الأمر مضحكاً بعض الشيء... لقد كانوا يحبون الحمام ويحبون أن يروه وهو يتسابق. وكانت طيور فيرنون تصيد البعض منها، وكانوا يعطون قيمة كبيرة لتلك الحمائم... وقاموا بطرد فرنون من مدينة نيويورك. كان الأمر جديا، حيث أنهم هددوه، وبالتالي فقد قرر مغادرة نيويورك. بل إنهم طردوه من نيويورك لأنه «لم يكن سيتخلى عن اهتمامه بالطيور وقالوا له «حسنا، سنقوم بضربك. ونضع عليك رقماً وبالتالي فقد قرر الخروج من هناك (باتجاه ولاية كولورادو)».

على الرغم من أنه أصبح آمنا مثل أولئك الرياضيين، فإن المدينة لم تكن مكاناً مثالياً بالنسبة للصقور الصغيرة، خاصة إذا ما أصبح لديها ريش بشكل مبكر. لم تكن هناك أي حيوانات على غرار الراكون أو الثعلب، ولكن كانت هناك قططٌ وكلابٌ وسيارات وقطارات، وامتدادات زجاجية كبيرة تنعكس



عليها السماء والسحب ويمكن لها أن تكسر رقبة الصقر إذا ما ارتطم بها - هذا بالإضافة إلى أن السكان منقسمون حول الصقور، حتى لا نقول أكثر من ذلك. عثر رجال دورية توماس مورفي على صقرين تحت سيارة وعلى خيمة أحد المباني في طريق واست ٧٣ في يونيو ١٩٤٥ ثم انتهى بهما الأمر في حديقة البرونكس للحيوانات. ولكن مستقبل الشاهينات في المدينة لم ينته مع هذه المخاطر المادية. ذلك أنه اتضح أنها توفيت بواسطة مبيدات الحشرات.

لأنه على الرغم من اعتناقها للحضارة ظاهريا، فإن صقور المدن لم تكن قادرة على الفرار من المخلفات الكيميائية للمجتمع الاستهلاكي. في عام ١٩٤٩، قامت أنثى صقور «صان لايف» بتناول بيضها، واختفى هذا الزوج من دومينيون سكوار في عام ١٩٥٣ بعد سنوات من الأداء التكاثري الضعيف، وقد خلَّف ذلك استياء كبير لدى شركة صان لايف التي كلفت هال بتأليف كتاب حول الصقور الشهيرة.

وقد ميزت حقبة صقور المدن في ١٩٨٠ اندلاع أزمة مبيد DDT والجهود التي بذلت من قبل المهتمين بالصقور من أجل إعادة صقر الشاهين إلى البراري. وتعتبر الدلالات الثقافية لصقور المدن ساحرة. فقد صاغت علاقة جديدة بين المؤسسات والحكومات والمجتمعات المدنية وغيرت العلاقة بين الطبيعة والمدنية. وعلى العكس من أقرانها كانت لصقور المدينة أسماء.

ذهب مع الريح

كانت سكارلت الدلالة الأولى على عصر الصقور الشهيرة. على الرغم من شهرتها في كافة أنحاء العالم، فأنثى صقور «صان لايف» التي ترجع لفترة الأربعينيات لم يكن لها اسم سوى اسم الشركة التي كانت تمثلها. ولكن السبعينيات، دلت على بداية فترة زمنية مختلفة مدعمة بالتلفزيون وواعية بالمسائل البيئية. انتهى عصر الصقور الخالد بمعنيين مهمين. أولاً: إن أزمة دي.دي.تي. كانت تعني أن الكائنات بشكل عام لا يمكن أن تعدها خالدة. ثانياً: إن الشاهينات التي تم إطلاق سراحها من قبل منظمات الحفاظ على

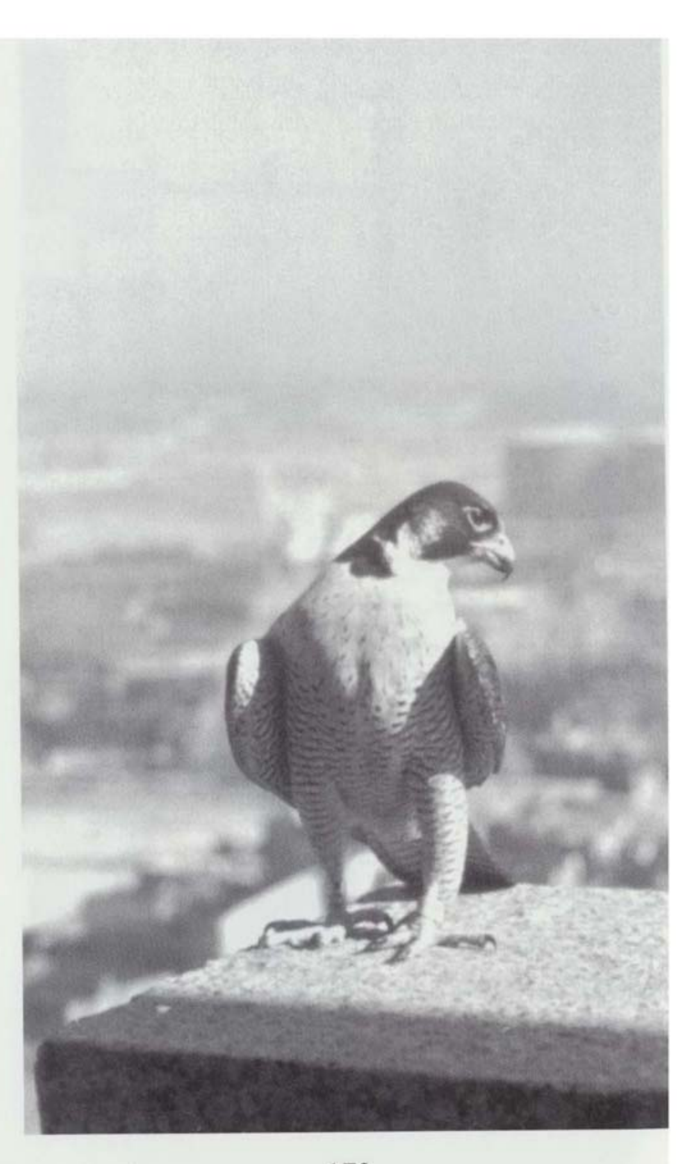
البيئة لم تعد ممثلة فقط في نوعها؛ حيث إنها أصبحت تحمل شرائط على أرجلها تسمح بالتعرف عليها، تماماً كما هو الحال بالنسبة للأشخاص العاديين.

وفي ربيع عام ١٩٧٩، اتخذت إحدى الشاهينات، التي تربت في الأسر قبل ذلك بعامين من البرج القديم في ماريلاند ادجوود أَرسنال، سكناً لها على الطابق الثالث والثلاثين من المقر الرئيسي من منظمة صيد الأسماك والفرائس الأمريكية الأخرى في بولتيمور.

وهو الأمر الذي كان يعد مصادفة جيدة. لقد اختارت أن تعيش فوق المقر الرئيسي للمؤسسة التي تهتم بالحماية الفدرالية للقطاميات. وقام صندوق حماية صقور الشاهين بتوفير زوجين لها، ولكن كلاهما اختفى بعد ذلك. غير أن سكارلات، كما أصبح يطلق عليها الآن، وضعت ثلاث بيضات، وربت ثلاثة أفراخ أعطاها إياها صندوق حماية صقور الشاهين. في السنوات التالية، تم إطلاق العديد من النسور الأخرى، التي سميت كلها حسب شخصيات رواية «ذهب مع الريح»، من أجل سكارلات. وقد ساعدتها في تربية فراخ متبناة لأن كل البيض الذي كانت تضعه لم يكن خصباً. لقد أصبحت مشهورة بشكل حقيقي، فهي تجلب السياح بالإضافة إلى أنها كانت مدللة من قبل وسائل الإعلام. كما أنها أثرت في كتابة قصص الأطفال التي تعتمد على قصة حياتها. أخيراً، وفي عام ١٩٨٤، اتخذت سكارلات نسراً أبيض غير مرقط كزوج. نجح بوريغارد، كما كان يطلق عليه، حيث فشل الآخرون؛ وضعت سكارلات بيضاً خصباً وربت أربعة فراخ في صحة جيدة. ولكن للأسف، لما كانت هذه الفراخ تحلق في سماء بالتيمور، توفيت بسبب إصابتها بداء كانديدا. ثم ظهر نعي رسمي لها في وسائل الإعلام والصحافة، الوطنية منها والمحلية. واستمر العش حيث التحقت أنثى أخرى ببوريغارد على إثر وفاة سكارلات.

تعتبر إعادة الصقورة المرباة في الأسر إلى المباني المرتفعة استراتيجية ممتازة بالنسبة إلى صندوق حماية الصقور. خاصة أنها حلت الكثير من المشاكل التي ترتبط بتسريحها في الأماكن القديمة على الصخور. وكان أحد تلك الأسباب أنه لا وجود لطائر البوم الكبير في مدينة بالتيمور، وواشنطن، ومونتريال. ونيويورك.

سكارلات، أنثى الصقر المحبوبة في بالتيمور، وهي تراقب عالمها الحضري من حولها.





صقر صغير تم تسريحه بعد تربيته في الأسر يجلس تحت كاميرا من سي. سي. تي. في، في واشنطن دي. سي. التي تعتبر مثلثاً هاماً من السياسة والطبيعة ووسائل الإعلام.

ولكن تسريح الصقور في المدن كان له تأثير جانبي غير متوقع: إذ أدى إلى ارتفاع كبير في عدد الصقور في مدن أمريكا الشمالية. وكان الجميع يعتقدون أن الصقور التي تم تسريحها في المدن ستترك هذه البيئة غير الطبيعية لكي تسكن في البيئة التي تعيش فيها النسور، وتستقر لتفقس بيضها في الجبال، ولكن هذه الصقور الصغيرة تعلقت بأعشاشها في البيئة الحضرية للمدينة وأصبحت تميل إلى المواقع الحضرية والصناعية والبحث عن زوج أو عش. في نهاية الثمانينيات كانت الشاهينات تبني أعشاشها في نحو ٢٤ مدينة في أمريكا الشمالية، وكانت تتطور لديها بعض السلوكيات المدهشة والجديدة، حتى أن بعضها كانت، على سبيل المثال، تصطاد فرائسها من الحمام بالليل.

كان الحماس الكبير لسكان المدن تجاه الشاهينات في المدن مدهشاً أيضاً. ففي الثمانينيات وافق وزير الداخلية في الولايات المتحدة على إنشاء سياج خاص لمنع السطو على مبنى وزارة الداخلية في واشنطن دي.سي، كما وضع خدمة الأسماك والحياة البرية نظام سي.سي.تي.في. في مكان إقامة الصقور لينقل الأحداث التي تجري على السطح مباشرة إلى الجمهور في بالتيمور، كما هو الحال بالنسبة لواشنطن دي. سي، فكانت تغطية سي.سي.تي.في مواقع الصقور تجلب العشرات من الأفراد إلى أماكن سكن الصقور أثناء فترة تناول

الغداء. ولكن ما هو الشيء الذي يجذب كل هؤلاء الأشخاص إلى هذه الصقور؟ وما هو الشيء الذي أتى بهم إلى هناك؟

صدمة الواقع

كتب الكثير حول اختفاء حيوانات في العالم المعاصر. وهذا الاختفاء في الواقع يأخذ أشكالاً مختلفة. من بين الأسباب المحيرة، نذكر فقدان التنوع البيولوجي والعدد المتزايد لانقراض بعض الكائنات. غير أن هناك أسباب أخرى لاختفاء بعض الحيوانات. وتتمثل أحد تلك الأسباب في العوامل المحددة للعصر الحديث في الاختفاء المستمر لأي حياة برية من جراء فعل الإنسان، وأيضاً في إعادة ظهور ذلك في تفكير الإنسانية حول نفسها أي أن الحيوانات، الحقيقية منها، قد اختفت إلى حد كبير من الحياة اليومية الحضرية. لقد تم استبدالها بصور لتلك الحيوانات والتي تؤثر عليها مصالح المحطات التلفزيونية، وصانعو الأفلام الوثائقية، والشركات الإشهارية، الخ. ولكن فكرة الحيوانات كدلائل على واقع أعمق وأشمل -ولكنه للأسف واقع تتبناه وسائل الإعلام في معظم الأحيان- وله تأثير كبير على العديد من الأشخاص. يبدو أن ضرورة الارتباط مع الحيوانات البرية أو الاتحاد معها يتطلب الانتقال من



«صدمة الواقع»: قطامية واقفة مع فريستها، وهي عبارة عن بطة أمريكية على حافة نافذة أحد المكاتب، في تورونتو، كندا.

الأماكن اليومية ومن الحياة اليومية ككل. وبالتالي، فإنه في الوقت الذي تكون فيه المدينة إطاراً للحياة اليومية، فإن الأماكن التي يمكن فيها للشخص أن يتحد أو يرتبط بالحيوانات البرية محدودة وبعيدة وبشكل عام يجب على الشخص أن يذهب بعيداً لكي يسبح مع الدلافين، ويلتحق بالجولات في الطبيعة، يصعد على متن المراكب لكي يرى الحيتان الكبيرة.

وبالتالي، فإن هذه الافتراضات حول المكانة التي تحتلها الحياة البرية في العالم الحديث يؤمن بها كثيرون، حتى إن التأثير الذي يحدثه ظهور بعض الحيوانات في المكان «غير الصحيح» يكون كبيراً. فالموظف في المكتب، على سبيل المثال، وهو يسمع ضجة كبيرة وريشاً متطايراً على حافة نافذة مكتبه، فإنه عندما ينظر إلى الخارج يجد الشاهين وهو يمسك بالحمامة الميتة بين مخالبه وينظر إليه بكل حدة. كانت لتلك المشاهد تأثيرات كبيرة على العاملين في المكاتب، حيتى إنهم أصبحوا يتحدثون عنها في نغمة دينية فنظروا إلى أنفسهم بالتالي على أنهم مختارون لذلك من قبل الصقور من أجل نوع من أنواع التجدد الروحي أو الافتداء.

حتى وقت قريب، كان يفترض أن الإنسان هو المشارك الوحيد في العالم الحضري. ولكن حضور قطاميات المدينة فوق المباني ذات التكنولوجيا العالية، والأماكن الصناعية يشير كما فسره علماء جغرافيا المدن، بما يلي: «بالنسبة لحياة المدن، هناك أكثر من التكنولوجيا والثقافة، وببساطة أكثر يمكن القول: إن وجود التكنولوجيا والثقافة يفوق التصميم البشري» هناك اهتمام متزايد في ما يسمى «الحضرية الخضراء» في المدن. لقد أصبحت مصدراً للاستثمار السياسي من قبل الحكومات والسلطات المكلفة بحماية البيئة. وبدأ الناس يفهمون الكيفية التي تساعد بها الحياة البرية في المدينة في بناء الهوية المدنية للأشخاص. ذلك أن الشاهينات الحضرية، على سبيل المثال، تكون مجموعات؛ ومجرد وجودها هناك من شأنه أن يربط الناس بمدينتهم وبعضهم البعض بشكل قوي وملزم. ربما يأتي أفضل مثال على ذلك من عالم الأحياء الخبير في الصقور كريستافار ناداراسكي من نيويورك،

الذي كان يساعد في أعمال الإغاثة بالليل، عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر بيومين.

«التفتت عيناي نحو السماء، هناك فوق الطابق الأربعين أو الخمسين والتي كان الدخان يخرج منها في شكل ملتو وإذا بي ألاحظ مصدراً للحياة. زوج من صقور الشاهينات كانت تحوم حول هذا الفراغ الجديد ثم حطت على منصة المراقبة فوق مبنى وولورث... بشكل أو بآخر تخلصت من كآبتي بسبب هذه المقبرة المدمرة ولو مؤقتاً بواسطة هذه الصقور التي كانت تشير إلى تضامنها مع أصدقائها من سكان نيويورك».

في مدينة نيويورك، كما هو الحال بالنسبة إلى عدة مدن أخرى في أمريكا وفي أوروبا الشمالية، فإن كل عش من أعشاش الصقور «يتبناه» أناس يعتنون بصغارها وكبارها. في معظم الأحيان يعتبر الأشخاص أن أزواج الصقور أعضاء في العالم الاجتماعي للمكان الذي تبني فيه أعشاشها. «يعيش لويس ومات أسلوب العيش السريع الذي يميز مدينة «مات لايف» في وسط المدينة»، كما يقول ناداراسكي: «راد راد وبي. جي. زوجان واعيين من الناحية الصحية ويسكنان في مركز برازبيتاريان/ كورنل الصحي في نيويورك». هناك شهادات تبن للصقور تقدمها مؤسسة صقور الشاهين الكندية، وهي منظمة خيرية بقيت لمدة عشر سنوات في مقدمة المؤسسات المهتمة بالأحداث التي تستجد في شأن الصقور التي تعيش في المدن. تدير هذه الموسسة برنامجاً تثقيفياً ذو تأثير كبير وبرنامجاً شعبياً شاملاً حول صقور الشاهين الحضرية في كندا، بالإضافة إلى أنها تقدم معلومات شاملة حول الصقور على موقعها على الإنترنت.

داخل المجموعات الحضرية التي تعتني بالصقور، فإن الأشخاص الوحيدين الذين يمكن لهم التأثير على الصقور من الناحية المادية هم علماء الأحياء، ولكن الخبراء العلميين لا يمثلون إلا عنصراً واحداً من سكان المدن



مؤسسة القطاميات الكندية تتيح لك الفرصة لتتبنّى أحد الصقور.

الذين لهم اهتمامات بالصقور. هناك أيضاً جملة من المتحمسين لمسألة الصقور الذين يقومون بمراقبة هذه الطيور عن بعد بواسطة النظارات والتلسكوبات؛ وهم يعتبرون أنفسهم كحماة «لطيورهم» هذه. كما أن معظم المجموعات الموسعة في المدينة منخرطة في هذه الجهود أيضاً، وهي تلعب دور «الأعين والأذان» لتلك الطيور من مكان وجودهم على الأرض.

أما الشيء الجديد، فإنه يتمثل في مجموعة افتراضية تقوم بمتابعة كل عش من أعشاش الصقور التي توجد في المدينة على شبكة الإنترنت. خاصة أن العديد من أعشاش الصقور في المدن أصبحت الآن مجهزة بكاميرات تقوم بالبث مباشرة على شبكة الإنترنت.

المدمنون على الصقور وحراس الليل

أصبحت الشركات في الولايات المتحدة تضع تماثيل ثابتة للصقور فوق مقراتها الرئيسية في إشارة إلى اهتمامها بالبيئة. تبرعت شركة أوراكل على سبيل المثال، وهي من عمالقة مصنعي البرمجيات، بنحو ٢٠٠,٠٠٠ دولار إلى مجموعة سانتا كروز للأبحاث حول الطيور الجارحة التابعة لجامعة كاليفورنيا، للمساعدة على تمويل برامجها التعليمية، وموقعها الإلكتروني والموظفين

العاملين في هذا المشروع. بنت الصقور أعشاشها فوق حي أوراكل الجامعي في رادوود سيتي، وهو مبنى ذو طابع مستقبلي، بين عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٢. وبتشجيع من بعض العاملين الذين يهتمون في الطيور، فقد تم تجهيز أعشاش «صقور أوراكل» بكاميرات خاصة للمراقبة. «تلتزم شركة أوراكل بحماية الحيوانات المهددة بالانقراض والحفاظ عليها، على غرار صقر الشاهين. كما تقول روزالي غان، مديرة «المساعدات والعمل التطوعي» لدى أوراكل.

يعتبر زوج الشاهينات الذي يعيش فوق مبنى مكاتب شركة كوداك في مركز مدينة روتشستر، نيويورك، من أشهر الطيور على الإطلاق في هذه المدينة. علما بأنه تم استدراج هذه الطيور إلى هناك. في عام ١٩٤٤، طلب دينيس موني، وهو محلل بيئي لدى شركة روتشستر للكهرباء والغاز، من شركة كوداك إذا كان بالإمكان وضع صندوق للأعشاش بالقرب من أعلى المبنى الخاص بها. وبالفعل، فقد تم ذلك. بعد ذلك بأربع سنوات، اكتشف زوج من صقور الشاهين ذلك الصندوق حتى نتمكن من تسجيل حركات الصقور»، كما اقترح أحد الموظفين لدى شركة كوداك. ثم تحولت الشركة إلى العمل في الحال، وبعد مضي شهور من النقاشات مع جمعية الحفاظ على صقور الشاهين التي تتخذ



المقر الرئيسي لشركة كوداك في روتشستر، نيويورك، مقر لـ«صقور كوداك».

من أونتاريو مقراً لها، قام مختصون في كاميرات الويب بتثبيت كاميرا بالإضافة إلى نظام تزويد فوري بالصور إلى أحد المواقع على الإنترنت، وبالتالي فقد سجل ذلك الانطلاقة الأولى لكاميرا الطيور الشهيرة من شركة كوداك.

تعتبر كاميرا الطيور هذه من الظواهر السحرية. بناء على موديل سي.بي. أف. الأساسي، فقد تمٍ دمج هذه الكاميرا في موقع واب معقد، فهو موقع تثقيفي في جزء منه وإحتفالي وإشهاريّ في نواحي أخرى.

يمكن للمستهلك شراء صور للصقور من هذا الموقع، وكان ذلك من خلال خدمة «أوفوتو» للتوزيع الرقمي من شركة كوداك. وكانت النصيحة التي قدمتها كوداك لمن ينوون أن يصبحوا متابعين للقطاميات في روتشستر، تقول:

> سوف تحبس أنفاسك لدى رؤية هذه الطيور السامية، وبالتالي فإنه يجب عليك أن تجهز نفسك جيداً لالتقاط الصور. سوف تحتاج إلى عدسة مكبرة لالتقاط الصور عن بعد. كاميرا كوداك إيزيشار دي. اكس ٦٤٩٠ الرقمية مجهزة بعدسات زوم بصري من فئة X١٠ وهي مثالية لالتقاط الصور للقطاميات.

وكما هو الحال بالنسبة إلى ما حدث مع الكاميرات الكندية الأولى للإنترنت، فقد تشكلت مجموعة مختلفة من المهتمين بالصقور سواء محلياً أوعالمياً والرابط بينهم هو اشتراكهم في الشعور تجاه «صقور كوداك»، وبالتالي تجاه الشركة أيضاً. حيث أن زائري الموقع يرون الطيور بأعين كوداك، أي من خلال أربعة كاميرات مثبتة وكاميرا رقمية من كوداك تستعمل زوم دي. سي ٠,٤٨٠٠ هذه الصقور هي مشاهير هذه الماركة؛ ذلك أن موقع الإنترنت يقدم شجرة العائلة الخاصة بها، وسيرتها الذاتية. هذا بالإضافة إلى أن الرسائل التي يتركها الزوار في منتدى النقاش حول الصور تعتبر ممتعة أيضاً. وهناك أيضاً قصائد شعرية مهداة إلى الصقور. وهناك تحسر، وأسئلة متعددة حول صحة الصغار، وأسئلة أخرى حول سلوك الصقور وعاداتها. هناك مفهوم مشترك وشامل لما يعنيه أن تكون للمرء خبرة ومعرفة بالصقور. يمثل هؤلاء الهواة للصقور مجموعة معقدة من الأشخاص؛ ذلك أنهم يفهمون بشكل واضح أنه بالإضافة إلى إبراز

اهتمام الشركة البيئة، فإن ارتباط صورة كوداك بالصقور تلعب دور الترويج لهذه الماركة - وأنهم يتلاعبون بذلك. في رسالة موضوعها «لقد جعلتني الطيور أشتري هذا المنتج»، تصف أحد الملصقات «الشعور بالدفء الذين ينتابني كلما سمعت أحداً يتحدث عن شركة كوداك... ولكنني أكره التفكير فيما قد يحدث عندما يذكر الوسيط المالي الخاص بي شركة كوداك».

هناك العديد من الرسائل التي تتغنى بالسعادة المشبوهة التي تتمثل في الاشتراك في الإدمان على شيء ما مع الآخرين. «بدأت في بعث الرسائل في كل فرصة تسمح لي بذلك» كما كتبت إحدى المعتادات على هذا الأمر. «لقد أصبحت «حارسة أمينة» منذ البداية. كنت أجلس إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بي لساعات طويلة، وأترك بذلك الأعمال المنزلية حتى تتكدس» كما تقول.

> في موسم صقور الشاهين، كنا نتناول الأكلات السريعة، والسندوتشات مع زبدة الفول السوداني ووجبات العشاء المجمدة. كان أطفالي يحبون ذلك، حيث إنه لم يكن يتعين عليهم تناول شوربة الخضروات التي تعدها أمهاتهم، والتي لا يحبونها. في معظم الأحيان، ومهما كن يفعلن، كان هناك من يناديهن لمشاهدة صقور الشاهين. وفي بعض الأحيان كن ما يكدن يصعدن إلى الطابق العلوي حتى أدعوهن من جديد لمشاهدة العرض.

التواجد عن بعد والتدخل

هل تعتبر مشاهدة الصقور على شاشة الكمبيوتر مشاهدة حقيقية للصقور؟ أم هل كاميرات الصقور مجرد مسلسلات تلفزيونية مقنعة، هل نشاط مشاهدة الطبيعة مناسب لعصر التلفزيون الواقعي؟ يرى الباحث الثقافي بول فيريليو أن العالم الحديث دخل في حقبة أصبح فيها «التواجد عن بعد» يأخذ مكان التواجد الحقيقي، وهو ما يخلق الحياة الافتراضية التي تصبح الحياة اليومية

قاتمة وتافهة بالمقارنة معها. وفي الواقع، فإن هناك من ينتقد كاميرات متابعة الطيور لأنها تروج لتجربة خاوية للطبيعة. فهم ينظرون إليها على أنها غير طبيعية ومزيفة وسلبية، وأنها بعيدة كل البعد عن الانخراط الكلي في الطبيعة الذي تقدمه مشاهدة الصقور في أعشاشها على الجبال. ولكن، هل هذه الصقور افتراضية، أو غير حقيقية؟ هل كاميرات تصوير الصقور مجرد علامة إضافية على اختفاء الحيوانات من حياة الإنسان واستبدالها بصورة أم هي مجرد صور يشكلها الاستثمار الرمزي للشركات؟

ربما يكون ذلك غير صحيح. أولاً: لأن كاميرات الصقور تبث أحداثاً طبيعية غير معدة مسبقاً. وعلى الرغم من أنه تتخللها تكنولوجيا المراقبة، فإن هذه الكاميرات تمكن المشاهد من مشاهدة الحيوانات وملاحظتها دون أن تزعجها، وهي في معظمها تعمل بنفس أسلوب التخفي والإخفاء الذي يستعمله علماء البيولوجيا لتسجيل الحيوانات ومحاولة فهم سلوكها. تعني كاميرات الصقور أن تلك المشاهد المميزة لبعض الأحداث الطبيعية لم تعد حكراً على الخبراء دون غيرهم. في سبرينغفيلد من ولاية ماساتشوتس، تقوم إحدى قنوات البث التلفزيوني العامة بنقل مباشر لعش قطامي صغير إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ عائلة. يثمن توماس فرانش، وهو موظف لدى هيئة الثروة السمكية والحياة البرية، زيادة الوعي البيئي على الصعيد المحلي الذي أحدثه هذا العرض. وهكذا «أصبحت إحدى المسائل التي تتعلق بالحياة البرية مثاراً للحديث اليومي بين الناس، ولم تعد مجرد حديث بين الخبراء والمختصين» وأضاف أيضاً: «لقد أصبحت الآن جزءاً من البناء الشامل للمدينة».

وبالتالي، فإن كاميرات الواب تمكن من التعرّف الدقيق على حياة الحيوانات البرية، التي كانت في السابق تقتصر، فقط، على ما أمكن توفيره من قبل العلماء، وعلماء الطبيعة والصيادين - بصعوبة بالغة. إذا أمكن ذلك بالفعل. هذه الكاميرات التي تبث مشاهد حية تساهم بالتالي في جعل المعرفة حول الطبيعة أكثر ديمقراطية. وكما يقول السيد فرانش، فإن البث المباشر من سبرينغفيلد يبين للمشاهدين أشياء لم يستطع عالم الطيور أن يقدمها إليه



خمس فراخ من «قطاميات كوداك» في صندوقها المعزز بالتكنولوجيا في شهر يونيو ٢٠٠٣ .

عبر التاريخ. والناس يحبون ذلك بطبيعة الحال وإضافة إلى أن هذه الكاميرات تتحدى الفصل بين المعرفة العادية والمعرفة العلمية المختصة، فإنها أيضاً تمثل تحديا للاستهلاك السلبي للصور على التلفزيون أو على شاشة الكمبيوتر. وفي الواقع، هذا هو الشيء الذي نختلف فيه على البرامج التلفزيونية الواقعية. لأن هذه الكاميرات تعزز العمل الفعلي للمشاهد. بمشاهدتهم للتلفزيون، إذ أمكن لسكان سبرنغفيلد التدخل في حياة تلك الطيور في الزمن الحقيقي.

حضر المشاهدون إلى المكان عينه ليقولوا أن هناك أمراً ما يحدث لأحد فراخ الصقور، وهبط السيد فرانش من الطابق الثالث والعشرين من ناطحة السحاب لإنقاذ ذلك الطير، الذي كان الطعام قد سد حلقه. وبالتالي، فإن كاميرات الواب مفيدة إلى حد بعيد؛ لأنها تخلق مجموعات جديدة ومميزة تشمل أشخاصاً وطيوراً فاعلين حقيقيين، يؤثر كلاهما على حياة الآخر ويجددها. هذه المجموعة المهجنة هي بالفعل مجموعة سعيدة.

التطور لا يحدث بين عشية وضحاها

أصبح العالم حضرياً أكثر فأكثر. وفي خضم هذا التطور العمراني، فإن البيئة الطبيعية أصبحت تشهد تراجعاً كبيراً. وأصبحت الطيور الكاسرة



زوج من القطاميات الحضرية في ولاية كاليفورنيا.

تسكن المدن أكثر من أي وقت مضى، مستعملة العمران الحضري أو الصناعي كأعشاش لها، كما أنها أصبحت تصطاد وتتزواج من هناك.

من الولايات المتحدة إلى الصين، أصبحت الصقور تبني أعشاشها على هياكل من صنع الإنسان؛ كالجسور، والمباني، وأعمدة الكهرباء، ومولدات الطاقة، ومخازن الحبوب، حتى على أسطح محطات القطارات. لوقت طويل، بقيت تلك المظاهر تعتبر «غير عادية» لأنه، لعصور عديدة، كان يظن أن الطبيعة البرية لا توجد إلا في عالم بعيد عن اهتمامات الإنسان والتكنولوجيا. ولكن، في الفترة الأخيرة اقتنع العلماء بفكرة الطائر الجارح الحضري، على الرغم من أن ذلك لم يكن بدون أي انتقادات لها. في الوقت الذي كانت فيه مؤسسة الدراسات حول الطيور الجارحة منشغلة في إعداد ندوة حول الطيور الجارحة الحضرية، بتمويل من بعض شركات الطاقة التي تريد فقط تحسين سمعتها البيئية - كانت هناك بعض الأسئلة الأخلاقية التي تطرح حول تنظيم مؤتمر حول ذلك الموضوع. هل سيقوم ببعث رسالة خاطئة إلى الأشخاص الأكثر اهتماماً بالمسائل الاقتصادية من بالبيئة وموروثنا من الحياة البرية؟ كان منظمو المؤتمر محددين في إجاباتهم. فهناك أسباب حمائية قوية للتركيز على الطيور الجارحة الحضرية، كما يزعمون.

توفر الشاهينات الحضرية بركة جينية أو مخزناً للطيور التي يمكن لها ملء أو إعادة ملء الأقاليم الفارغة في المناطق الأكثر طبيعية. وأهم من ذلك، فإنها توفر الدخول للصقور التي لم تتح للأطفال ولفئات اجتماعية أخرى الفرصة لرؤيتها... في مواقع برية.

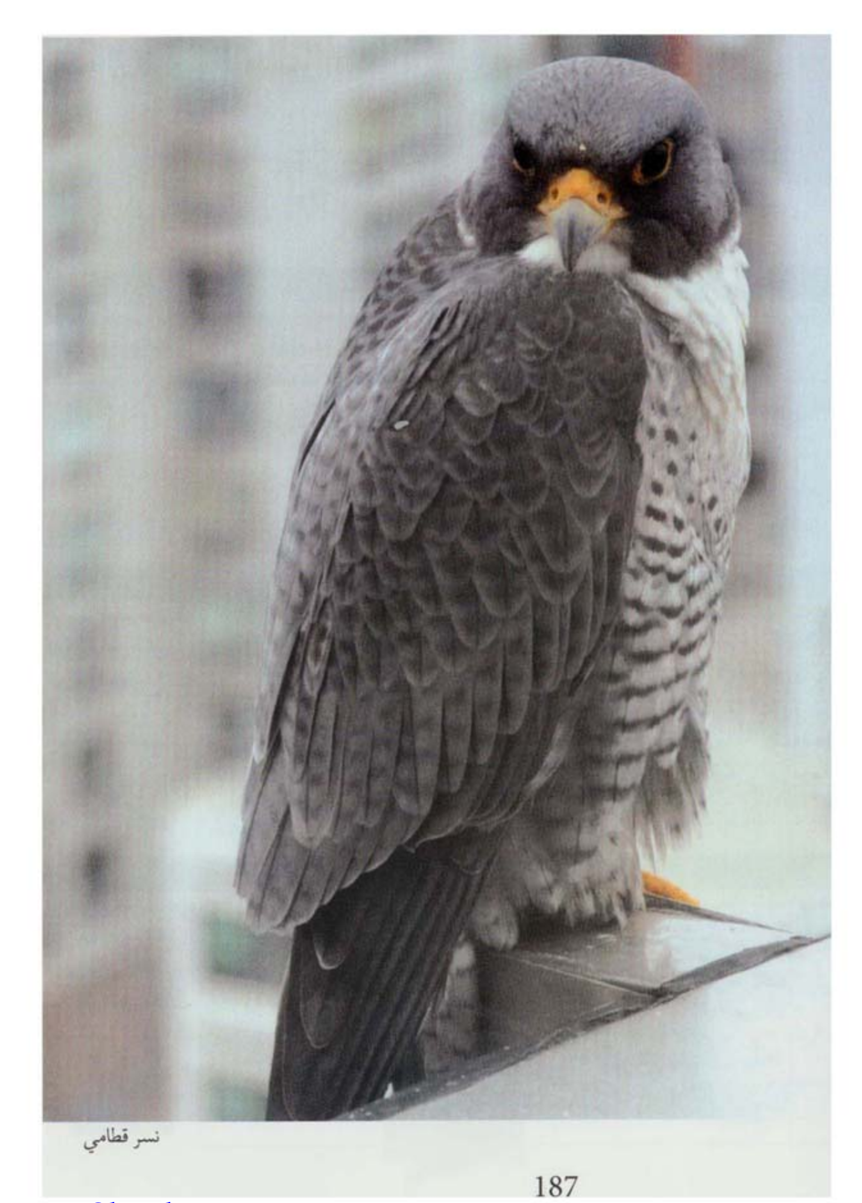
في هذه الأوقات المزرية التي تعرف ارتفاعاً كبيراً في عدد السكان، فإن التغييرات الكبيرة التي طرأت على البيئة الطبيعية وتراجع عدد الكائنات البرية على مستوى العالم، جعلت علماء البيئة في أمس الحاجة إلى رسالة إيجابية. وهذا الكتاب في الواقع يقدم العديد من الأمثلة على الطيور الجارحة التي تمكنت من التأقلم مع المنظر الطبيعي الإنساني، ولكنها لا تستطيع القيام بذلك بمفردها. وبالتالي فإنه يجب علينا أن نضمن لها وجود بعض الخصائص الطبيعية في بيئتنا هذه، حتى نتمكن من بعث روح التسامح لدى هذه الطيور الجارحة تجاه أنشطتنا التي نقوم بها. التطور حينئذ لا يحدث بين عشية وضحاها.

رسم على الجرانيت لصقر جيرفالكون يرتدي قلنسوة والمارة أسفل منه تحت جسر محطة لندن في ٢٠٠٥ .



وفي شهر يونيو ٢٠٠٤، أعادتنا صقور المدينة مرة أخرى إلى تلك المقابلة القديمة بين الصقور والألوهية. كشفت نيويورك تايمز عن أن هناك قطاميات تبني أعشاشها فوق المقر الرئيسي لشركة «مورمون» في «تامبل سكوار»، سالت لايك سيتي، ولاية يوتا. وعندما كانت الفراخ في طور ظهور الريش، قامت مجموعة من المتطوعين بدورة بين السيارات تحت العش حتى تضمن عدم دهس الصغار بواسطة السيارات. إذا طار أحدها إلى الطريق، فسيحاول بوب أن يمسك به وأنا مطالبة حينذاك بأن ألقي بنفسي أمام السيارات، كما قالت جون روبرن، ٧٥ سنة، وهي مديرة مكتب متقاعدة. لاحظ زوجان من واشنطن كانا يزوران المكان مع أطفالهم السبعة ما كان يحدث. «لقد اعتقدنا أن الجميع كانوا ينظرون إلى الرسول».

كما قالت ماكانا هولوي، ١٨ سنة، في إشارة إلى غوردن بي. هينكلي، وهو رئيس الكنيسة. «ثم عرفنا أنهم كانوا ينظرون إلى الطيور».



نسر قطامي

الجدول الزمني للصقور

٧٣–٨٢ مليون سنة	٧–٨ مليون سنة	٣,٥٠٠ سنة	٢٠٠٠ سنة	٢٠٠ سنة
انفصال تطوري لطيور «فالكونيدا» من صقور «اكسيبيترين».	تطور معظم الكائنات الموجودة حالياً من فصيلة «فالكو».	قبل ميلاد المسيح عبادة الصقور في مدينة جيزا، نيخان، في مصر.	قبل ميلاد المسيح دلائل على ممارسة الصقور في أناتوليا.	قبل ميلاد المسيح ممارسة صيد الصقور في الصين.
١٢٤٧	**١٣٤٨**	**١٤٨٦**	**١٤٩٥**	**١٥١٥**
ظهور رائعة فريديريك الثاني، «دي آرتي فيناندي كوم آفيبوس».	الحكاية رقم ٥٠ من «ديكامرون» لبوكاتشو تتحدث عن مصير الفارس المعدم فيديريكو، الذي قتل الصقر الذي يحبه وقدمه إلى امرأة كتعبير عن حبه لها.	«بوك أف سانت ألبانز»، الذي ينسب إلى السيدة جوليانا برنارز، هو أول كتاب طبع باللغة الانجليزية حول الصيد بالصقور.	قانون إنجليزي يمنع أي فرد آخر باستثناء العائلة الحاكمة من امتلاك صقر، ومن يقوم بذلك فإن يعرض نفسه إلى عقوبة تقدر بسنة ويوم واحد من السجن، ودفع غرامة مالية والتخلي عن المطالبة باسترجاع الصقر.	بمناسبة اعتلاءه العرش، خان محمد جيراي يطلب ثلاث مرات ضارب تسعة من صقر جير، وأسنان السمك (أنياب نروهال) من موسكو.
١٨٦٠	**١٨٧١**	**١٩٣٩**	**١٩٤٠**	**١٩٦٠**
تقارير غير مؤكدة حول بناء أعشاش من قبل صقور فوق كاتدرائية سانت بول في لندن.	بول هايز يساهم بشرطين چدالبين لنظرية نوفا: الـ «الصورة الظلية» (التركيز على أزمة من الأزمات) و«الصقر» (رسم التبعات الأخلاقية للأزمة).	اختراع مادة الدي. دي. تي.	شخصية المغامر الحر وحلال المشاكل «الصقر السعيد»، وهي من عمل المؤلف مايكل أرلن، يجسدها جورج ساندرس تحقق شهرة سينمائية.	إطلاق صقر فورد الأول على خطِّ الإنتاج.



السنة	الحدث
٤٤٠ بعد ميلاد المسيح	أتيلا يدير حملاته العسكرية تحت شعار «تورول».
٨٠٠	ممارسة صيد الصقور في بريطانيا.
٩٠٠	قوانين ويلز التي وضعها الملك هيول ديدا (هيويل الطيب) تفرض أنه بعد يوم جيد من الصيد بالصقور، فإن الملك يقف في مجلسه لاستقبال لورد صيادي الصقور أثناء دخوله إلى القاعة.
١١٣٧	ملك انجلترا هنري الثاني يرسل مبعوثيه سنوياً للحصول على قطاميات صغيرة من صخور بنبروكشير البحرية.
١٢٠٨	الملك جون يمنع الصيد بالصقر باستثناء أفراد العائلة المالكة.
١٦٥٠	مجموعات صيد صقور جير الروسية يحصلون على الحصانة من كل الضرائب والرسوم المحلية، كما أن لهم الحق في الحصول على المال لشراء الطعام والتنقل حيث يشاؤون. يتم نقل الصقور إلى موسكو في قطار من الزلاجات المقفلة.
١٦٨٦	دوق سانت آلبانز، يصبح وريثا لمنصب كبير صائدي الصقور في انجلترا براتب شهري قدره ١,٥٠٠ جنيه إسترليني.
١٧١٨	جيل جاكوب يفسر أنه «بسبب العناء والتكلفة العالية» فقد تم «التخلي إلى أبعد الحدود عن الصيد بالصقور، خاصة منذ أن أصبح ممارسو هذه الرياضة بارعين جداً في التصويب بالبندقية»د.
١٧٦٢	الدنمرك تستورد عدداً كبيراً من الصقور الدوارة ليتم إرسالها كهدايا دبلوماسية إلى الدول الأوروبية. أكلت هذه الصقور ٥٠ ثورا و٢٠ خروفا وهي في طريقها من أيسلندا إلى كوبنهاجن، وتدوم هذه الرحلة لمدة أسبوعين.
١٧٧١	أحد النبلاء، وهو الكولونيل ثورنتون يحيي رياضة الصيد بالصقور في بريطانيا.
١٩٦٤	قطامي «اناتوم» الشرقي ينقرض في الولايات المتحدة؛ تأسيس جمعية الصيادين بالصقور في أمريكا الشمالية.
١٩٧٤	الانطلاقة الأولى لسلالة تربت في الأسر من قبل صندوق حماية الشاهينات. في اليوم الثاني من شهر فبراير بدأت أول رحلة لطائرة أف ١٦ . فالكون المقاتلة من مركز التجارب التابع للقوات الجوية الأمريكية في قاعدة ادواردس الجوية، ولاية كاليفورنيا.
١٩٩٩	الصقر الشاهين يسحب من قانون الأنواع المهددة بالانقراض في الولايات المتحدة الأمريكية.
٢٠٠٠	قطاميات تفقس بيضها فوق محطة باترسي لتوليد الطاقة في لندن.
٢٠٠١	موت جماعي لصقور «السايكر» في منغوليا من جراء التسمم بواسطة حبوب معالجة بواسطة محلول لإبادة القوارض.

شكر

شكر خاص لجونسون بيرت، محرر السلسلة وإلى مايكل ليمان، هاري جيلونيس وإلى جميع الأصدقاء والزملاء الذين زودوني بالصور والملاحظات حول النص ومنهم : ستيفان بوديو. توم كايد، إيرين جوت، نيك جاردين، روب جيكنز، جون لوفت، جيمس ماكدونالد، تامسين ماثير، روب رالي، مارك سبريفاك، تشارلز ينج، شكر خاص للكولونيل كينت كارني، مسؤول الأرشيف في أرشيفات مدربي الصقور في بويس . وشكر خاص على حسن ضيافته ومساعدته للباحث نيك فوكس الذي تكرم بالسماح لنا باستخدام أرشيف صوره . وشكراً ليوجين بوتابوف لمعلوماته عن أساطير الصقور في آسيا الوسطى. وشكراً للمساعدة المالية لجامعة جيسوس، كامبريدج وصندوق ويليامسون في وزارة تاريخ وفلسفة العلوم . جامعة كامبريدج على مساعدتها بتقديم الصور الخاصة بالصقور . كما أود أن أعبر عن امتناني العميق لكريستينا ماك ليتش على دعمها طيلة كتابة هذا العمل . وأخيراً شكر خاص لوالدي الصبورين على تحمل فترات عملي طيلة الليل وما كنت أحدثه من فوضى في المنزل .

شكر خاص لصور الكتاب :

يود كلاً من المؤلف والناشر شكر المصادر التالية للسماح لهم بإعادة نشر الصور التوضيحية . لم نتمكن من معرفة جميع أصحاب حقوق الملكية لهذه الصور لكننا نتوجه بالشكر للجميع وسوف يسرنا مراسلتهم .

صور من شوجات على / الجزيرة ص : ١٠٤ -١٠٥ من عالم الحيوان مدربي الصقور الأمريكان سابقاً : ص :١١٧، ١١٣، ١٠١، ٨٠، ٤٧، ٦٠، (صورة تشارلز بروكتور) ص : ١٧١، ١٤٩، ١٤٧ إذن المؤلف : ص١٨٩، ١٣٤، ١٠ صور من بيتمان / كوربس ص:١٠٧. المجلس البريطاني ص : ١٠٥ بتصريح من المكتبة البريطانية لندن ص : ١٥ (من ألبوم عام ١٨٠٢) المنتجات الطبيعية في هندوستان : ٤٣ (من بيتر دي لانجتوفت : تاريخ إنجلترا) صور من المؤسسة الكندية لحماية صقور الشاهين ص : ١٧٨ - شكر لمركز بلتيمور لبحوث وتكنولوجيا حماية الصقور ص :١٥٩، ١٥٠، ١٥٥ صورة من قبل تشارلز كيفتون . شكر لصندوق حماية صقور الشاهين ص : ١٢٧ . شكر لوكالة تطوير الأبحاث البيئية والبرية ص : ٢٦ شكر لنيك فوكس : فهم صقر الشاهين (بحث عام١٩٩٥) ص : ٢٧ . صورة من قبل نيك فوكس . شكر خاص لمستشاري الحياة البرية الدولية ص : ٧٧ . شكر لمتحف فرويد، لندن . ص : ٥٠ . صورة من أيرين جوت . شكراً لصندوق حماية الصقور ص : ٩ . صورة من قبل نويل

ليد ص : ٢١ . صورة من نورمان كينت . شكر لكلاً من نورمان
كينت وكين فراكلين صورة ص : ٦ . شكر لشركة إيستمان كوداك
ص : ١٨٣، ١٧٨ شكر لمتحف كونس هيستوريشس فينا ص : ٨٨ .
جيولا لاسزول ص : ٥٢ صور من مكتبة الكونجرس، واشنطن (قسم
المطبوعات والصور) ص : ٩٧ (إيريك وإيدث ماتسون .



"سلسلة جريئة وساحرة"

المستقل

"هذه السلسلة الجديدة تطمح لأن تكون متميزة..."

ديسموند موريس

الصقر: طير جارح قوي وجميل وذو كاريزما خاصة إلى جانب أنه أسرع حيوان في العالم. وسواء كان محبوباً، مكروهاً أو سواء تم عبادته واتخذ إلهاً أو نال الحظوة كرفيق في الصيد، وسواء تم اتخاذه شعاراً لشركة أو نذير طالع، فإن الصقور قد سحرت الإنسان لآلاف من السنين. هذا الكتاب يلقي الضوء على الطائر الفريد وعلى الثقافات التي عاش فيها. يشتمل الكتاب على أساطير الصقر وخرافاته ورياضة الصيد بالصقور القديمة والتعرض للصقور كقاطنة للمدن الحديثة. كما يتناول التاريخ الطبيعي للصقور وجهود الحفاظ عليه من الانقراض وكيف تم استخدام الصقور كرموز وأسلحة للحرب. وهذا الكتاب الجامع يحتوي على معلومات قيّمة عن الصقور موضحة بالصور. كتاب "الصقر" سوف يكون مرشداً قيّماً لهذا الحيوان الساحر.

لقد عملت هيلين ماكدونالد في منظمات حماية الصقور في بريطانيا ودولة الإمارات العربية المتحدة وحالياً هي زميل باحث في كلية جوسيس، كامبريدج.

يحتوي على ١٠١ صورة توضيحية منها ٤٥ ملونة.







المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة